الدكتور نقولا فياض
عضو المجمع العلمي العربي

على المنبر

الجزء الاول

منشورات «دار المكشوف» بيروت

١٩٣٨

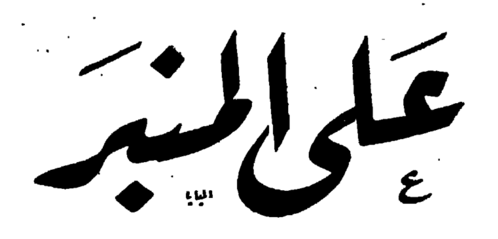
منشورات « المكشوف »

العصى الاعرج (نقد)	توفيق يوسف عواد
عشر قصص (نقد)	خليل تقي الدين
عمر افندي	لطفي حيدر
قميص الصوف	توفيق يوسف عواد
كان ما كان	ميخائيل نعيمه
ليلة القدر	احمد مكي
العراق بين انقلابين	عبد الفتاح ابو النصر اليافي
ارجوحة القمر (شعر)	صلاح لبكي

تحت الطبع

على المنبر [الجزء الثاني]	الدكتور نقولا فياض
عيسى بن مريم	احمد مكي
الاشتراكية العملية	ابراهيم حداد
الشيوعية والتعاونية	ابراهيم حداد
اللاحكومية والمؤتمرات الدولية	ابراهيم حداد
الفاشيستية والنازية	ابراهيم حداد

الدكتور نقولا فياض
عضو المجمع العلمي العربي



الجزء الاول

منشورات «دار المكشوف» بيروت

١٩٣٨

فهرست هذا الجزء

فهرست الجزء الثاني

الى القارئ

هذه محاضرات وخطب في موضوعات شتى من ادب واجتماع وفلسفة القاها الدكتور فياض في محافل مصر وسوريا ولبنان ، وقد نشر بعضها في المجلات والجرائد وبعضها لم ينشر ، فاحببنا جمعها في كتاب واحد عسى ان يجد المطالع فيه بعض اللذة او الفائدة .

ومن عادة الخطب ان لا تنال من قلب القارئ ما تنال من قلب السامع ، لانه كما قال المؤلف في كتابه « الخطابة » : «هناك شروط كثيرة كالصوت والوقفة والاداء تخلع رونقاً على الخطاب ، ثم ان مشاركة الجمهور للخطيب بالمصادقة والتشجيع ، ترفع الخطيب

الى ان يصير صوته وقلبه ، صوت الجمهور المصغي اليه وقلبه الخافق معه ، ومن الصعب ان تجد مثل هذه المشاركة عند القارىء . »

ولكن خطب الدكتور فياض تخرج عن هذه القاعدة فهي ليست كلها بنت الساعة ، بل ان اكثرها نتيجة جهد ودرس وتفكير، وفيها من الجدة في الصور والحقائق المفرغة في قالب جميل ما يضمن لها التأثير المطلوب في نفس القارىء ، فيخيل اليه انه يسمع صوت الخطيب من خلال كلماته ، ويتمثل اشاراته في عباراته .

ونحن لم نقصد في تمثيلها بالطبع ، الا الى خدمة الادب العربي الذي آلينا على انفسنا المساهمة في انعاشه بكل وسيلة .

طبع من هذا الكتاب ٢٠٠٠ نسخة على ورق عادي
٥٠ نسخة على ورق ممتاز مرقومة من ١ الى ٥٠
١٠ نسخ على ورق «بوفان» مندرة بالرقم الروماني
من I الى X

في حفلة رفع الستار عن تمثال

المرحوم كرنيليوس فانديك في مستشفى سان جورج

في بيروت سنة ١٨٩٩

(وهي الخطبة الاولى للمؤلف)

ايها السادة

نحتفل اليوم لتذكار رجل عظيم . اليوم نقوم باداء واجب مقدس نظهر فية للعالم المتمدن الناظر الينا اننا نعترف بالجميل ونقدر الرجال قدرهم .

منذ ثمان سنوات شهدت بيروت احتفالا مثل هذا الاحتفال وعيداً اشبه بهذا العيد فكنا نرى النـاس على اختلاف النحل والطبقـات

يتوافدون للاشتراك في عمل خطير ، ذلك هو عيد الخمسين لرجل غريب عن هذه الديار جاءها واوطن بها . هذا الرجل موطنه اليوم الابدية . سار اليها مثقلا بالسنين مثقلا بالاعمال . لقد شهد وهو على سرير الموت بكاء معاصريه عليه وسمع عن بعد تنهدات الذرية لانه لم يكن رجلا بل جيلا والثمانون التي عاشها ملأى بالاعمال الخالدة لانها الحلقة الاولى لسلسلة جديدة .

لهذا الميت العظيم ، لهذا الحي العظيم ، نجتمع اليوم في نادي هذا المعهد الخيري لنرفع نصباً ناطقاً بفضله ونقوم امام الخلف بواجب السلف فتبارك الابناء الآباء لانها حفظت لها وسم ابيها .

صاحب هذا التمثال يا قوم واحد من تلك الفئة القليلة التي قامت في سوريا بانشاء المدارس وتأسيس المجامع العلمية والادبية والخيرية يوم كانت البلاد في اشد الحاجة الى المدارس والمجامع والخير والادب .

خذوا مثلا بيروت وما كانت عليه في صدر هذه المئة . كانت الخرافات والاوهام راسخة في الاذهان والعقائد الفاسدة مستحكمة من العقول ، كان العلم محصورا في الافراد والمؤلفات الحديثة مجهولة منا . كنا لا نعي مباحث العصر الحاضر ولا قبل لنا باتباع حركة

العلم في العالم . حينئذ ظهرت يا كرنيليوس كالبدر في الظلماء وارسلت اشعتك الى عقول معاصريك ونقشت في صدور فتيان تلك الايام الذين هم رجال الحاضر وشيوخ الغد مبادىء جديدة ، اعدت الضمير لخدمة الحقيقة والفكر لخدمة الضمير .

فلتبارك الى الابد ايها الرجل العظيم .

ان من كان مثل فانديك فهو من اعظم الابطال لانه جاهد في اعظم الحروب ، حرب الصحة والمرض ، حرب الخمول والجد ، حرب الجهل والمعرفة . وماذا كان سلاحه ؟ نفس كبيرة وقصبة صغيرة . بنفسه الكبيرة اقام بين الضعفاء يؤاسيهم ويسهر عليهم والمساكين يعزيهم ويحسن اليهم . وبريشته الصغيرة بعث في البلاد تلك المؤلفات العديدة تنشر المبادىء الصحيحة والاداب السامية . درس لغة البلاد ليخلص الخدمة للبلاد ودفع غيره الى الكتابة واعان سواه على التأليف وكان طبيباً من اصدق الاطباء مؤلفاً من ابرع المؤلفين محسناً من اكرم المحسنين . فالتمثال الذي يقيمه هذا المستشفى لا ينطق فقط باحسانه اليه وتطبيبه مجاناً فيه ومساعدته في بنائه بل يشهد ايضاً ان كرنيليوس فانديك حياة تملأ سوريا والشرق بما فيهما من جليل الخدم

وجميل المآثر .

ايها السادة فلنحيّ هذا الاسم .

والان وقد اتيح لي الكلام فلا عذر ان سكت ، فيا اطباءنا ويا اغنياءنا ويا رجال العمل فينا هكذا فلتكن للجميع حياة الافراد فانما قيمة الانسان ما يحسنه . ولقد خفيت هذه الحقيقة حيناً تحت حجاب المدح والرياء اما اليوم فقد استقل الفكر في حكمه فلا نكرم الا العمل الكريم .

كلمة اخيرة .

قليل هم الرجال العظام ، ولكن قلما وجد كل لوحده ، ولم يكن له في زمانه شريك ، هكذا فانديك لم يكن منفردا بالعمل ، وتاريخ النهضة العلمية في الشرق والكتب المحفوظة في خزائننا والاخبار السائرة على الالسنة تحفظ لنا اسماء غيره من المحسنين بعلمهم او عملهم . ونحن بتكريمنا واحدا منهم نكرمهم جميعاً وخليق بنا التنويه بذكرهم في هذا الموقف ليعلم الناس اننا لانبخس حق العلم والفضل ورجاله ولا نميز في ذلك بين مذهب ومذهب وان الزمن وان طال والمسافة وان امتدت لها اقصر من ان ينسيانا جميل المحسن بعلمه او المحسن بطبه او

تمثال فانديك

المحسن بمـاله . وكما يمثل هذا التمثال صورة فانديك فهو يمثل عصر فانديك ، وعصر فانديك يمثل تلك الفئة الكريمة التي رافقته في الوجود وشاركته في الجهـاد وهي اليوم ارواح بدلت من اجنحتها المنظورة اجنحة لاتنظر ولا تزال الى الابد ترف في سماء هذه البلاد .

القلب البشري

القيت هذه الخطبة في نادي مدرسة الاحد

لجمعية شمس البر سنة ١٩٠٠

اسعد الله مساء الصحب   سادة الفضل الكرام النجب
وحمى الله حمى جمعية   جمعتكم يا خيار العرب
هي شمس البر الا انها   تجمع اليوم شموس الادب
ما عسى ينظم فيكم شاعر   شاعر بالعجز لا بالتعب
قلبه اصل بلاه فاعذروا   ان شكا من قلبه المضطرب
رام ان تجلي لكم اسراره   فغدا يرقص لا من طرب
وغدا خلف حجاب الصدر لا   يتمنى غير شق الحجب

سيداتي لست ارضى فئة انكرت ما بيننا من نسب
انما القلب كتاب غامض فيه للمرأة اسمى مطلب
والذي تكتبه فيه لنا ما رأينا مثله في الكتب
ولذا لم تلف قلباً خافقاً لا ينادي هي اصل السبب
وخفوق القلب داء مزعج حير النـاس فقالوا : عصبي
زعموا الطب عليه قادراً وانا ادرى فقد جربت بي
سيداتي وسادتي

الى الجانب الايسر من صدر الانسان ، عضو صغير اجوف يعمل من وراء الحجاب بلا حساب . فهذا العامل الصغير الذي تحويه قبضة كف وقد حوى العالم باسره ، والذي اعجز الانسان سكوته المستطيل وازعجته ضرباته الدائمة ، والذي شغل افكار الفلاسفة وحير قرائح الشعراء ، مظلوم جار عليه الانسان ، فوق جور الزمان، فرماه بذنوب هو براء منها ، وعزا اليه اعمالا لا قبل له بها .

حسبه الاقدمون مصدر العواطف والاهواء والحاكم بامره في سائر الاعضاء ، وجعلوا الصدر له كالقلعة يشرف منها على نظام البدن والروح ثم رجعوا اليه في استطلاع المستقبل وحملوه تبعة الماضي

وسألوه المعجزات. ذلك ايام كان مقدساً لا سبيل للايدي ان تمد اليه ولا للاذن ان توضع عليه ، حتى اذا اتيح لهم درسه وجدوا فيه عكس ما توهموا فاذا هذا العضو الخفاق لا يمتاز عن غيره من اعضاء الجسم الا بانه اكثرها حركة وتعباً ، واذا عذابه في وظيفته وضعفه في حركته فهو يتفانى في سبيل الحياة ولا يعرف الراحة حتى الممات .

حينئذ انزلوه عن عرشه العظيم ، وجردوه من سلاحه القديم وشقوا جوفه فادركوا ما قاساه هذا المسكين ، ورأوا مطبوعا على شغافه وصماماته اثر المصائب التي عرضت له وهو يجاهد في الوجود والالام التي نزلت به في الدفاع عن هذا الموجود حتى وهنت قواه بمر الزمان فقدم نفسه ضحية في هيكل الانسان .

لا ارغب ايها السادة ان اصف لكم امراض هذا القلب الكثيرة ولا احب ان امثل لكم صوره المجزئة فاريكم جوفه الصغير مقطعاً تقطيعاً يقطر دماءه حمرا ثم يبلعها نجيعاً . انما نحن في ليلة انس لا ليلة درس والذي انا محدثكم به قلب آخر معنوي تبطنه هذا القلب المادي قلب آخر لا دخل للهيولى فيه ، ولا تسلط للمادة عليه . فلا تسألوا الاطباء والمشرحين الذين لا ينظرون الا بعين الرأس ولا يؤمنون

الا باللمس ، سلوا الشعراء والمحبين ينبئوكم الخـبر اليقين . انه عود لا كاعواد الطرب ، اوتاره رقيقـة حساسة ، يحركها شيء ارق من الماء ، واخف من الهواء . اوتار لا تحتـاج الى غير دمعة او تذكار ، لتخرج انغاما شجية وآيات عبقرية .

هذا هو ايها الناس رفيقكم الدائم الذي يتأثر عنكم ولكم . هـذا هو ايتها المرأة مهبط نبواتك ومصدر تحذيراتك . ويا ايهـا الشعراء والخطبـاء هذا هو المنبر المحجوب الذي تنصت لدى صوته الخفي كل اصوات العالم . هذا هو الضعف وهذا هو القوة . هـذا الذي يقصد اليه الشاعر بقوله :

انا ما بـين عدوين هما قلبي وطرفي
ينظر الطرف ويهوي القلب والمقصود حتفي

ايها السادة

كثيراً ما وقفت امام البحر العجاج اسبر غوره العميق واراقب امواجه المتلاطمة تقترب على مهل ثم تسرع فتعلو فتتعاظم حتى تصل الى الشاطىء فتضرب الصخر ويتطاير منها الزبد ، فكان منظر المياه الزرقاء وما وراءها من عميق الاسرار يبعث في الدهش والشجـون

ويفتح للفكر باب التأمـل ، ولكن اين هذا مما كنت اشعر به عندما اقف امام ذلك الاوقيانوس الاخر العجيب الذي يقال له القلب اراقب عواطفه المضطربة كالموج خاضعة مثله لعواصف الاهواء ...

عواطف الانسان المختلفة وقفت به في هذا الوجود بين الرغـد والشقاء والموت والبقاء محنية الى الارض رأسه الكسير ، رافعـة الى السماء بصره الحسير ـ جند منظم يحارب العالم به العالم ـ اهواء مضطربة وزوابع ورعود وامطار وثلوج بينها ليالي صحو ونجوم يجمعها في الانسان نقطة مجهولة، سمها ما شئت روحا او نفساً او قلباً . كرة اشبه بالارض تسكنها هذه العناصر والقوى على اختلاف في الدرجات بـين شدة ورخاء وصلابة ولين وحرارة وبرود وكدر وصفاء حتى تصل الى قطبيها فتنحصر تلك القوى في قوتين ، او العنـاصر في عنصرين : الحب من جانب والبغض من جانب . حلـل الحب كما تحلل النور تظهر لك الوانه المتعاقبة من سرور ورجاء وشجاعة واقـدام ونخوة واباء وصداقـة واخاء وشفقـة وحنان وما الى ذلك . وحلل البغض تظهر لك الوانه الرائعة من خوف وحسد وزور وارتكاب وحقـد وكذب وما يقارب هذه الصفات .

القلب البشري

الحب والبغض اليهما مرجع كل عاطفة او بالاحرى الى واحد منهما لان الحب مقلوب البغض ، ومن يعرف ان يبغض يعرف ان يحب.

احب! هذه هي الكلمة التي تلفظها الطبيعة باسرها كما قال شاعر الفرنسيس، للريح فتحملها على اجنحتها وللعصفور فيصفق لها باجنحته.

هذا هو التنهد الاخير الذي يخرج من احشاء الارض عندما تخيم عليها الظلمة الابدية .

هذه هي الكلمة التي ترددها اجرام السماء في افلاكها ولآلىء البحار في اسلاكها .

ناموس عام تجري عليه حركة هذا الكون الفسيح ، عالم المادة وعالم الروح ، كل ما في الارض وكل ما في السماء خاضع لهذه الشريعة.

الموضوع يا سادة واسع المجال فلا اخذ منه الا ما يتعلق بالقلب البشري ، واذا حصرت كلامي عن القلب البشري في الحب فذلك لسببين : الاول ان الحب كما تقدم مصدر عواطف القلب ومختصر اعماله . والثاني اني حدثتكم فيما مضى عن شقاء الانسانية ، فاحببت اليوم ان احدثكم عما يجلب لها السعادة ، غير اني لا ادعي الاحاطة بالحب من كل نواحيه ، فاسمحوا لي ان ادخل معكم هذا الروض

الفسيح دخول الزائر المسافر اتنقل فيه تنقل الطير فوق الافنان اقطف زهرة واترك زهرات ماشياً فيه بلا نظام متلذذاً بذلك دقات القلب الناتجة عن الحب .

ابسط صور الحب في الانسان ، حبه لسائر المخلوقات الحية يدلنا على ذلك الوحشة التي يشعر بها وسط الوحدة ، واللذة التي يتمتع بها في حضن الاجتماع ، والحاجة التي بنا الى اتخاذ رفيق نستأنس به ساعات انقباض الصدر . ومن تعود تربية الحيوان في بيته يذكر تعلقه بهذا الربيب الغريب ، وكيف يخفق قلبه جذلا عندما يرى لطيف حركاته ويضطرب قلقاً عندما تلوح على ربيبه سيماء الكآبة او الضعف . وهذا النوع من الحب لا ينافي وجود الحب المعروف ، بل كثيراً ما يكون له رفيقاً وانسياً ، لان للمحب ساعات لا يجتمع فيها بمن يهوى ، وكثيراً ما يقضيها في مداعبة كلب احبه او مناغاة طير رباه ، او ملاطفة زهرة مال اليها .

ان الهند مهد العلم ومبعث النور الذي ضاء به العالم القديم ، قام دينها وآدابها على هذه العاطفة وكان القلب عندها اساس الايمان لانها احبت النفس في ابسط صورها وادناها فحرمت اكل اللحوم وقتل

الحيوان ، ووضعت لذلك مبدأ التناسخ ورأى شاعر الهند طيراً مصروعا فصاح : لا مجد الناس ذكرك في القرون الآتية ايها الصياد لانك قتلت هذا العصفور في ساعة حبه المقدسة . قال وبكى واخذت اناته تتتابع وخفقان قلبه يزيد . وهكذا كان الشعر . فالشعر ذلك النور الذي يتفجر من القلب ، مصدره الوحيد هذا النبع الصغير « تنهد ودمعة » .

وبين هذا الحب البسيط والحب المعروف درجات اولها حب الانسان للانسانية ذاتها ثم للجمال وللحقيقة وللفكر ثم لله خالقه ثم يتلو ذلك حبه لمن هو اقرب اليه في المبادىء والاخلاق وهي الصداقة ثم حبه الاخوي والبنوي ثم حبه للمرأة مجردا .

فحبه للانسانية نشاهده كل يوم في مساعدته اخوانه واشفاقه عليهم .

وحبه للجمال في محافظته عليه واعجابه به .

وحبه للحقيقة في صرفه العمر في البحث والتنقيب وراء اكتشاف مجهول او اثبات معلوم .

وحبه للفكر في الفتن التي يثيرها في سبيل تأييد مبدأ .

وحبه لله خالقه في المعابد التي اقامها في كل عصر ومصر والحروب

الدينية التي اضرمها منذ بدء التاريخ •

اما الصداقة فقدجعلوها ثالث المستحيلات اذا اردتها صادقة ولكن ذلك لا يمنع ان تكون اول ما يشعر بالحاجة اليه قلب الانسان عندما يقول وداعا لنزق الطفولة وطيش الحداثة وخفة الصغر وهي الى الفتاة الزم منها الى الفتى لانها في ذلك الحين تستقبل فجرا جديدا من الحياة علا فؤادها حلماً عذباً فتشعر ان عاطفة جديدة نمت في قلبها كما تنمو الازهار في الربيع وهي الحاجة الى ان تحب وتحب واذا كان شعراء العصر وكتابه قد رفعوا شأن الفتاة في احوال الاجتماع فذلك لانهم عرفوا ان الفتاة قابلة للحب والتألم وانه في عالم العزوبة قد يكون لها حياة على حدة ورواية خاصة هي بطلها الوحيدويكون حبها مقدسا كحب المرأة المتزوجة فما اعظم حاجة الفتاة حينئذ الى صديقة تكشف لها قلبها ولا يقف الحياء حاجباً دون افشاء سرها وما احسن ما قيل : اذا كان الحب شعر الحياة فالصداقة نثرها الشعري •

ايها السادة

امر بسرعة على درجات الحب لاصل معكم الى قمته وهو الحب المعروف حب الجنس للجنس ناقلا لكم بعض ما قرأت عنه في كتب

القوم وحفظته من اعمال امس واليوم .

عفواً سيداتي الكرائم ما اخترت هذا الحديث لهذه الليلة الا تعمدا لاني رأيت الناس ما تعودت ان تلفظ هذه الكلمة الا باطراق الراس وخفض النظر فاحببت ان اغير هذه العادة ، رأيت الكثيرين لم يفهموا معنى الحب الصحيح ولم يتصوروا فيه غيرما يدفع الى الخجل فحسبوه زلة وهو فضيلة ، واذا كان الله قد جعل المرأة الاناء المصطفى لهذا الشراب الالهي فلها الحق ان تفتخر به فما كلامي الان الا لارفع مقامه في عيون من جهلوه فاساؤوا التصرف به واحتقروه ، فيمكنكن يا سيداتي ان ترفعن ابصاركن وتصغين بطمأنينة الى ما اقول :

للحب في الناس حكم غير منتقل وسلطة عزتها دولة المقل
فان ترم مهرباً منه اتخذ نفقا في الارض او سلما في الجو فاعتزل

ما هو الحب ؟ تعريف الحب صعب كتعريف السعادة فاسمعوا مايرويه لنا الاقدمون : هرب الحب يوما من امه المحبوبة ، فراحت تنادي باعلى صوتها وتقول : من رأى الحب تائهاً في الطرق فهذا هو ولدي الفار ، ابني الضائع من يأتيني بنبأ عنه فاسكب عليه نعمي واعطيه قبلة من فمي . صفات هذا الولد كثيرة ، جلده بلون النار

وعيناه تقدحان الشرار ، حلو النغمة لطيف الحديث معسول الكلام وحش اذا غضب ، خداع كذوب حتى في لعبه ، حاسر الراس لامع الشعر ، يده صغيرة ولكنها ترمي الى بعيد سهامه الجارحة ، يوتر قوسه فيخرق بها كبد السماء واحشاء الهاوية ، لا حجاب على بدنه ولكن دون نفسه الف حجاب ، ذو اجنحة كالعصفور فيطير من المرأة الى الرجل ومن الرجل الى المرأة ويعشش في القلوب . كنانته من ذهب وسهامه محددة يجرح بها حتى نفسه ، فان وقعتم عليه فقيدوه ولا ترحموه ، وان بكى فاحذروا دموعه لانها غرارة ، وان ضحك فشدوا وثاقه لئلا يفلت ، وان حاول عناقكم فامنعوه لان قبلاته خطر وشفتيه تقطران سماً ، وان سلمكم اسلحته فحذار ان تلمسوها لانها نار محرقة .

هذا هو الحب عند الاقدمين ، لقد مثلوه طفلا حاملا قوسا فكان عند اليونان يرشق سهاما ، وعند الهنود يرشق ازهارا اما اليوم فنحن لا نزال نشعر بسهامه الجارحة وازهاره المسكرة .

ولكن هل الحب كله عمل من اعمال المادة ، واللذة الناتجة عنه

كاللذة الناتجة عن قضاء حاجة ما ؟ ان الانسان يأكل اذا جاع ويشرب اذا عطش فهل في الحب يفعل كذلك ؟

لقد زعم البعض ان الانسان كله حب ذات وهو زعم ان صح فقد جعل الحيوان افضل منه لانه يعتني احيانا بسواه ، غير ان ذلك مردود والحقيقة كما قال سبنسر « ان من الحب ما هو ادبي سام ينتج عن الشعور بجاذب الجمال وفهم معناه والاعجاب به » وهذا الحب يرافق الانسان في ادوار حياته ، وقد يزول الشباب وتخمد ثورة الاعصاب واثره باق لا يزول . ولو لم يكن في الحب هذا المبدأ السامي الشريف لكان الحب بين الجنسين نوعا من العبودية . لو لم يكن فيه هذا المبدأ السامي الشريف لما امكننا ان نتصور كيف يستطيع شعور حقير في اوله ان يرتفع ويتمجد حتى يوحي كل ما هو عظيم ، ويكون المصدر الوحيد لكل جمال وشعر وعظمة وفضيلة .

واذا كان افلاطون قد بالغ في تجريده الحب عن الحاجات الجسدية ورفعه الى ذروة التصور والخيال قاضيا بموت الاعصاب وخمود الحواس وسكون العواطف ، فقد ضل ضلالا من زعم ان الحب ليس الا نوبة عصبية ، او تمثيل فصل من رواية ، بل ان هذه الحالة الشديدة

من الحب ان هي الا اقل حالاته تأثيراً كالسيل الجارف اذا نظرت اليه في المجاري الضيقة فانه يخبط ويزبد ويسمعك هديرا هائلا . ولكنك اذا تتبعته الى السهل راق جريه ورقت نغمتـه ، وانبسط امامك الى مسافات شاسعة فروى غلة الارض وما عليها .

فالحب اذاً قسمان : مادي وفيه يدخل حب الذات، ومعنوي وهو الذي يجب ان يخفـق له كل قلب لما فيه من الفضائل . اقرأوا كل ما كتب او صور عن الحب تجدوا ان الشرور التي يعزونها اليه ناتجة عن حب الذات الاعمى ، وان الحب الصحيح هو اصل المحامد ولهذا حده الفيلسوف بقوله «هو فرح الانسان بسعادة الاخرين» .

قال لا برويار: «لا يخلو حب في قلب الانسان من الطمع مهما يكن شديداً » يريد بذلك ان الحب في حالة الطهارة الكاملة مستحيل الوجود وانه لا بد من امتزاج الحبين في طبيعة الانسان .

الحب اتون يصعد دخانا نافعاً او ضاراً حسب المواد التي تحرق فيه فهو في قلب الشريف ضياء ، وفي قلب الساقط بلاء .

ولقـد قلبت تاريخ البشرية الى العهد الذي تدخل من ورائه في ظلمات الخفاء ، فلم ار عصراً او جيلا خلا من هـذه العـاطفة ، بل

رأيتها في كل مكان وزمان المحرك الاول لاعمال الانسان ، ومنبع تأثيراته ، ولم اسمع في كل ادوار التاريخ الا اغاني ونشائد لمجد الحب او صراخ ألم وتجديف .

كنت اطالع يوما فقرأت ما يأتي :

« امر الله فبرز الفردوس في حلة خضراء زاهية بالانوار ، وكان الماء يتدفق من اعالي الصخور كاللجين الذائب ، ومعاطف الاغصان تتهادى مع النسيم كالعذارى ، وكوكب الصباح يسكب انواره كالموج فعم الفرح البسيطة ، واضحت الكائنات في سكرة من الحبور ، الا الانسان فانه بقي وحده حزيناً في وحدته يتساءل علام الاسماك في الماء والدبابات في العراء ، والطيور في الهواء تمرح ازواجا ازواجا ، بين مغازلة وعناق ؟ لانه لم يفهم قول الخالق «انموا وتكاثروا ».

«تحركت شفقة الله عليه .»

«واخذ ضلعاً من اضلاعه وهو نائم فكون حواء»

«واستيقظ آدم بعد ذلك »

«فلما رأى الى جانبه ملكا معزيا ، شعره طويل مسترسل على اكتافه يداه كالثلج موضوعتان على صدره ، اهدابه الطويلة متجهة الى الارض

وجنتاه موردتان ، شفتاه قرمزيتان ، قوامه رشيق ميـاس ، لما رأى ذلك خال ان برقعاً انشق عن عينيه .

«واذا بالجو قدامتلأ نوراً ، والازهار اخذت تتمايل على الاغصان مرسلة انفاسها المسكرة ، والنسيم هب منعشاً عليلا ، والاطيار كرت بانغامهـا الشجية ، والجداول جرت بخريرهـا العذب ، وكل ما في الطبيعة مال الى العناق ، والعوالم وقفت في سيرها خافقة بشعور واحد لان نغمة جديدة رنت في أنحاء الفضاء وهي صدى القبلة الاولى التي اوحاها الحب للانسان الاول . »

اي نعم ، وجد الانسـان ووجدت معه المرأة صورة الحب ، المرأة ذلك المخلوق اللطيف ، القوي الضعيف ، فوق الرجل ودونه ، كالسماء التي تحيط بـه ، ذليلة تشعر بثقل اليد التي وضعتهـا عليها الطبيعة ، عزيزة بقوة العواطف والاحساس ، تارة تتحكم فيه كملك وطوراً يقودها كما تقاد العبيد ، حيناً يبيعها بقبضة من المال او قطيع من الغنم ، وآونة يقـدم نفسه فدي لها ، وقد حيره حبها فلم يدر بما يلقبها ، فكان مرة يراهـا كالغصن ومرة كحمامة الغصن ، وهنـا يشبهها بالظبي في الوادي ، وهنـاك بفرس في مركبة فرعون ، ونظم

فيها الاشعار والف عنها الحكايات وحلي بها الصور ، وعلى هذا الوجه كانت ولم تزل مرآة امانيه وصورة آماله، وكثيراً ما تمشي في ظلمات الحياة يتلفت نحو السماء فلا يرى كوكبه فيلتفت نحو المرأة ، وهي التي هذبت اخلاقه وروضت طباعه وانارت لبه وشحذت غرار قريحته وكم خففت عنه وطأة المصائب بفضل حبها .

لماذا نرى البشرية اليوم تتقهقر في آدابها على تقدمها في العلوم والصنائع والفن ، لماذا وسط هذا الرقي لايزال الدقاء ضاربا اطنابه والفساد رافعاً قبابه ؟ ذلك لان الحب اصبح مهجوراً ، فالمسكرات وعادات التقليد قد اضرت كثيراً بالجسم والعقل ، وولدت رجالا سقماء الافكار والابدان لا يشعرون بالحاجة الى الذة الحب ، يفضلون العيشة التسأهة التي لا تقيد الرجل بتبعة الزواج فيقل الزواج من جانب وتتقلص سلطة المرأة من جانب،وبدلا من ان يكون الحب منبع السلام والفضيلة والهناء يتحول الى حرب نتيجتها الذل والشقاء .

والزواج شرف الحب وكماله ، لان المرأة لا تبدأ ان تشعر بالحب حقيقة الا في العمر الذي اعدت فيه لتكون اماً . وهذا ناموس عام لا ينحصر بالفتاة في خدرها بل يتناول ازهار الحقول وطير الغابة .

خذ الزهرة مثلا عند اشراق شمس آذار وانظر اليها ما اجملها وهي تفتح اكمامها بحرص وتمهل كأن الطهارة تمنعها ان تكشف صدرها للابصار . اشعة الشمس تسقط عليها بلطف وتبعث فيها الحرارة ، فتنبسط كأنها في ذهول . ولآلئ الندى تلمع على جبينها كحلي العروس .

واذا بالفراشة قد اقبلت حاملة في اطرافها غبار اللقاح من زهرة اخرى . تقف الفراشة على الزهرة فترتجف هذه وتنحني تحت اثقال الحب : سر تصير به الزهرة اماً وينقضي عمرها .

والمرأة كالزهرة لها صباح ومساء . قلوب الشبان تحوم حولها كما تحوم الفراشة حول الزهرة ، منتظرة انفتاح قلبها للحب . الا انك ايتها المرأة اسعد من الزهرة ، لانك عندما يأتي المساء ، وترين اوراق جمالك تتناثر عن جبينك الوالدي واحدة بعد واحدة ، تجدينها قد تعلقت على جبين اولادك : سلسلة حب طويلة في يد الله طرفاها .

ولكن كم من الامهات من يجهلن معنى الامومة ، فيسلمن ثمرة احشائهن الى اناس غرباء خشية ان تزيل الرضاعة من رونق الشباب فيحرمن مما في الرضاعة من لذة . واني لا القي المسؤولية كلها على

الفتاة ، ولا ارى الرجل بريئاً من هذا الاثم ، فهو المشجع على هذه الامور التي تضحك وتبكي لاهتمامه بثيابها قبل آدابها . فالى اين تتمشى الانسانية ياترى،وما يكون تركيب الرجل وبنيته في المستقبل؟

ان القدماء لم ينظروا الى الجمال نظرنا اليه ، واولئك الابطال الذين يرويهم التاريخ لم ينشأوا في عصر المشد .

يذكر لنا التاريخ شعباً عظيما كان مثال الجمال والشعر . سماؤه صافية وهواؤه لطيف ، وجباله واوديته مسكن الالهة ، ولغته انغام الملائكة ، فانظروا ما ابقى هذا الشعب من الصور والانصاب الدالة على الجمال والقوة .

هذا الشعب رأى الهة الجمال غادة من النور طالعة من المياه في صباح رق هواؤه وصفت سماؤه ، وهي عارية الجسم الا نطاقا ازرق بلون السماء ، رآها طالعة من المياه في موكب من الحمائم البيضاء ترف حواليها ، تارة تضع وردة على جبينها ، وطوراً تسعى للاختباء تحت نطاقها المتموج . ظهرت له بهذا المشهد البديع بالقرب من شواطيء فينيقيا ، وهي حيرانة لا تفهم معنى وجودها هناك ، واذا بمواكب الهوى ، تلك الحمائم البيضاء،قد حملتها في هودج النور ،

وطارت بها الى السماء .

عندما كان الجمال مكرما الى هذا الحد ومرفوعا فوق باب الهيكل كان الحب سامياً شريفاً ، اما اليوم فنحن لا نفهم معنى الجمال، فالجمال على حد ما قيل نور يضيء في الظلمة ، والظلمة لا تفهمه . منه صنع العالم والعالم يجهله .

ايها السادة

اذا كان الحب لذة البعض فهو حاجة الكل ، فعليه ان يكون شريفاً ليكون مباركا . يجب ان نمثله للعين باجمل صورة ، لتكتسي به النفس اجمل حلة . يجب ان نعرف انه اذا كان الجمال فضيلة البدن فالفضيلة جمال النفس .

يجب ان تعرف ايها الشاب عند خفوق فؤادك لاول مرة ، عندما تتجلى لك الالهة في ابتسامة ، وتبصر من خلال الدموع كواكب السماء ، عندما تتصاعد زفراتك ، وتتمثل صورة الحبيب في ذاكرتك كحلم تشفق عليه ان يزول ، يجب ان تعرف ان ذلك المخلوق الذي يقودك في حياة جديدة ، ليس العوبة تطرح بعد ساعة او تكسر ، ولا آلة للتسلية فقط ، بل هو الحب كما اراده الله ، والتعزية كما تطلبها

النفس . بل هو المستقبل ماثل امامك بلا حجاب ، يشجعك على المعيشة ويقول لك : سر ولا تخف . يجب ان تعرف ان المرأة ام لنا تعطينا الحياة اولا وثانياً : حينما تفتح عينيك للنور ،وحين تفتح قلبك للحب . واذا لم تجد فيها احياناً الرفيق الذي تحلم به ، فالذنب عليك لاستخفافك بعواطفها وجهلك اياها . فالمرأة كما قال بلزاك : آلة موسيقى لا تطرب الا من يعرف ان يوقع عليها .

ايها السادة

هذا هو بعض ما اردت ان احدثكم به هذا المساء من الحب الذي ملأ عالم الخيال باجمل الحكايات ، وعالم الحقيقة باعظم الوقائع ،فرفض من اجله عولس الخلود وحبب لعنترة تقبيل السيوف . الحب موحي شكسبير وبيرون ولامارتين وموسه . هذا الذي قال عنه الفارضي : هو الحب فاسلم ، الذي تقرأ اسمه على ابواب الجحيم التي وصفها شاعر التليان ، الذي اول ما يكون مجسانة

واذا تمكن صار شغلا شاغلا

هذا هو البخار الذي كلما ضغطت عليه قوي واشتد ، هذه هي الحمى التي اعراضها الحرارة والبرد ، هذا الذي فاز بما لم يفز به الالهة

فاقيم له معبد في كل فؤاد ، وذبح على محرابه كل العباد . هذه هي الهاوية التي تنظر في اعماقها السماء . هذا هو الالف والياء .

ما يكون تاج المرأة في المستقبل، وكيف تحكم في الشعوب الاتية؟ هل تحمل الصولجان والسيف؟ هل تمد الى الصناعة يديها النحيفتين؟ هل تنازع الرجل سلطة القوة؟ كلا ولكنها ستحكم كما عودته حتى اليوم بحنان الام وصداقة الاخت وامانة الزوجة . بما تلهمه من القوة ساعة الضعف وتعطيه من اللين في حال الشدة . ستحكم بدمعة من عينيها وابتسامة من شفتيها سترافقه في قفر الحياة ، وتكون له كعصا موسى. لتضرب على صخرة قلبه وتفجر منها المياه . ستقيم له من الحب هيكلا يعبدها فيه ، وفي هذا الهيكل يضحيها احيانا .

فيا قلب الانسان ، ما اعجب اسرارك واغرب اطوارك ! ولكن مهما تقلبت عليك احوال ، ومهما اظلم جوك ، وعصفت فيك الزوابع ففي احدى زواياك شعاع دائم الاشراق ، وبه رسمت هذه الكلمات : الحب هو الحقيقة ، والحقيقة هي الجمال ، والجمال هو الله .

فلنحب ابداً ايها السادة ، لانه مع كل ما اخترعه البشر لم يقدروا حتى اليوم ان يجدوا شيئاً اقدر على التعزية وابهج للقلب من الحب .

القلب البشري

يا ايها العصفور ما لك صامتـا حيران مكتئبـا وماذا تطلب
قد كنت لا تدري السكوت ولم يكن غير التنقل والغنا لك مذهب
ماذا دهاك فهل اصابك علة ام انت في ظمأ وماؤك ينضب
ام راعك الصياد عند مروره فغدوت مثلي للمصائب تحسب ؟
هيهات لا مرض ولا ظمأ ولا صيد يروع ولا عدو يرهب
لكن لي عشاً أضعت جماله فانا على عشي انوح واندب !
ام ربيت بظلها وعزيمتي ضعف ونبت الريش مني مجدب
كانت تلازمني وتسأل زوجها قوتا فيتركها لدي ويذهب
حتى اذا اكتمل الجناح وطرت من اسري غدت عن ناظري تتحجب
لكن تخذت اليفة لي بعدها كانت تلذ بها الحياة وتعذب
يا طالما عشنا معاً في الفة ابداً نغني للزمان ونخطب
طوراً تحيينا الجبال وتارة بقدومنا الوادي الخصيب يرحب
ولكم وقفنا في الحدائق نرتقي شجراً ومن كأس الازاهر نشرب
ولكم هناك استوقفت نغماتنا شيخاً يودع او صبياً يلعب
ولكم ذهبنا للقبور نسامر الموتى وارواح الاحبة نطرب
حتى اذا وقع القضا اصبحت لا ام ولا الف يحن ولا اب

القلب البشري

لكن قلبي لم يزل يجد الهوى عذبا وان يك بعدهم يتعذب

*

قد قال لي العصفور ذاك ولم يزد ومضى يشرّق في الفضا ويغرب
وسمعته في الجو ينشد حكمة لك يا ابن آدم بالمدامع تكتب
لا حب الا بالامانة فاعتبر فالقلب حب والحياة تقلب

فى مستشفى القديس جاورجيوس

عند زيارة المطران مسره

ايها السيد الجليل

اول ما اشعر به في هذا الموقف ، هو احترامي الفائق لكم ، لا لكونكم رئيس كهنة فقط بل لاني ارى نفسي في حضرة عالم وخطيب فترونني القي الكلمة باحتراس واقول الجملة بتمهل علماً مني انها ستقع على خبير باساليب الكلام عارف بمواضع النقد، وهذه الصفة التي امتزتم بها يا مولاي بين رجال الاكليروس هي التي حببتكم الى الشعب السوري وجعلته يقتحم لاجلكم الاخطار ، غير مبال بمحاجزات الزمان ومماطلات الايام بل كان صوته يرتفع فوق كل الاصوات ، ونداؤه يعلو من فوق امواج الاحزاب ، صارخاً جراسيموس جراسيموس

فتعيد الاصداء ذلك النداء ، وتردد بيروت من سائر الانحاء جراسيموس جراسيموس .

وقد دعيت هذا النهار لاعرب عن شعائر جمعية المستشفى بكلمة مديح وترحيب تعودها الخطباء في هذا الموقف. اما المديح فانا مبتعد عنه ما امكن ، لا اعتقاداً بضيق المجال ولا خوفاً من نبو الذاكرة ، لاني على يقين اني اذا نسبت لك العلم والفصاحة ، لم اكن كاذبا بل لو وضعتك اليوم في مقام الآلهة لما وجدت من حولي الا استحسانا ، وما سمعت الا هتافا وتصفيقا ، لان هذا الشعب يحبك ولاني اتكلم بلسان الانوف من عشاق كمالاتك ، واعلم علم اليقين ان كل كلمة تلفظها شفتاي هي خارجة من صدر كل واحد من ابناء هذه الابرشية. ولكني اعيذ سيادتكم ان تقبل المديح من افواه الناس انت الذي اقامه الله راعيا لشعبه ، لا لكسب المديح بل لصنع مشيئة ابيه الذي في السماء .

واما الترحيب فما عسى لساني القاصر ان يزيد على ما سمعت من اقوال الخطباء والشعراء وما عاينته من مظاهر الاحتفاء بك ، مما لم يشهده اجدادنا . بلى عندي لغة احييك بها غير اللغة التي سمعتها حتى الان ، وقصيدة ليست كالقصائد التي تتلى عليك كل حين . ارحب بك

بنغمات اوقع في النفـوس من الحان المنشدين ، ارحب بـك بالصوت الصـاعد من وراء هذه الجدران الصـامتة ، بتنهدات المرضى وانين المتوجعين ، واستقبلك بقصيدة لم تخط بمداد القلم ولم تؤخذ الفاظها من كتب اللغة بـل سطرت بماء العيون ، ووزنت على دقات القلوب ، فكانت الفاظها الاوجاع وقوافيها الدموع . اجل ايها السيد ان المعهد الذي تزوره اليوم لانحتـاج فيه الى زخرف القول ، وزهرهـة الالفاظ ، لان مشاهده المؤثرة لما يغني الشاعر عن تخيلاته ، والكاتب عن تصوراته ، والخطيب عن تذكيراته . لان العظمة التي خصك بها الله تحييها في هذا النادي عظمة ثانية هي عظمة الشقاء، الشقاء بكل مفاد الكلمة لان المريض الذي تكفلت به الجمعية فقير الى كل شيء، فقير الى الخبز والماء ، الى الطبيب والدواء ، فقير حتى الى نظرة عطف من اخيه الآدمي . هنا تجسمت التعاسة ولبست اجمل اثوابها القبيحة .

فاذا ما دخلت هذه الغرف ورأيت تلك العيون التي تسيل لهـا العيون ، والوجوه التي تصفر لاجلهـا الوجوه ، اذا ما دخلت هـذه الغرف وشـاهدت الارجل المبتورة ، والايدي المقطوعة ، والجراح

الدامية ، يسوؤك يا سيدي ان ترى بعض الاسرة فارغا وقد كان في الامكان ان يقبل عددا من مثل هؤلاء المساكين لو سمح بذلك صندوق الجمعية . يسوؤك ان تعرف ان كثيراً ممن جار عليهم الدهر ، يقرعون هذا الباب ولا يفتح لهم لان المال قليل ، وموارد الاحسان غير كثيرة . يسوؤك ذلك ويسرك ان تعلم ان هذا العمل المجيد هو صنع ابنائك ، وانه على الرغم من قلة الوسائل لم يتعذر عليهم النجاح فيه (يسرك ما ترى من حسن الترتيب والنظام الراجع بالاكثر الى قلب كريم شفوق اريد بذلك الانسة هدلا كريمة شيخ اطباء الثغر الدكتور ورتبات) يسرك ان تعرف انه السابق الى تعليم البنات فن التمريض وحبذا لو اقتدى بالموجودمنهن بعض بنات الطائفة ممن غلب الوهم عليهن فاحتقرن عملا من اشرف الاعمال ، ذلك ما نأمل من سيادتكم النظر فيه والتحريض عليه ، حتى يكثر عدد الممرضات فلا تنحصر وظيفتهن في المستشفى بل تتعدى الى البيوت ويكون بهن فرج لربات الاسر .

هذا هو مستشفانا ايها السيد ، لقد زرته اليوم كما زار يوسف يعقوب والمسيح لعازر . فلا ريب ان زيارتك ستترك شعاعا منيرا في جوه المكفهر . ويكون لها في قلوب مرضاه اثر جميل كالاثر الذي

في المستشفى

تتركه حمامة بيضاء تظهر حيناً للحزين في سجنه المظلم . أول اوله بركة وآخره تعزية ، وكله امل ونور . فاذا رحب بك هذا النادي فهو يرحب برئيسه ، واذا حيتك اطباؤه فانما هي تحيي ايضاً طبيبه ، لان المجتمع يا مولاي جراحا غير جراح الابدان ، والما غير الم المادة . اذا حيتك جمعية المستشفى فهي تضيف صوتها الضعيف الى اصوات الملة جمعاء وتشاركها في عواطفها نحوك وآمالها فيك وليس بعجيب ان يبلغ الفرح من الملة هذا الحد . فقد جاهدت في سبيلك الايام والشهور ، مائلة بانظارها نحو المغرب منتظرة طلوعك من وراء المحيط . ايام وشهور كانت تحسد من اجلك مصر وتتمنى لو نقل اليها النيل لترويه ان بحر الروم الصافي احق بك من النيل يا بحر الروم . ايام وشهور مرت عليها ايها السيد وهي باسطة ذراعيها نحو مصر والشام واضعة افكارها هنا وقلبها هناك . وكما تعشق ملتون شمس الوجود دون ان يراها ، كانت تصبو اليك يا شمس الارثوذكس قبل ان تراك . اما وقد انشق عنها حجاب الظلماء ، وانقشع الغيم الذي وقف بين آمالها والسماء ، فهي تحمد الله ان امانيها قد تحققت وعدت اليها يا جراسيموس ، وعلى جبينك تاجان : تاج من ذهب وضعته بالامس

يد العناية ويسمى الرئاسة ، وتاج من نور لبسته منذ الفطرة ويقال له الذكاء .

مولاي: اذا حق للخطيب ان يتعدى موضوعه احيانا ، اذا حق للخطيب ان يترك موقفه الخاص ليظهر في الموقف العام ، اذا حق للخطيب ان ينتهز كل فرصة ليتطرق الى ذكر الاصلاح فقد وجدت مجال القول ذا سعة ولكن حاشاي ان اجول فيه بعد ان عرفت انك في غنى عن تنبيه الخطباء وتذكير الناقدين . حاشاي ان اجول فيه بعد ان بينت لنا انك عارف بمواضع الداء بصير باساليب الدواء ، فاسمح لي ان اقول اذاً كلمتي الاخيرة في هذا الموضوع .

لماذا دعاك اليه شعب بيروت ؟ ألاجل ان تعاد مناقشات قديمة ؟ اجلّ الشعب ان يرمي الى هذه الغاية وان توهمها بعض افراده لان الدعوة الى السلم اصبحت اليوم دعوة العصر ، وقد سمعناك بالامس ترددها في خطابك فعرفنا ان الالفة غاية مناك والسلام اقصى مشتهاك .

ان هذا الشعب الذي جاهد جهاد الابطال لتكون له ويكون لك لم يفعل ذلك الا لاعتقاده بك المقدرة على اصلاح حاله . فطلب الملة لك سنة طبيعية مصدرها الالهام الالهي والاحساس الفطري لانك وسط

الزوابع الثائرة والضباب المتكاثف على هذه الابرشية ظهرت لها كحمامة نوح حاملة غصن الزيتون فمشت اليك بكل قواها ، لانها عند خروجها من متاهاته الماضي تطلعت نحو المستقبل لتهتدي طريقها فاذا بها تسمع صوته آتياً من مصر . ولا بدع فقد تعودت مصر ان تكون مطلعاً للخلاص منذ رنت في الفضاء كلمة الوحي بلسان يوشع « من مصر دعوت ابني » ففي مصر ومن مصر خلص يوسف فرعون من المجاعة وموسى اسرائيل من الاستعباد والمسيح العالم من الخطيئة وجئت اليوم يا كاهن الله فخلص شعبك من الانحطاط والتفريق .

ان اضدادك لم ينكروا قدر معروفك ومعرفتك ، ولكنهم ظنوا الحكمة حيث اخطأوا الظن . فلهؤلاء ولمريديك معاً ستظهر الحقيقة في اعمالك الاتية ولقد رحبنا بك ما امكن الترحيب وقبلنا ان نصدق كل ما قيل فيك من مديح ولكن كلمة الحكم موكولة الى المستقبل ومنك سيصدر هذا الحكم لك اوعليك . الى اليوم ما تعودنا الا الرياء في مخاطبة الرؤساء ، تعودنا ان نقدم لهم كل الخضوع بالقاب غريبة ونعوت مختلفة تناقلها الخلف عن السلف وعمدنا بها اسماءهم تمميدا ، تعودنا ان نطأطيء رؤوسنا احتراما لهذا الرداء، وقليلا ما كان احترامنا

للابس الرداء . اما اليوم فقد تغيرت هذه العادة . ونحن اذا خاطبناك الان فانما نخاطبك بلسان القلب والعواطف، وما حان لنا ان نخاطبك بلسان العقل والضمير . غير ان املنا يقارب اليقين ، ان العقل سيرضى عنك والضمير سيبارك اعمالك .

اي قومي ، لقد جاء مطرانكم وزال زمن الخلاف ، فان كنتم تحبونه حقيقة فبرهنوا عن حبكم له بمساعدته في العمل . برهنوا عن حبكم له بتلبية دعوته الى السلام ودعوته الى الاصلاح . وانت يا مولاي اذا لا سمح الله قصر ابناؤك فلم تر منهم اذنا واعية للنداء ولا يدا ممدودة للعطاء، اذا لا سمح الله كنت بيننا كعيسو عندما حرمه ابوه من ندى السماء ودسم الارض ولم يبق له غير سيفه ليعيش . فعصاك سيفك ، بعصا الرعاية تسود ، وعصا السيادة ترعى . بعصا موسى التي في يمينك تفجر المياه من كرسي بيروت وتسقي هذه الابرشية العطشانة . ونحن على يقين انك وحدك تفعل ما لا يفعله مكانك كثيرون . لان عندك من الاستعداد والارادة ما يضمن لك الفوز لتقود الملة نحو مستقبل مجيد ان شاء الله .

المرأة والشعر

قيل في الجامعة الاميركانية سنة ١٩٠٤

يا منتدى العلم الشريف اراك اشرف منتدى
جددت للشرق القديم شبابه فتجددا
واعدت للعلم المجيد سناءه فتمجدا
وجعلت دارك بيت موسى والمسيح واحمدا
فنظمت الحان الاخاء وراح دهرك منشدا
ذبح التعصب في حماك وعند غيرك يفتدى
والعقل في التعليم لم تسمح بان يتقيدا
فجعلت فسحته السما والبحر في بعد المدى
فاتتك امواج المحيط لدى محيطك سجدا

وسعت نجـوم الافـق ترصد من سمـاك المرصـدا

*

يا «أسبسي»(* الوطن الذي يحمى الهـلال تأيـدا
ما زرت ربعـك مرة الا رجعت مرددا
هـذه منارة راس بيروت وذا علم الهدى

*

اخوان الفضل وربات الادب سلام عليكم . احييـكم وامام عيني اشبـاح الادباء الذين وقفوا من قبلي على هـذا المنبر ، ولا تزال ترن باصواتهم جدران هذا البناء . احييكم وفي الفكر تذكارات لطيفة لايام كنت فيها صغيراً في الثالثة عشرة او اقل ، فكنت اسعى على قدمي لحضور حفلة مثل هذه . اذكر ذلك العهد ايها السادة وانا على احد هذه المقاعد صغير لا اكاد ارى ، اسمع الخطيب وفي صدري عواطف تتدافـع واحساسات اكبر من جسمي الضئيل تحاول الطيران بي عن مقعدي . وبينما كان الخطيب يتكلم كانت عيناي تغادران اذني عنـد

---

*) S.P.C هي شارة الكلية المرسومة على علمها الخاص .

قدميه وتجولان في الجمع باحثة عن آثار الاعجاب والسرور ، ثم انسى المقام الذي انا فيه واطير بالتصور ، فاتمثل نفسي وقد جزت مرحلة الفتوة وبلغت الغاية من دروسي ودعيت لمثل ذلك الموقف خطيباً يسمع فيستحسن ، فتأخذني هزة الطرب وتسكرني خمرة الفوز وتحملني الاحلام على اجنحتها . نعم ان امالي تلك لم تتحقق لاني لم ادرس في الكلية ، ولكن الكلية مدرسة الجميع وحسبي انها خلقت فيّ الميل الى الادب ، ولربما يسمع كلامي الان كثير ممن هم في الحالة التي وصفتها لكم ولا يبعد ان يقفوا يوما نظيري في مثل هذا الجمع قائلين قولي شاعرين شعوري .

ولقد كلفتني جمعية التعاون الاخوي وغيرها الخطابة قبل هذه المرة فاعتذرت لاني اخذت العهد على نفسي ان اهجر المنابر وان ارضى من نفسي بالطبيب دون الخطيب ، ثم تكرر الطلب فنظرت اليهم نظري الى مرضاي وتقاضيتهم اجرة الزيارة .

وما انكر الحيرة التي اعترضتني في سبيل اختيار الموضوع فبقيت متردداً حيناً ولم اشعر ابداً بمثل ما شعرت به هذه المرة ، على علم سابق انني سارى وجوهاً تعودتها وانظاراً الفتها لان الذين يشهدون حفلاتنا

الادبية هم هم لا يتغيرون ، وقد نال صوتي الضعيف رضاءهم من قبل.
ولكن الدعوة اعادت الي ذكر ايام الصبا ، فصرت كلما حاولت الكتابة يتمثل لي ذلك الفتى الاصفر النحيل ، داخلا بخشية الى هذا المعهد ، ضائعاً بين الجمع وهو ينظر الى المنبر نظرة اسرائيل الى الطور فتعيق هذه الرؤيا قلمي . هذا الطور ايها السادة انتهت بي الايام الى الوقوف عليه ، وهذا الشعب المنتخب اسرائيل الادب ، مستعد لسماع كلامي فلابتدىء :

موضوعي المرأة والشعر

واذا قلت المرأه فليس غرضي الاخذ في بيان حقيقتها واثبات حقوقها ، ولا سرد تاريخها العجيب المحزن من يوم انكروا عليها النفس الى هذه الساعة ، ولا المقابلة بينها وبين الرجل ، والنظر فيما اذا كانت هذه الرؤوس الجميلة الطويلة الشعور اللامعة العيون هي رؤوس اولاد ، والدماغ المستقر فيها لا يساوي ثلثي دماغ الرجل وزناً . كلا ، بل ربما كانت المرأة ارقى من الرجل عاطفة وشعوراً واسمى تصوراً ، واقدر على الاكتساب. فليخفض الرجال من غلوائهم ولا ينتظروا ان يروا فيّ عدواً لها هذه الليلة . بل انا محدث عن المرأة

من حيث هي كائن لطيف وضعته العناية الى جانب الرجل لتقرب اليه اسرار الطبيعة ، وتنزل عليه الوحي والالهام . انظر اليها من خلال حجب التاريخ بعين الشاعر ، وكشاعر اسجد لديها :

واحرق في هيكلها البخور . . . .

اريد ان اقول واؤيد بالبرهان ان العالم مدين للمرأة بانبغ رجاله في الادب فان اشهر ما نسمع عنهم من فحول الشعراء الذين اتوا بمعجز القول وبلغوا من المقام في قلوب الامم ما لم يبلغ الفاتح العظيم ، هم صنعة ذلك البنان اللطيف ، وخلقة تلك العين الدعجاء .

وها انـذا ابدأ بتعريف الشاعر ، ثم اظهر فضل المرأة عليه ، ونسبتها الى الشعر واليه .

ما هو الشعر ؟

لا يحد بكلمة ولا يحد بالف .

خذ اخفى ما يكنه القلب البشري واسمى ما يحمله الفكر البشري وألبسه حلة من اللفظ الرقيق والقول الرشيق يكن لك الشعر . جسّم ابهى صور الوجود التي تملأ الاعين ، واجمل اصوات الطبيعة التي تسحر الاسماع ، وألذ انفاس الكون التي تسكر الالباب ، يتمثل

لك الشعر . فالشعر حركة امواج ،امواج الخيال وامواج الحقيقة.
الشعر هو اللغة الوحيدة التي تستولي على الانسان بكل ما فيه من الانسانية فتنشأ في قلبه ودماغه وسمعه لتخرج منه احياناً دوي الزوبعة واحياناً حفيف الاوراق . ولهذا يفعل الشعر في نفوس سامعيه فعل الصاعقة التي تقتلع الاشجار ، او النشيد الذي تهز به الام طفلها في السرير .

من اجل ذلك لا يمكن الشاعر كثير من الشعر الجيد في المرة الواحدة ، لان الشعر يجلب التعب سريعاً اذ يستنفد بقليل من القول وقليل من الوقت كل ما في الانسان من قوة وحياة في رأسه واعصابه .

هذا هو الشعر ، فمن هو الشاعر ؟

قال احد كتبة الانكليز : الشاعر نبي والنبي شاعر ، فكلاهما يشعران بالغامض المجهول . كلاهما يقرآن في هذا السر ، سر الكون الخفي الظاهر. النبي يبحث في الخيرو الشر والمباح والممنوع والاختيار والواجب . والشاعر يبحث في الجميل والقبيح . الاول يرشدنا الى ما يجب ان نعمله ، والثاني الى ما يجب ان نحبه ، ومن يا ترى يستطيع

الفصل بين ما نحب وما نعمل ، أليس الحب طريق العمل ؟

وينطبق على هذا التعريف قول ابن المقفع: «اي حكمة اغرب او ابلغ او احسن من غلام بدوي لم ير ريفا ولم يشبع من طعام يستوحش من الكلام ويفزع من الشر ويأوي الى القفر واليرابيع والظباء ، فاذا قال الشعر وصف ما لم يره ولم يعهده ولم يعرفه ، ثم يتذكر محاسن الاخلاق ومساويها ويقول ما يكتب عنه ويروى له ويبقى عليه . »

الشاعر كما قال بعضهم ترجمان الطبيعة ارسل الى العالم ليتم لغة العالم ، لان ما نرى ونسمع ونستنشق سر غامض ألفناه واكتفينا منه بما عرفناه ، غير ان الشاعر يفضه بنظره البعيد فينفخ في الجماد روحا ، ويعطي الابكم نطقاً ، ويهب الاصم سمعا ، ويلبس كل حالة لبوسها .

الشاعر ، كما قال الشاعر :

مطلق القدرة ما قيده حكم قانون به يجري العمل
واذا انشد وصفاً او شدا فالصدى صوت تهاليل الملل
وصفات الناس في قبضته وهو حر كيفما شاء فعل

كل قول قاله بين الورى خرجت حكمته ضرب مثل
وله في الكون من اعماله معجزات قصرت عنها الحيل

ومن هذه المعجزات :

ينبك اللحظ حساماً قاطعاً وقوام الغيد للطعن اسل
يعصر الراح من الوجنة او يقطف الوردة من خد الخجل
ويناجي الطير في تغريده فهو معه في حديث وجدل
يكسب العقل رشاداً وهدى ويراه في جنون من عقل
وهو في اسر مهاة كلما غزلت مقلتها غنى الغزل

قال هيكو : الشاعر طير الانسانية ، يغادرها من حين الى حين هائماً في فضاء التصور ، بل قد لا يرجع الطير من سفرته بخلاف الشاعر الذي يرجع ليصلح فهو بين المجنحين يعد من الملائكة لا من الطيور .

تاريخ الشعر وفائدته

وجد الشعر مع الانسان وسيرافقه الى اخر الزمان . وقد كان له في الاعصر الاولى، كما قال هيكو، عظمة الألهة فحمل لواءه اورفه ليخضع الوحوش ، وامفيون ليقيم اسوار طيبة ، ثم شهدنا اوميروس

يخط به حياة عصره ، وموسى يسن الشريعة لقومه ، وداود يسرج نبراس الحكمة ، وجوفنال يحمل مقرعة الضمير ، وابا العلاء يفتح باب الزهد . ورأينا دانتي لاهوتياً،وشكسبير مصوراً ، وفولترمصلحا وغوته مهذبا ، وهيكو ثائراً .

قال احد كتبة الاميركان : من الناس من لا يرى غير العمل فيحتقر الشعر والشعراء ويقبح من يقول ولا يفعل ، جاهلا ان العالم قسمان : قسم خلق ليقول ، وقسم خلق ليعمل . وان الطبيعة اي الوجود جميلة كما هي صادقة ، فعليها ان تظهر كما عليها ان تفعل .

الشاعر كالبطل كل كلمة له فيها انتصار ، وكل معنى فتح جديد ومهمته كمهمة اورفه فان انشاده يدوي في قلب الانسانية ليخضع منها ما كان كالضواري فيزيل الشراسة والظلم ويعيد اليها الرفق واللين .

وقد كان للامة العربية نصيب وافر من الشعر وبلغ اكرامه عند العرب اكثرمما بلغ عند سواهم فجعلوه عنوان الفضل وديوان الادب واتخذوه وسيلة لحماية اعراقهم ، والذب عن احسابهم ، وواسطة لتخليد مآثرهم . ولم يكونوا يهنئون بعضهم بعضا الا بغلام يولد، او فرس تنتج او شاعر ينبغ . فاذا نبغ شاعر اتت القبائل مهنئة ووضعت

الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما في الاعراس . وقد كان لهم فيه سوق منافسة ومجالس طرب يحضرها ملوكهم ويشتركون فيها . وقد بلغ من تأثيره فيهم ان بيتاً اذكى نار الحرب بين قبيلتين . وان لهم سجدة سموها سجدة الشعر . ومن نكاتهم في هذا الشأن ان قبيلة اسمها انف الناقة كان اذا ذكر احد عند احد منهم هذا الاسم فضلا عن نسبته اليه ، اثار غضبهم عليه فما هو الا ان قال الحطيئة يمدحهم :

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يساوي بانف الناقة الذنبا

حتى انقلب اللقب فخراً وصاروا اذا سئل احدهم الانساب لم يبدأ الا به .

كيف ومتى يصير الانسان شاعراً

كل انسان شاعر ان اودت، لان حب الوجود راسخ في كل قلب وصورته ماثلة لكل خيال، فالصياد وراعي الاغنام من الشعراء . ولكن الفرق بينهم وبين الشعراء المعروفين بهذا الاسم ان هؤلاء يعبرون عن شاعريتهم بانتخاب لغتهم . واولئك بانتخاب طريقة معيشتهم . هذا باطلاق القول . واما الشعر الصحيح القائم بتصوير الجمال فلا ينال بمجرد الرغبة والناس فيه طبقات، فالرجل الذي يحسن قراءة الشعر

شاعر . وكلما زاد شعور المرء رقة واتسعت مقدرته في التعبير عن هذا الشعور لامس اسرار الشعر . وكلما اتسعت دائرة المتأثرين بشعره علا مقامه الشعري حتى اذا ضرب على اوتار كل فؤاد كان الشاعر العظيم (كارليل)

وهذا لا يقع الا لمن رزق ذهناً صافياوخلقاً رقيقاً وقريحة فياضة وبالجملة فالشعر هو صوت الانسانية منحصر في افواه البعض ممن فاقوا الانسان (هيكو)

هل بلغ شاعر حد الكمال ؟

نعم ولا . لا ،لان الشاعر طائر مجاله اللانهاية .فلا يبلغ قمة الا برز له اعلى منها . نعم، لان النبوغ حد الفكر البشري . وهو واحد مهما اختلفت صوره او تفاوتت ازمانه . وهذا الحد قد يبلغه الشعراء كما يبلغه الفلاسفة والمخترعون . وهذا هو الفرق بين الشعر والعلم فالشعر لغة القلب والطبيعة الخالدة . فلا يتعذر عليه ان يبلغ الكمال وبخلاف ذلك العلم لانه لغة الاستقراء والتنقيب . وكم هدم في يومه مابناه في امسه . ظهر سليمان ودنتي وشكسبير والمعري وفرجيل

وغيرهم . وجاء بقراط وابن سينا وجالينس وغاليله ونيوتن ولافوازيه وسواهم فماذا رأينا ؟ يأتي العالم فيبني على انقاض سلفه اويزيد من عندياته ما يغير الصورة المألوفة ، واما الشاعر فلا . خذوا التلسكوب مثلا فقد وجده متيوس صدفة كما وجد نيوتن الجاذبية . وجاء بعده غاليله فكبلر فديكارت فالاب ريته فهو يجنس كل يزيد على عمل سلفه او يحسن حتى مضت ٥٠ سنة فاذا متيوس صار منسياً وبات الجديد قديماً .

خذوا التلغراف مثلا آخر فمن تاليس اول فلاسفة اليونان الذي رأى ان الكهرباء بالفرك تجذب الاجسام . الى جلبر الانكليزي الذي وجد الجذب في غير الكهرباء كالزجاج والكبريت والشمع الاحمر . الى ليمونيه الذي قال باجتياز الكهرباء الشريط الموصل . الى وطسن الذي قال بصلاحية الارض والماء لنقل الكهرباء . الى كلفن مكتشف الكهربائية في الضفدع الى فولته موصل التيار الكهربائي بين النحاس والتوتياء . الى فراداي وامبر اللذين درسا تحريك الابرة المغناطيسية في طرف السلك المكهرب لرسم الاحرف . الى موريس الاميركاني الذي اتم العمل . من تاليس الى موريس مسافة قرون ، مشى فيها

الفكر والنبوغ في طريق اختراع التلغراف ، فلم يعقد اكليل الظفر الا لواحد . ثم جاء ماركوني باختراعه الجديد ، بعد ان سبقه برنلي فترك الاولين وراءه ومن يدري اي اختراع يخبئه لنا المستقبل تشترك فيه العين والاذن فينقل الصوت والصورة معاً ، وتتم نبوة الشـاعر الطرادي :

غنت سليمى في الحجـاز فاطربت مع بعدها اهل العراق نشيدا
ولربمـا رقصت بمصر فابصروا في اصبهـان لقدهـا تأويدا

فالعلم ارض مجهولة تفتح كنوزها شيئاً فشيئاً للرحالة المنقب فيها واما الشعر فكالمحيط موجة تذهب وموجـة تجيء ، او كالريح يتغير صوتها ولا يتغير جوهرها . بل العلم سلم يصعد فيه العالم فوق العالم . والشعر حفيف اجنحة في اكناف الفضاء الواسع .

ايها السادة

يتجلى الله للانسان في صورتين ، من خلال العالم وهذا ما يسمونه الطبيعة ، ومن خلال الفكر وهـذا مايسمونه الشعر . فالشـاعر والطبيعة صنوان ، وطال ما خدمت الطبيعة الشاعر فكانت له كتابا مفتوحا يشغل فكره وبصره فلا ينصرف عنه الا ليقرأ في كتـاب

آخر هو كالطبيعة سعة وجمالا وغموضا ، وهذا الكتاب هو المرأة .

ولا حاجة بي لاعدد اوجه الشبه بين الطبيعة والمرأة فهي ظاهرة للعيان ، ومن اجلها كان الشاعر ولم يزل مدفوعا بالعاملين معا فقلما تكلم عن الطبيعة ولم تكن المرأة مصدر الهامه ، وقلما تكلم عن المرأة ولم تكن الطبيعة موضوع كلامه .

ولما كان الشعر كالموسيقى ، كان تأثيره عظيما في نفس المرأة ، فكم خدعت به حسناء ، وكم غلب الحسن والكبرياء ، وكم ردد بعض الناس قول ابي نؤاس :

وما زلت بالاشعار حتى خدعتها ودلهتها والشعر من خدم السحر

وقد آثرت درسه على غيره من الفنون للصلة التي له برقة شعورها وحدة تصورها ، فنبغ في الشعر نساء ، يذكر التاريخ منهن عند كل امة ، وهاانذا الم بالقسم الثاني من موضوعي ، المرأة الشاعرة .

ما كفاك يا سيدتي ما جمل الله به هيكلك اللطيف . ما كفاك انه عطر انفاسك بالنسيم الذي يهب على زنابق الحقل ، واستعار لتنهدات صدرك حركة امواج البحار ، ووضع في صوتك نغمة الشحرور في الغاب ، وكسا لونك بهاء الورد في نيسان ، وجعل عينيك مرآة

السماء واللانهاية ، ما كفاك ذلك ، فاحببت ان تضيفي الى فصاحة عينيك فصاحة بيانك ، وتزيدي على طلاقة محياك طلاقة بنانك ، وتسكبي الخمرة من خديك ومن لسانك ،وتجلي السحر بين شفتيك كما هو بين اجفانك .

ما كفاك ان تصوغي للشعراء اكاليل الغار فاردت ان تلبسيها امامهم ففزت بذلك ، وكأني في العصور الاولى بين روما واثينا ارى كارنتا تخلب العقول ولايبس تسحر الالباب ومرتيس تلقن بندار الشعر ، و كورين تسابقه في ميدان الاولمب ، ودفني توحي اوميروس واسمع بالقرب من شواطيء هذه البلاد صدى انغام سافو تردده ضفاف الجزيرة .

ثم تنقلب امامي صفحات التاريخ ، فارى عدد الشاعرات يتكاثر في القرون الوسطى ولا سيما في ايطاليا ، حيث لم تخل مدينة صغيرة من شاعرة كبيرة ، واسمع مختلف الاناشيد من فرنسا وبروسيا وانكلترا وروسيا ، فاعرف منها جورج ساند تدرس الاخلاق ، ومدام ستايل تحرك العواطف ، ومسز بروفن ترسل نظرها الدقيق الى نقائص الحياة واحزانها ، واني ناقل لكم مثالا لهذه الشاعرة التي قال

عنها بعضهم : « قرأت من اشعارها قصرت نصف سكران فعزمت ان لا آخذ من هذا الشعر جرعة اخرى . »

بكاء الاطفال

هل سمعت الاطفال ياصاح تبكي   قبل ان تعرف الاسى والشقاء
كل طفل في حضن من ولدته   يتعزى لو كان يرضي العزاء
العصافير في الرياض تغني   ومماء الخراف يحكي الغناء
وابتسام الازهار كل صباح   بشذاها يعطر الارجاء
انما الطفل وحده يا صحابي   بات يبكي ويستلذ البكاء

*

أسألت الطفل الصغير لماذا   هو يبكي ودهره ما اساء ؟
يذرف الشيخ دمعه لشباب   ضيع الصبر بعده والرجاء
وغصون الاشجار تحزن اذ   تخلع ايدي الخريف عنها الرداء
وجراح الابدان تؤلم ما   قصر طول الزمان عنها الشفاء
انما الطفل وحده لست تدري   ما له في بكائه يتراءى

*

ان في ادمع الصغار لسراً   لقنته ارواحها الشعراء

ارضكم ظلمة ونحن صغار ولنا ارجل تحاكي الهواء
ما مشينا عليك يا ارض الا خطوات وقد سقطنا عياء
فسلوا الشيخ واعجبوا لبكاه لا صغاراً في ارضهم غرباء
هو في القبر يستريح قريباً وسنبقى هنا نقاسي البقاء

*

وما اقرب معنى الشاعرة الانكليزية هذا من قول الشاعر العربي:

لما تؤذن الدنيا به من شقائها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها لاوسع مما كان فيه وارغد
اذا ابصر الدنيا استهل كأنه بما سوف يلقى من اذاها يهدد

*

وقد كان للغة العربية حظ وافر من اقوال المرأة ، فابقى لنا التاريخ اسم ليلى وخنساء وجنوب وعلية القائلة :

الحب اول ما يكون مجانة فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

ويحكى ان ابا بكر الخوارزمي سأل يوما الدخول على كبير ، فقيل له لا يؤذن بالدخول الا لمن حفظ ١٠ آلاف ارجوزة .

فقال ابو بكر : سلوا الامير من شعر الرجال يريد ام من شعر

النساء ؟

وقد بلغ الشعر لعهدنا هذا مقاما عظيما عند المرأة، ولاسيما الغربية فنبغ فيه منهن عدد غير قليل يمنعني ضيق المجال عن ايراد شيء من اقوالهن فاكتفي بالتنويه بها ، وامر الى القسم الثالث من موضوعي وهو :

تأثير المرأة على الشاعر

ايها السادة

ما يوجد من وراء الغيوم، من وراء الغابات ، من وراء الجبال، من وراء الثلوج الابدية ، من وراء المحيط ، من وراء النجوم ، من وراء العالم ؟ ما الذي تطويه اعماق البحار ، وتخفيه طبقات الاثير ، وتسره دقائق المادة ؟

عبثاً تركض النفس في فضاء اللانهاية ، فانها لا تجد في طريقها غير الحب .

والعجيب ، ان الواقف امامكم الان ، كيفما اجال فكره ، يعثر قلمه بهذه اللفظة ، فقد اراد ان يحدثكم عن الشاعر ، فلم ير بدأ من الكلام عن المرأة . ومن ذا يحدث عن المرأة ، ولا تنسكب قريحته

في فؤاده قبل ان تنسكب في مداده .

ولقد تساءلت مراراً : ما هذه القوة التي يكتسبها الفكر البشري فينشر اجنحته في الفضاء ، ويخرق باشعته حجب الخفاء ، ثم يجمع من الالفاظ ما يموت ويحيا على كل لسان ، فيؤلفه نظاما فريداً ، ويفرغه قالباً جديداً ، ثم يمثل للسمع فاذا هو خمر ، واذا هو سحر ، واذا هو ماء سلسبيل ونسيم عليل .

تساءلت ، ما هذه القوة ؟

فاجابتني الالحاظ بنبالها ، وذكرتني مصرع ابطالها .

فعلمت ان الحب وحده شرارة الوجود ، يلهب القرائح كما يلهب الخدود ...

قد قيل ان الحب يوما غره ... عطر يفوح من الحبيب وطيب
فاصاب منه زهرة حتى اذا ... ما شمها والشم فيه غريب
هجمت عليه نحلة كمنت له ... فيها فعاد ووجهه مخضوب
ومضى الى فانوس يشكو امره ... والدمع فوق الوجنتين صبيب
ويقول قد ادمت جبيني نحلة ... ما رد عني قوسي المرهوب
فتألمت فانوس عند سماعها ... شكوى اله الحب وهو يذوب

لكنها ابتسمت له وتلطفت بالقول وهو لصدرها مجذوب :
يا ايها الطفل الغريب بطبعه عن صرعك العشاق لست تتوب
ان كان لذعة نحلة بك اثرت فظننت ان الموت منك قريب
ماذا يحل بمن سهامك لم تزل ترمي قلوبهم بها وتصيب ؟

هذا ما قالت فانوس لطفلها المحبوب .

اما انا فاقول : ليضرب الحب بسهامه القلوب ما شاء اذا كان النبوغ بين الحاء والباء .

يا سادة

وجد الماء ليروي الظمأ ، ولكن ثمت ظمأ لا يرويه الماء ، وهو الظمأ الى المجهول .

من الناس من يلتمس السكر بالخمرة مثل نوح ، ومنهم من يطلب السكر بالمرأة مثل سليمان ، والسكر في الحالتين يفتح ابواب المجهول اذ يفصل الانسان حيناً عن عالم الهيولى ، ويجعله من الخالدين .

الا ترى ان شارب الخمرة لا يصدق ما يقال عنه من سوء حالته في ثموله ؟ فقد يكون ذلك لانه يشعر ساعتئذ بافلاته من اسر المادة . وكذا الشاعر فانه يشعر وهو تحت سلطة المرأة بتلك الحرية التي

ترفعه الى الملأ الاعلى ، وتفتح لقريحته ابواب التصور المغلقة والمعاني المحجوبة.

ويقال ان هذا الظمأ الذي لا يروى ، واصل الينا بالارث من امنا حواء . فقد عرفت مرارة التفاح واكلت منه ، وسليمان من بعدها ذاق مرارة المرأة واخذ تسعمئة. قال بعضهم :

ان الشاعر يجيد اذا اطلقت قريحته من عقال التقييد ، واضيف الى قوتها قوة المنبهات ، ولهذا السبب ترى الشعراء مغرمين بالنبيذ والجعة والقهوة والشاي والافيون والعطور والدخان ، وغير ذلك . وتجدهم يستحسنون السمر والموسيقى والصور والتماثيل والرقص والسفر والنار ، وما شاكل .

ولهذا السبب ايضاً تجد غير الشعراء ممن وقفوا قواهم للتعبير عن الجمال كالمصورين والممثلين منهمكين بحياة اللهو والافراط في كل شيء .

قال عبد الملك بن مروان لابن سمية : « هل تقول شعراً ؟ » قال لا اشرب ولا اطرب ولا اغضب ، ولا يقال الشعر الا بواحد من هذه .

والمرأة قد تغني الشاعر عن كل هذه المنبهات ، فهي قهوته وافيونه وناره ودخانه ، قال اللورد بيرون :

ان للمرأة تأثيراً عجيباً في نفسي على ما انا عليه من سوء الظن بهذا الجنس ، فتراني اشعر بلذة غريبة في التقرب منها ، ولو كانت خادمتي التي توقد لي النار .

وما من شاعر نبغ ، الا كانت المرأة مهماز عقله ، وزناد تصوره ، ومفتـاح قريحته .

لنفرض ان المرأة محيت من سفر الوجود لا سمح الله ، ولم يبق على الارض الا ابطال وجبابرة ، فماذا يخلق الفكر البشري ؟ ماذا يعمل بدونها المصور امام لوحته ؟ والنقاش امام حجره ؟ وماذا يغني الشاعر والموسيقي ؟

ماتت فانوس فهوى آخر حجر من هيكل الحب وآخر بيت من الشعر .

ولا ريب ان معنى الشعر ولذة الوحي لم يدرفهما اولئك الذين جهلوا قدر المرأة فذروا عليها الرماد ، وقصوا شعرها الطويل وطفوا عينيها بالدموع .

والتاريخ يثبت لنا علاقة النساء بالشعراء .

فلقد كان المرء في الاعصر الاولى بعيداً عن جمال الشعر لانه لم يكن يعرف غير القوة ، وما اقام للجمال هيكلا الا بعد ان اشبع الارض من صبيب عرقه فسرت في فؤاده حركة غريبة ، وهبت على عواطفه نسمة جديدة ، جاوبتها اوتار قلبه بنغمات التصابي. فسمعنا اوفيد يستمد الالهام من جوليا وفرجيل ينشد حب كاليوس وليكوريس ، ورأينا داليا ترسل شعاع الوحي الى تيبول وروماندنا الى متاستاز ، وبرسبير وكاتول يكتبان على اقدام ليسبي وسنيتي . وارانا دانتي السماء في ابتسامة بياتريس . وحبت مراسح فرنسا في شاعريها راسين وكورناي مدام منتون والمركيزة رمبوليه . ولولا المرأة ما اشتهر بوشكين في روسيا ، ولا جامي في الفرس ، ولا غوته عند الالمان ، ولا ازدانت اللغة العربية بافصح ما ينطق به لسان وابلغ ما يجري به فكر .

ألم تسمعوا باولئك الذين يكتشفون مصادر المياه بقضيب من البندق ؟

ان للمرأة هذه القوة المغنطيسية فهي تعرف مكمن الفصاحة

من القلب البشري ، وتحمل قضيب السحر الذي يفجر ينابيع الدمع الخفية ، لتنظم منها لآلىء النوابغ ، وترسم اقوالهم على صفحات القلوب وصفحات الادهار .

ولا اقصد هنا الى الاحاطة بكل شاعر خلقته الالحاظ ، بل اذكر ما يسمح به المقام ،ناقلا على سبيل الفكاهة مثلا من اشعارهم .

هذا هيكو امير شعراء الفرنسيس ، لم تنطلق قريحته بمعجز القول الا بعد الثلاثين ، عندما جمعته المسارح بمدام درويه . وقد قضى هيكو ٥٠ سنة تحت سلطة هذا الحب ولم يفصله عنه الا الموت .

وهذا موسه شاعر الهوى ، كل ابياته انين ودموع ، ولياليه الاربع مشهورة في كل مكان ، ومنها ما نظمه على أثر علائقه بجورج ساند التي ملكت فؤاده ثم آثرت بعاده .

وكنت اود ان اقابل بينه وبين ابن ربيعة ، والبهاء زهير فانهما لم يبلغا شأوه في رواية الجمال وجمال الرواية ولكن ضيق الوقت يضطرني الى الاكتفاء بنقل مثال من نظمه . وهي ابيات للغناء عنوانها :

اذكري

اذكريني كلما الفجر بدا فاتحاً للشمس قصر العجب
واذكريني كلما الليل مضى هائماً ملتحفاً بالشهب
واذا ما صدرك ارتج على نغم اللذات وقت الطرب
او دعاك الظل يا ميّ الى طيب الاحلام عند المغرب
فاسمعي من داخل الغاب صدى هاتف فيها يناديك اذكري

*

اذكريني ان غدا صرف القدر فاصلا ما بيننا للابد
يوم لا تبقي الليالي والعبر من رجاء لفؤادي الكمد
اذكري حباً به قلبي انفطر ووداعا ذاب منه كبدي
واذا الحب على القلب انتصر غلب البعد وطول الامد
ابداً ما زال قلبي المحتضر نابضاً فهو يناديك اذكري

*

اذكريني عندما القى المنون ويضم الترب ذا القلب الكسير
عندما تفتح للفجر الجفون زهرة القفر على قبري الحقير
لن تري من بعدها ذاك الحزين غير ان الروح عني ستطير

ابـداً نحوك كالاخت الحنـون تحفظ العهـد على مر الدهور
واسمعي من جانب القـبر انـين في دجى الليل يناديك اذكري

*

وهذا دانتي شاعر الطليان ، يصف لك فعـل الحب في كتابه « الحياة الجديدة » ، ويبين لك كيف كانت المرأة وحي ايامه الازلي وصلة افكاره بين الارض والسماء، والحقيقة والخيال والبشر والملائكة.

والغريب ان هذا الشاعر لم يجتمع بحبيبته بياتريس ولم يحدثها يوما بل احبها بمجرد النظر اليها ،وبقي هذا الحب حياً بعد موتها ، فاوحى اليه كتاب الجحيم والفردوس والمطهر .

وهذا بيرون الشاعر الانكليزي ، تشبه اشعـاره امواج البحر المتلاطمة ، وزوابع الليـالي الحالكة ، وتسيل منه كما يسيل الدم من الجرح . وهو القائل :

قدخضت امواج البحار وخضت امـ واج الغرام فلم اجد غير الشقاء
فرثيت للنـوتي الا انني الفيت حال الصب اجدر بالرثاء

وهذا حافظ الايراني اخر حلقة السلسلة التي تفـاخر بفردوسي ونظامي والخيام وجلال الدين وسعدي وجامي . فقد شرب كاسلافه

كأس الهوى مترعة .

ولا بأس بان اروي لكم نكتة حفظت لهذا الشاعر ، وهي ان بعض غزلياته طرقت مسامع تيمورلنك الفاتح الشهير ، فرأى فيها ان الشاعر يجود بسمرقند وبخارى فدى للخال الاسود على خد حبيبته ، فلما اخضع تيمورلنك فارس استقدم الشاعر ووبخه على هذا الكرم الكاذب ، باعطائه حبيبته مدناً لا يملك منها شيئاً . الا ان الشاعر استنجد ذكاءه ، وقبل الارض بين يدي الفاتح وقال : يا سلطان العالم لولا هذا الكرم لما نلت شرف المثول بين يديك .

وهذا بوشكين الملقب بيرون الروس ، ما اشتهر الا بقوة الحب الذي جاوز الغاية منه فاودى به في مقتبل العمر بمبارزته احد القواد وكانت منزلته بين قومه رفيعة ، فاضطرت الحكومة الى دفنه ليلا حذراً مما لا تحمد عقباه .

وهذا لامارتين شاعر ألفير ، روى لنا وقائع صباه في كرزيلا وغيرها . ومن قرأ رفايل رأي صورة هذا الشاعر الحقيقة ماثلة من خلال كل سطر .

وقد تجرأت على ترجمة القصيدة الاتية وفيها حكاية حاله :

البحيرة

أهكذا ابداً تمضي امانينا نطوي الحياة وليل الموت يطوينا
تجري بنا سفن الاعمار ماخرة بحر الوجود ولا نلقي مراسينا
بحيرة الحب حياك الحيا فلكم كانت مياهك بالنجوى تحيينا
قد كنت ارجو ختام العام يجمعنا واليوم للدهر لا يرجى تلاقينا
فجئت اجلس وحدي حيثما اخذت عني الحبيبة اي الحب تلقينا
هذا انينك ما غيرت نغمته وطالما حملت فيه اغانينا
وفوق شاطئك الامواج ما برحت تلاطم الصخر حيناً والهوى حينا
وتحت اقدامها يا طالما طرحت من رغوة الماء كف الريح تأمينا
هل تذكرين مساء فوق مائك اذ يجري ونحن سكوت في تصابينا
والارض والبحر والافلاك مصغية معنا فلا شيء يلهيها ويلهينا
الا المجاذيف بالامواج ضاربة يخال ايقاعها العشاق تلحينا
اذا برنة انغام سحرت بها فخلت ان الملا الاعلى يناجينا
والموج اصغى لمن اهوى وقد تركت بهذه الكلمات الموج مفتونا :
« يا دهر قف فحرام ان تطير بنا من قبل ان نتملى من امانينا »

« ويا زمان الصبا دعنا على مهل نلتذ بالحب في احلى ليالينا »
« اجب دعاء بني البؤسى بارضك ذي وطر بهم فهم في العيش يشقونا »
« خذ الشقي وخذ معه تعاسته وخلنا فهناء الحب يكفينا »
« هيهات هيهات ليس الدهر يسمع لي فالوقت يفلت والساعات تفنينا »
« اقول لليل قف والفجر يطرده ممزقاً منه ستراً كان يخفينا »
« فلنغنم الحب ما دام الزمان بنا يجري ولا وقفة فيه تعزينا »
« ما دام في البؤس والنعمى تصرفه الى الزوال فيبلى وهو يبلينا »

*

تالله يا ظلمة الماضي ويا عدماً في ليله الابدي الدهر يرمينا
ما زال لجك للايام مبتلعاً فما الذي انت بالايام تجزينا
ناشدتك الله قولي وارحمي ولهي اترجعين لنا احلام ماضينا ؟
فيا بحيرة ايام الصبا ابدا تبقين بالدهر والايام تزرينا
تذكار عهد التصابي فاحفظيه لنا ففيك عهد التصابي بات مدفونا
على مياهك في صفو وفي كدر فليبق ذا الذكر تحييه فيحيينا
وفي صخورك جرداء معلقة عليك والشوح مسود الافانينا
وفي ضفافك والاصوات راجعة منها اليها كترجيع الشجينا

وليبق في القمر الساري مبيضة | انوار سطحك الزاهي بها حينا
وكلما صافحتك الريح في سحر | او حركت قصبات عطفها لينا
او فاح في الروض عطر فليكن لك ذا | صوتاً يردد عنا ما جرى فينا
احبها واحبته وما سلمت | من الردى
رحم الله المحبينا

*

واللغة العربية غنية بهذا الموضوع . وعادة شعرائنا في الغزل برهان على تأثير المرأة في قرائحهم ، لان الصورة التي يرسمها الشاعر العربي في غزلياته ، يستحيل ان تكون وهماً محضاً ، ولا بد ان الشاعر اخذها عن صورة حية .

وكل معنى جميل في الغزل لا يجيء عفواً دون ان يكون في دماغ صانعه صورة يرسم عنها .

الا ان البعض انفردوا وجرت لهم وقائع عرفوا بها ، وعرفت اسماء الجميلات اللائي اوحين اليهم . والبعض الاخر لم يبق لدينا من جميلاتهم الا رسم شعري يصدق على كل جميلة ، والذي ارى ان كل شعراء العرب كانوا عشاقا .

والغزل المنسجم في الشعر العربي لا تجده في اللغات الاخرى ، ولا تجد للمرأة في سائر الالسن وصفاً يبلغ من الرقة واللطافة وبلاغة المعنى وحسن التشبيه ، ما بلغ وصف شعراء العرب لها .

فاين تجد نداً لبيت المتنبي :

ويبسمن عن در تقلدن مثله　　كأن التراقي وشحت بالمباسم

وبيت ابن معتوق :

وزندين لو لم يمسكا بدمالج　　لسالا من الاكمام سيل الجداول

وبيت امرىء القيس :

اغرك مني ان حبك قاتلي　　وانك مهما تأمري القلب يفعل

وبيت ابي فراس :

معللتي بالوصل والموت دونه　　اذا مت عطشانا فلا نزل القطر

وقول جرير :

ان العيون التي في طرفها حور　　قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به　　وهن اضعف خلق الله انسانا

وقول ابن ربيعة :

صلي واغنمي اجرا فما وردة الربى　　تدوم على حال ولا وردة الخد

وقول عنترة :

ووددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ومجنون ليلى :

اصلي فما ادري اذا ما ذكرتها اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

وامثال هذا الشعر الجميل كثير لا يخلو منه كتاب عربي ، وكله ناطق بحياة الفكر الشرقي وبلاغته وحدة التصور .

ومن قرأ عينية ابن زريق ، ونونية ابن زيدون ، ودالية النابغة، لا يسعه الا الاعجاب والاعتراف ان المرأة وحدها تقدر ان تخلع جمالها على الشعر .

وقد يمكن الشاعر ان يغني الغزل من غير ان يكون عاشقاً ذاتاً معينة لان مجرد التصور يقود الى المعاني الجميلة والالفاظ الجزلة ، فالمرأة تفعل بالفكر حاضرة وغائبة .

وعلى هذا الوجه اندفع سيل القرائح العربية من الجاهلية الى المولدين . وكثير من شعراء الاندلس في الماضي ، وشعراء العراق ومصر والشام لعصرنا الحاضر ، لم ينبغوا الا بتأثير هذا العامل .

وانا لا نعلم من هي الحسناء التي توحي الى هذا وذاك ، ولكن

العالم الادبي مدين لها ، وهو يمجدها وان جهل اسمها .

واني اذكر في هذا العرض نكتة عن اليازجي كبير شعرائنا رواها لي ابي وكان كثير التردد عليه . قال : كان الشيخ اذا عصته القريحة ينادي : يا ام حبيب، فتأتي زوجته فيبتسم لها ويعود الى نظمه الشائق وقد فتح عليه .

ولا يسعني بعد ان وصلنا الى عصرنا الحاضر ، واشرت الى النهضة الاخيرة في مصر والشام والعراق التي كان بين زعمائها الاسير والاحدب والانسي واسعد طراد والعمري والموصلي والابياري وغيرهم ممن اتصلت بينهم وبين الشيخ ناصيف اليازجي اسباب المراسلة، الا ان اذكر طريقة جديدة في الغزل اخذ اليها شاعر سوريا المشهور خليل الخوري فتمد جمع فيها بين رقة زهير وخفة موسه وكانت الصفة الغالبة في شعره تنزهه عن التقليد والتعقيد وحصوله على السهولة والامتناع وقد احببت ان اقدم لكم مثلا من هذا الشعر الجديد فاخذت قصيدة الياسمين وهي طويلة اجتزيء ببعضها .

وحكاية الحال ان الشاعر رأى القمر في نجواه يرسل اليه نوره الضئيل فارسل له شكواه :

مـالي رأيتك في السماك الاعزل   تبغي النزول لافق هـذا المنزل
هل هـاجتك من المحبة آفـة   محقت وجودك كالخليل المبتلي

أحسداً من الحبيبة ذبت يا قمر ام سقما بهواهـا ام حيلة لحت في شكل السوار لتجملك من بعض حلاها .

لا لست غير قلامة من ظفرها   طرحتك من اطراف تلك الانمل
فاسبح باكناف الفضـاء مضيعاً   لست المعـد لمثلهـا فترحـل
أمللت من زهر السما فرغبت في   زهر بجنـات البهـاء يفوح لي
أم هل حسدت الياسمين بفرقها   فاردت تنزل في المكان الاول

لا ، لا تنزل يا سمير العاشقين ، فيصيبك منها ما اصاب الياسمين ، قطعه المحب ظلما عن اغصانه و كتب اسرار الهوى بين اجفـانه ثم جعله الى الحبيب رسول شوقه واحزانه، حتى اذا دقت ساعة الوصول فاستأذن بالدخول :

نادته من بالباب ؟ قال لها اتى   عبد لعبـدك لائماً للارجـل
قالت ومن عبدي ومن ذا عبده   هـذا حديث مشكل في مشـكل
فاجابهـا رجـل وقمـت باسره   لم ادر من لكن بليت بمـا بلي
دنف نحيـل مثـل اوراقي على   خطر الذبول من اللهيب المشعل

ذا وصفه اما اسمه فحجب عني فيها نحو غيري واسألي
او فانظري ما خط فوق صحائفي تدري الخفي جهلت أم لم تجهلي

فتلفتت تلفت المشتاق ، واذا بها تقرأ بين تلك الاوراق سطراً لم يخط بقلم ولم يكتب بدمع او بدم :

رفقاً باول عاشق لزم الهوى ان المحبة للخليل الاول

حينئذ تذكرت ما مضى من عهود وما كان من وعود :

فتبسمت انساً وقالت بعد ما حنت:نعم عبد قديم كان لي

ما حاله بعد هجري وبعادي، وهل لم يزل مقيما على عهد ودادي؟ بلى ، وها انفاسك الساحرة تحمل تحيته الى فؤادي ، فاهلا برسول الحبيب ، كنت له رسولا ، فكن لرأس الحبيبة اكليلا .

فعلا على عرش الجمال بمجده وغدا يقول لها انا الملك العلي
وغدا يناجيها باسرار الهوى وغدت تلاعبه بتلك الانمل

حتى اذا طلع النهار علقت عروقه باطراف اللهيب فذوى ، فنزعته عن رأسها غضبى ورمت به الارض فهوى،وقالت له ما عدت يا ياسمين تنفع الحسن ولا ينفعك الهوا .

فانساب منطرحا على وجه الثرى مثل القتيل وانما لم يقتل

فيا قمر السماء:

هذا فصال حبيبتي مع من سري   في طوعها فاترك غرورك وارحل

ويا اخوان الهوى:

هاتوا المطارق ان قلب حبيبتي   اضحى حديداً فاضربوا ليلين لي

او اضرموا نار المحبة حوله   بالنار ينسكب الحديد وينجلي

*

ولم ينحصر تأثير المرأة في العقلاء بل جاوزهم الى المجانين فاجرى على لسانهم الحكمة والسحر واقام صلة بين الجنون والشعر، والشواهد كثيرة اكتفي منها بما رواه ابن يزيد النحوي .

قال مررنا يوما بمجنون عرفناه من قبل فسألناه ما تجد فقال :

الله يعلم انني كمد   لااستطيع ابث ما اجد

نفسان لي نفس تضمنها   بلد واخرى حازها بلد

واظن غائبتي كحاضرتي   فكانها تجد الذي اجد

فقلنا له احسنت . قال المثلي يقال احسنت واومأ الينا بشيء يريد أن يضربنا به .

فيا ايها الشعراء ، عظيمة سلطتكم على القلوب ، ولاسيما اذا

خضعتم لذلك الكائن الضعيف ، فاعرفوا كيف تمزجون الطاعة بالامر ، والذل بالانفة ، واعلموا ان قوتكم لا تتم الا اذا سرى اليها هذا الضعف ولكن حرام على القائلين الشعر ان يجعلوه لغة الرياء والتمليق والمدح الكاذب .

انت حر ان تأكل ما تشاء وتلبس ما تشاء وتسكن حيث تشاء ، ولكنك ايها الشاعر لست حراً بعد ان عرفت مقامك في الاجتماع ان تقول ولا يرمي قولك الى غاية تفيد .

لك ان تضحي مالك ودمك الذي هو اغلى من المال وحبك الذي هو اغلى من الدم ، ولكن ليس لك ان تضحي الحقيقة والصدق ، وتجعل شعرك جعبة الغش والمداهنة . خلقت لتهذب النفوس وتنير الاذهان ، وتفتح ابواب الحقائق الابدية، فعار عليك ان تحول الشعر الى مهنة لا تجلب غير الهوان .

انظر الى الطبيعة بعين والى الانسانية بعين ، وتعلم ان تتقن تصوير الاولى وتهذيب الثانية فتقوم بالواجب نحو الجمال لانك مثال الجمال .

من المهد الى اللحد

ايها السادة

اسمحوا لي قبل كل شيء ان ارفع صوتي الضعيف من فوق هذا المنبر بالثناء على جمعية الاتحاد والاحسان السورية العثمانية ، لا لانها دعتني الى الخطابة في هذه الحفلة ، فقد كنت افضل البقاء في زاوية عملي صامتاً بعد ان هجرت المنابر ، ولكن اعجابا مني بالمبدأ الذي تأسست لاجله والعمل الكبير الذي اخذت على نفسها القيام به .

اقول العمل الكبير ولا اقصد به مجرد الاحسان المادي المعروف فقد صار عمل الخير على هذه الطريقة شائعاً في كل بقعة من الارض تطأها قدم الانسان المتمدين ، ولا تكاد تجد رجلا يأبى ان يمد الى الفقير يد العطاء بكسرة من الخبز يسد بها جوعه او قطعة من الكساء يستر بها عريه .

انما قصدت مبدأ الاتحاد السامي الذي نحن في اشد الحاجة اليه فنادي به على المنابر ونكتب عنه في الجرائد ونجعله حديثنا في كل مجتمع ولا نزال فيه على حد قول الشاعر :

وما قيلت نفسي من الخير لفظة ويا طالما فاهت به الخطباء

هذا المبدأ الشريف نهضت اليه هذه الجمعية نهضة المؤمن واعتنقته اعتناق الدين ، فكان منها انها قدرت مع ضعفها على عمل قصر عنه غيرها ممن هم اوفر ثروة وعدداً واوسع جاهاً ونفوذاً .

انظروا الى القاهرة والاسكندرية وانظروا الى الديار السورية جمعاء وقولوا لي هل رأيتم مثل هذا مجتمعاً تخلع لدى عتبة بابه المذاهب ويلجه الناس عراة من تقاليدهم ليكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً ؟

انكم لو فتشتم مصر وسوريا بلداً بلداً لما رأيتم عملا يقام للخير ولا تكون عليه سمة الانتساب الطائفي بل تعود الناس ان يختلفوا في هيا كل الرحمة كما يختلفون في هيا كل العبادة ، فاذا جاءهم غريب قالوا اذهب الى الطائفة التي انت منها انما نحن لاخواننا محسنون . يا سبحان الله او يرضى الله عما يعملون ؟ ام نحن في زمن تعدد الالهة الاقدمين ؟ فاله لليهود واله للمسلمين والهة للنصارى فيها يختلفون .

فطنطا هي البلد الوحيد الذي اظهر للناس امكان الاتحاد وقيمة الاتحاد وهو فخر يا قوم اذا سجل لكم في تاريخ الارتقاء فقد سجل العار على اخوانكم في البلدان الكبيرة ، تأخروا وكنتم السابقين . واني ولئن كنت اذهب الى ابعد مما ترون فلا احب الانتماء الى طائفة من الطوائف ، وافضل ان لا تنسب جمعية خيرية الى مذهب او الى امة بل ان تكون كلها اخائية لا نسبة لها الا الانسانية ، واذا لم يكن بد من الانتساب فالبلد الموجودة فيه فرنسوية في فرنسا وانكليزية في انكلترا ومصرية في مصر .

اقول وان كنت اذهب الى ذلك فاني لا اجهل ان الاتحاد لهذه الدرجة لا يزال وا أسفاه حلماً من الاحلام والانسانية لا تزال متفرقة في الانسان فاضطر الى الرضى بالموجود قانعاً بالخطوة الكبيرة التي كنتم البادئين بها واتقدم باسماً الى ساحتكم الواسعة قائلا السلام عليكم .

السلام عليكم وعلى كل من شاركم في العمل . السلام على البلد الذي انتم فيه ، السلام على مديركم الفاضل الذي عرفته من قبل بالسمع حازما محباً ورأيته اليوم فوق ذلك خطيباً فصيحاً والذي ارجو ان

تتقدم طنطا في ايامه تقدما باهرا يساعد على انتشار هـذه النهضة لانه مبعث انوارها .

واذا كان هذا هو مبلغ اعجابي بالجمعية التي تحتفل اليوم لعيدها السنوي فهل تظنونني جاعلا خطابي كله شكراً لها او لكم؟ لا وحياتكم بل انا اعتقد ان الانسان لا يشكر اذا ادى الواجب عليه، واذا كانت هذه الحقيقة مجهولة او منسية فلأن الفضائل على تقدمها في هذا العصر الراقي لا تزال نادرة فينا حتى صارت معرفة الواجب تعد فضيلة ، فالواقف امامكم الان يكره التقليد وحسبه في هذا العرض ان يظهر ما يخالج قلبه من السرور وما يسطع في ضميره من الامل ان تكون هذه الجمعية مدرسة للشرق يتعلم منها قيمة الاتحاد فيتشبه بها وان يتسع نطاقها مع الزمن فتضاعف عملها وتكمل الناقص فيه .

اخواني

امام هذا الامل الكبير الذي اعقده عليكم والسرور العظيم الذي اشعر به عندما اراكم ، عندما ارى جباهكم المشرقة بنور اليقين وعيونكم المتقدة بنار الحماسة وشفاهكم المختلجة بابتسامة المحبة ، لا اكتم عاطفة حزن وجزع تمر بي كما تمر الغيمة في السماء فتحجب

حيناً عن ذهني هذا الافق الجميل . ذلك ان هذا العمل قد لا يدوم شأن كل المساعي الجميلة في الشرق لا لانكم ستختلفون بعد الاتحاد، فان من ذاق حلاوة هذه الكأس يشتاق اليها ابداً ولكن لقلة الوسائل بين ايديكم، وكثرة النفقات من حولكم، ثم اغالط نفسي وابدد هذه الغيمة السوداء بما ارى حولي من بيض الايادي فاقول لا . لن يموت هذا الطفل الجميل بل هو من اولاد الحياة، لن تيبس النبتة التي سقتها يد الكريم ومقلة اليتيم بل ستنمو وتكبر حتى تصير شجرة باسقة راسخة الاصول ممتدة الاغصان .

زيتونة شرقية غربية نفاعة ابدا تدر زيوتا

ولا سيما عندما اجيل طرفي فاجد من خلق لمثل هذا العمل قريباً منكم مشرفاً عليكم كما يشرف الاب على بنيه لان المحسن الذي بسط يده بالامس لا يقبضها في الغد وعندي ان الفرد قد يعمل فيفيد اكثر من جمهور والاحسان الى هذه الجمعية احسان الى امة بل الى امم . احسان الى ابناء اليوم وابناء الغد . احسان الى الحاضر والى المستقبل والذي وقف للخير ماله الكثير قادر ان يجعل لها نصيباً من بره، يضمن لها البقاء الطويل ان شاء الله .

اظنكم عرفتم من عنيت ولا حاجة بي الى تعريفه ، واذا غابت طلعته اليوم عن هذا النادي فان اعماله ظاهرة فيه ناطقة بفضل نجيب نوفل .

وبعد . موضوعي من المهد الى اللحد . وهو موضوع واسع كما ترون يتناول حياة الانسان منذ يولد الى ساعة يموت فلا تكفيه دقائق معدودة وعلم محدود ، ولهذا لا ادعي خوض غماره هذا المساء وان هي الا تأملات وآمال عرضت لي عند ما لبيت دعوة الجمعية فاحببت عرضها عليكم موجزاً ما امكن الايجاز ماراً فوق الحياة كما يمر الطائر فوق البلد المأهول واقفاً حيناً بعد حين ، مسرعاً حيث لا يحسن الوقوف .

يولد الانسان وهو لايدري ولا ابواه يدريان ولا احد في الناس يدري ما يكون مستقره في الارض وما يكون حظه من الهواء والنور . تصور جنيناً في بطن امه وقبل الحياة على الرغم منه كما قبل لامرتين الحب فسينمو ويشتد ويدخل معترك الحياة وميدان التنازع على نسبة ما عنده من الاستعداد للنمو والعمل .

هذا الاستعداد هو رأس مال الحياة الذي يحمله الوليد عند

دخوله الى العالم فيكون اساساً لاعماله ومصدرا لحركاته وعلى نسبته تشتد قواه او تضعف ، وتسعد صحته او تشقى ، وتطول حياته او تقصر ، وهو يختلف في الناس اختلافهم في مظاهر الوجود فمنهم من يرث ارثاً شهياً ومنهم من يولد فقيراً معدماً فلا يكاد يفتح عينيه للنور حتى يتلقفه الموت لا لمرض فيه بل لانه لا قوة له على الحياة او بعبارة اخرى ليس له رأس مال يخوله البقاء حيناً على الارض فيذهب شهيد الفقر الصحي وضحية الاملاق الحيوي •

وبين هاتين الطبقتين الثروة والفقر درجات متعددة يتمتع فيها الانسان من الحياة على قدر ما ملكت بنيته من هذا الراسمال فمن عمر يوم الى عمر شهر الى عمر سنة الى عدة سنين حتى نصل الى القمة حيث يقيم الاغنياء اغنياء الصحة اصحاب الراسمال الحيوي الكبير الذين يعيشون طويلا متسربلين بالعافية وقلما تضعفهم الآلام او تقتلهم العلل بل تقف حياتهم عند انتهاء سيرها الطبيعي كما تقف الرصاصة التي تطلقها في الفضاء منتهية الى الارض عند نفاذ سرعتها الاولى بعد ان تكون رسمت قوسها المعلوم وقطعت مسافتها المحدودة •

لكن قليل هم الذين يصلون الى هذه القمة قليل هم الذين يعمرون

نحو المئة او يموتون ميتة طبيعية لان تنازع البقـاء قضى على الانسان ان يكون هدفا للاخطـار والامراض واذي الكائنات المحيطة به من الانسان نفسه الى الحيوانات العجم الى النبـات الى الظواهر الجوية وكلها تؤثر في راسماله وتجتهد في تبديده واضاعته فاذا لم يكن سهران عليه حريصاً ، ساعياً في حفظه مجداً، مقبلا على توفيره والتعويض عما انفق منه فقلما يسلم من الافلاس،وعاقبة الافلاس الموت الباكـر او الخسران ونتيجة الخسران الشيخوخة العاجلة والهرم قبل الاوان .

والمحافظة على الراسمال ليست سهلة كما يتوهم البعض وما هي عمل يوم او سنة بل عمل ازمان متعاقبة يتناقله الخلف عن السلف ومرجعها العناية بالعاملين الكبيرين اللذين يتنازعان الانسان في هذا الوجود وهما الوراثة والتربية . اما الوراثة فانها مصدر هذا الراسمال والاصل في تكونه واما التربية فلانها وحدها القادرة على تغيير الانسان في نموه تغييراً يطابق الوراثة او يناقضها ويقوي الاستعداد او يضعفه . وهنا مجال واسع للقول لا حيلة للجولان فيه فقد وعدتكم الايجاز والتربية موضوع مطول ولا سيما اذا طرقت نقائصها الكثيرة ودخلت مذاهبها المعوجة وطرقها الفاسدة واظهرت لكم ضلال القائمين بها من جانب

وتقصيرهم من جانب آخر فامر على هذا الفصل من كتاب الاجتماع مضطراً ولكن بعد ان اقول كلمة مجملة فيه وهي ان هذه التربية وعلى الخصوص ما تعلق منها بالصحة مباشرة لا تختص بجيل من الناس او عمر من الاعمار بل تتناول الجميع من رجال ونساء فيكون القيم عليها في الصغر الاباء والامهات وفي الكبر البنين والبنات وبين هذين الافقين فالانسان يربيه المعلم في المدرسة ثم يربي نفسه في مدرسة العالم .

قلت القيم عليها في الصغر الاباء لانهم مسؤولون عن حياة هذا الحيوان الصغير الجاهل كل شيء وتربيته بسيطة لو تدبروها تنحصر في امور ثلاثة : اكل وشرب ونوم ، نوم وشرب واكل وكل امراض الطفولة ناجمة عن الاخلال باحد هذه الشروط او بها كلها سواء كان بالكمية او بالكيفية .

والقيم عليهم في الكبر الابناء لان الواجب يقضي عليهم ان يعاملوا آباءهم بمثل ما عاملوهم في حداثتهم فيوفروا لهم وسائل الراحة والتعزية الملائمة ويحتفظوا ما امكن بهذه الذخيرة التي تكون كمصباح وضع امامهم في ظلمات المستقبل يهديهم بنوره وان كان ضئيلا .

اما المعلم في المدرسة فحسبي ان اقول انه كالطبيب فكما ان هـذا يعالج المريض لا المرض فالمعلم يربي كلاً حسب استعداده او قيمة رأس مـاله في الصحـة كما في العقل ، وبذلك يقرب النـاس من المستوى الطبيعي ويوفر للمتأخرين وسائل الارتقاء واللحاق بغيرهم لان عدم المسـاواة في التربية هي الواسطة الوحيدة للمساواة . ولا يتوهم احد انني اقصد المساواة المطلقة فهي مستحيلة الوجود بين الناس مهما تغنى بها شعراؤهم وركض وراءها فقراؤهم وحارب من اجلها زعماؤهم .

ان الفكرة الاولى التي شيد على اساسها مبدأ المساواة الجميل هي فلسفية وسيـاسية معاً . اما السيـاسية فلان الظلم كان بالغاً نهـايته في الحكومات ، والثروة منحصرة في فئة من الناس لا تخرج من ايديهم والمحاباة واضعة اثقالها على الاعناق ، والرياء والمداهنة من حول العرش يمجدان التاج ويعززان الصولجان فهبت ريح الثورة وكان اول صوت صارخ في ابواقها الرجال سواء في الحقوق والواجبـات هـكذا تولد وهكـذا تعيش . اما الفلسفية فمن مولدات جـان جـاك روسو وكوندلياك واشياعها لاعتقادهم ان الانسان يخلق صالحـا والاجتماع يفسده ، وان مساواة الحقوق نتيجة مساواة طبيعية حاصلة بالقوة .

ولكن هذه المساواة الطبيعية غير صحيحة كما دلنا عليه اختلاف رأس المال الحيوي وتباين الناس في استعدادهم الفطري ، فترى هذا قوي البنية وذاك ضعيفها ، هذا شديد المراس يستطيع احتمال المشاق ومقاومة الامراض ، وذاك سريع التعب يدب اليه الضعف لادنى سبب .

الواحد يأكل ويحرق في اعماق جسمه ما يأكل . والثاني يتمتع بالقابلية نفسها للاكل الا انه بطيء التغذية الحلوية والتمثيل ، فلا يسلم من داء النقرس او الحصى او السمن المفرط وما شاكل . فضلا عما يحمله الجنين من دمغة الوراثة وهو في بطن امه : فابن السكير يرث جسما مستعداً للصرع والجنون اكثر من غيره ، وابن المسلول يرث جسما حساساً قابلا لهذا الداء الوبيل اكثر من سواه،بل المساواة لو تأملتم مفقودة في الانسان الواحد ، فهو قسمان متقابلان بينهما اشتراك في بعض الاعضاء كالقناة الهضمية والقلب واللسان ، ولكل من القسمين دماغ وكلية وعين واذن ويد ورجل تختلف في اليمين عما هي في اليسار في الحجم والقوةوالشعور وهذا ما يسمونه بالانسان الايمن والانسان الاعسر .

فالمساواة الطبيعية كما ترون وهم بنيت التربية في المدارس على اساسه فجاء بناؤها فاسداً قلقاً ، لان اعتبار التلامذة في درجة واحـدة من المقدرة على الدرس والعمـل والرياضـة والادراك وفيهم المريض والكسلان وضعيف الهضم وثقيل السمع وغير ذلك ظـلم عاقبتـه التقصير والذل والمرض .

قال باكون الفيلسوف :لا يحكم الانسان على الطبيعة الا بالخضوع لها يعني ان نراعي حالة من نربيه ونجاريه في استعداده ونسايره في ميله لنبلغ مأربنا من تثقيفه وتقويمه .

يخرج الانسان من المدرسة نامي العقل والبدن وقد توفرت لديه ذرائع الجهاد ، فلم يبق له الا ان يستعمل ما عنـده من راس المـال ويستثمره ليرجع عليه بالفائدة الكبرى ، ويربح منه غاية ما يمكن ان يربح ولا يتم له هذا الا اذا حافظ على الشرط الوحيد في هذا الدور من العمر وهو الاعتدال . الاعتدال في كل شيء: في الاكل والشرب والنوم . في العمل والتعب ، حتى الراحة نفسها لا يجوز الافراط فيها. وهنا يظهر فضـل التربية الاخلاقية التي تجعـل الانسان حاكما على مزاجه لا عبداً له فلا يستسلم كل الاستسلام للاحـداث النفسانية :

كالفرح والحزن والغضب والعشق ، بل يجتهد ان يكون قليل الاحساس والشعور ما وجد الى ذلك سبيلا .

معاذ الله ان اقصد بكلامي محو الاحساس من صفحة الوجود وتجريد الانسان من كل عاطفة ، ومن فهم ذلك فقد ظلمني وجهل حقيقة امري .

فالاحساس قاعدة العمل في حياتنا الادبية ومن الجنون ان نطمع بهدم هذه القاعدة ، ولكن الانسان قد بالغ في الخضوع لسلطان التأثر ولج في تمجيد الالم والحزن والهوى ، وطاب له موقف روميو على قبر جوليت ، وتكرر تمثيل هذا الفصل المحزن في القصص والروايات والحوادث اليومية مع ان الخضوع لمؤثر ما الى درجة الرق ضعف بل مرض يدفع الانسان في مزلق لا خلاص منه ولا نهاية له ، فالتربية الاخلاقية لا تقتل العواطف ، ولكنها تضع حداً لتيارها ، حتى اذا طما لا نغرق فيه بل ندربه في الوجهة التي يمكن اخصابها والانتفاع بها ، كالنيل نقيده في المجاري ليتجه الى البقعة التي يطلب ريها .

اذا وصل الانسان الى هذا الحد ، اذا امكنه ان يدرج من عشه ويقطع المرحلة الاولى بدون ان تنتابه امراضها المضعفة ، ثم نما بدنه

وعقله نمواً صحيحاً ، وتلقى تربية صحيحة تكون اساساً لحياته الاجتماعية حتى اذا دخل في دور الجهاد الحق ، استطاع ان يستثمر ما خزنه في ايام نموه ويشيد على ماضيه بناء متيناً ، اذا وصل الى هذا الحد فبشره بعمر طويل هنيء ، لا يحس فيه بفقر الى الراحة او القوة بل يتمشى مشية طبيعية نحو الشيخوخة التي اقلقت الانسان من عهد بوذا وارانا منها اليوم متشنيكوف افقاً جديدا باسماً .

هذه هي كلمتي المجملة عن التربية وتأثيرها في الراسمال الحيوي ، ولي مثلها عن الوراثة وهنا ايضاً لا اطيل وقفتي لاني لا اقصد ان اشرح لكم اعراض الوراثة واقسامها وآراء العلماء فيها وفي التعليل عنها مما ملئت به مجلدات العلم والطب ، انما اتناول ما يهمنا مباشرة للحديث الذي نحن في صدده من تحسين الراسمال وتقوية الاستعداد بترقية النسل ، فاذا صح ان الوراثة هي التي تقدم الارض المزروعة ، وكانت الغاية من التربية نزع البذار الفاسد وتعهد الصالح بالسقي ، فعلينا ان نمهد السبيل للتربية ونسهل عملها بالعناية بالزرع ما امكن ، وذلك لا يتم الا بانتخاب العاملين اللذين يؤثران فيه ، اي في الزرع وهما الاب والام ، او بعبارة ثانية باختيار الزوج وتحسين الزواج .

رب قائل يقول ، ما للخطيب وهذا المأزق الخشن وما بال هذا العازب يريد ان يباحثنا في الزواج ، فاذا كانت غايته ان يسوقنا الى مواقفه المحزنة ، فلا يرينا في هذا الروض سوى ازهار ذابلة واغصان يابسة فنحن في غنى عن ذلك ، واذا كان يحسب الزواج من حسنات العمر ، وفرص الدهر التي يجب انتهازها فليقدم عليه و كفى .

لا هذا ولا ذاك ايها القوم الكرام انا انظر الى الزواج بعين الطبيب لا بعين الشاعر ولا بعين الفيلسوف ، واذا حق للخطيب ان يقف موقف المصلح في مثل هذا الجمع الذي برهن بما اتى انه اهل لقطع سلاسل التقليد والخروج عن المألوف .

فكلمتي عن الزواج كلمة انتقاد لا اقصد بها ذاتاً معينة يدفعني اليها ما اراه كل يوم من ضحايا الزواج واسمعه حولي من تلك الشكوى الازلية التي رن صداها في العهد القديم بلسان حزقيال النبي : «الاباء يأكلون الحصرم والاولاد يضرسون . »

كان التنافس في سبيل المرأة بالغا غايته في العصور المتوسطة الا انه كان بالقوة البدنية والمبارزة ، فالفائز في ميدان الكفاح هو الفائز باكليل النصر من يد الحبيبة .

اما اليوم فقد صارت المنافسة بالاشياء المادية كحسن الصورة واللباس ، او المعنوية كالموسيقى والغناء ، او العقلية كالذكاء والعلم ، غير ان هذه الصفات قد تكون ظواهر غرارة تخفي تحتها عيوبا صحية يجهلها طالب الزواج او يتجاهلها ، فتنتقل بحكم الوراثة الصارمة الى البنين ، فاذا اردنا ان نجعل رأسمال الحياة كبيرا كافيا ليقطع حامله مراحل العمر براحة وهناء ، حق علينا ان نتنبه الى الزرع ، فلا نلقي في ارض الحياة حَباً فاسداً ولا حُباً فاسداً .

والصفات المعنوية تنتقل بالارث كالمادية ، فاذا غلب القبيح فيها ظهرت آثاره في النسل سواء كان في العقل او في الاخلاق والامزجة فالواجب الاول على الراغب في الزواج ان يتدبر هذه الاحوال كافة .

انا لا ابالغ كبرناردشو في فلسفته فاحصر الزواج في دائرة ضيقة لا يتخطاها ، فلا نزوج الا العالمة بالعالم ، والقوي بالقوية ، والغني بالغنية ، والجميل بالجميلة ، ونصدر حكمنا القاسي على الباقين ، وهم السواد الاعظم ممن لم يسعدهم الحظ ان يكونوا اذكياء اقوياء او يكونوا من اهل الجمال او المال ، فان هذه الفلسفة صورة استبداد محض ، فضلا عن انها حلم لا يتحقق لكن لا اريد ان يكون دخولنا

من هذا الباب وسيلة للـذة الذاتية ودربة لقضـاء اهواء الناس دون النظر في عواقبه الممكنة واجتناب ما يجب اجتنابه من اهوالها .

اجمع العلماء اليوم على ان الانسانية سائرة الى التقهقر في التركيب والنمو وان كانت على تقدم باهر في العلم والاختراع .

فاجسامنا اضيق واقصر من اجسام اجدادنا ومعدل الحيـاة اليوم ينزل عما كان عليه في الماضي ، وربما كان ذلك على زعم بعضهم ناتجاً عن التمدن نفسه فان الانسانية قويت على كشف اسرار الوجود واستخدام قسم من قوى الخليقة . ولكن ذلك كلفها كثيراً فكانت كالجندي الذي يخرج من الحرب ظـافراً فانه يخرج ايضـاً ضعيف القوى .

ومما يزيد في هذا التقهقر ويساعد عليه ان الطب على تقـدمه لم يتوصل الى شفاء الامراض بل توصل بالمعالجـة الى تخفيف آلامهـا والمد في اجلها . فكانت النتيجة ان المسلول والمزهور ومختل الشعور يعيشون اليوم اكثر مما كان يعيش امثالهم في الماضي ولا يمنعهم المرض من الزواج والتناسل فتنتقل آفاتهم الى اولادهم ويزداد بالتدريـج عدد الضعفاء والمرضى بدلا من ان ينقص فترون من هذا كم يقتضي

من الوقت والعناية والتجرد عن المصلحة الذاتية ليوفق الفرد او الاسرة الى سلالة صحيحة راقية .

كان اهل سبارطة ياخذون الطفل الوليد ويفحصونه فحصاً دقيقاً فاذا وجدوا فيه ضعفاً او عاهة قتلوه ولا يسمحون بالبقاء والنمو والتناسل الا للقوي الجسم الصحيح البنية وهذا هو سبب بقاء الجمال والقوة زمناً طويلا في هذا الجيل كما يرويه لنا التاريخ .

وكثير من قبائل الهنود ذوي الجلود الحمراء من اميركا الشمالية يرجع الفضل في قوة بأسهم وشدة مراسهم الى استعمال هذه العادة فنحن لا نطلب ان نقلد اهل سبارطة ومتوحشي اميركا انما نطلب ان يكون لنا وجدان حي وضمير صادق فلا نتهور في الزواج قبل التدبر لنتائجه ما امكن والتحرز من اضراره جهد المستطاع، نطلب ان يكون طالب الزواج رقيباً على نفسه فلا يقدم عليه وهو مريض فيحقق تلك الجناية التي استصرخ ضدها فيلسوف الشعراء الاجيال الاتية .

نطلب من الشاب ان لا يصرف اجمل ايام العمر الايام التي يمكنه ان يقوم فيها باسمى الاعمال ، ايام النشاط والتوليد والاختراع، يقضيها في الشرب والسهر وما وراءهما من اسرار الليل حتى اذا طوى صفحته

الجميلة واستنفد رأسماله او كاد، جاء الى الزواج يطلب الراحة في ظلاله والسكون من ورائه فيظلم فتاته ويظلم اولاده من بعدها، نطالب من الوالدين ان يكونوا كباراً في نفوسهم واخلاقهم، فلا يعرضوا اولادهم الى مصائب العيلة، ارضاء لاميالهم الذاتية واطماعهم المادية .

اسألكم ما هو عدد الذين يقومون بما ذكرت من الشروط . كم من الذين يتخذون الزواج العوبة فيقدمون عليه وهم يعلمون حق العلم انه لا قدرة لهم على القيام بواجباته المقدسة، وبالعكس كم من الذين يمنعون عنه لا لعدم توفر الشروط الصحية والادبية فيهم بل لعلة العلل التي هي المال او لعلة لا تقل عنها شراً وهي الدين .

الدين لا كما وضعه الله آمراً بالحب داعياً الى السلام، بل الدين كما اراده البشر آمراً بالتعصب حاملا على الخلف ناهياً عن اتحاد قلبين لم يتحدا في مذهب العبادة .

اخواني

ما لفظت كلمة الدين لانحي عليه باللائمة وما انا من يطلب ابطال الدين الذي قال عنه ميرابو : انه ضروري للانسان كالحرية، بل لا احب ان تعرض فرصة فتفلت دون ان اظهر فكري بهذا الشأن

واحارب من يعتقد ذلك ، فالاديان كما قال غوستاف لبون : ابواب مفتوحة تطل على عالم الاحلام،والانسان لا تكفيه الحقيقة ليعيش فيها بل هو في حاجة الى الامل،ولا تجد في سوى هذه العوالم المجهولة ما يخوله ان يبني قصوراً مسحورة آهلة بالاحلام منيعةعلى كل من يحاول هدمها ، لان العين البشرية لا تصل اليها . انما قصدت ان اقول انه مضى الزمن الذي كانت فيه سياسة الممالك وقيادة الشعوب صادرة من وراء الهياكل . فالدين لا دخل له اليوم في الاحوال العمرانية حيث جلس العلم على سرير ملكه وحسبه ان يبقى في دائرة صلتهبين الارض والسماء والخالق والخليقة .

متى عرف الكاهن ذلك ، متى وجد رؤساء عقلاء ينشأون وينشأ من تحت ايديهم امثال لهم رعاة متنورون مستقلون فكراً ، احرار ارادة نزهاء عن الغايات لا يهمهم الضغط على الافكار استجلابا للناس اليهم، مكتفين ببث مبادىء الحب الذي تأمر به الاديان كافة، معترفين بالفضل اين كان في سواهم كما في ذويهم .

متى فكوا الزواج من عقاله ، واطلقوا الحب من قيوده المذهبية فارجعوا الشريعة الطبيعية وهي شريعة الله الى مقامها فوق شرائعهم

الفـانية ، متى تم كل ذلك فقـد سقط سور عظيم من اسوار التقهقر والاستبداد ، وطلع فجر جديد للحرية في ضمير البشر .

اخواني

هذه هي التـأملات التي عرضت لي والآمال التي احببت ان تشاركوني فيها .

ما اجمل اليوم الذي تنتشر فيه هذه المبادىء الصحيحة العمرانية فتصلح التربية بمقتضى استعداد الانسان ويصلح الزواج لترقية النسل بتخفيف مساوىء الوراثة ، فتكون النتيجـة غنى الانسان برأسمـاله الحيوي ليقوى على مكافحة عناصر الوجود ومقاومة الامراض التي تعكر كأس الحياة وتقصر مدى العمر .

وما احراكم وقد كنتم البادئين بالدعوة الى الاتحاد في هـذه الديار ان تولوا وجوهكم هـذا المقصد النبيل فتبثوا روح الاصـلاح بالقول والعمل .

اتعلمون من انتم الان يا اخواني كرام السوريين في طنطا ؟ لستم فقط مجموع قوى وارادات وعقول ، انتم صورة من الواح الشرائع الادبية ، شرائع المحبة والرحمـة والاخاء التي سيظهر المستقبل نورها

الساطع على طورسينا الشرق الجديد . والوظيفة التي تقلدتموهـا من اسمى الوظائف لانكم جئتم لتلقوا كالمسيح حربا لا سلاما . وعدوكم ليس رجلا ولا جماعة . هو جيش من التقاليد الفاسدة والعادات المضرة . هو وحش ذو رؤوس كثيرة كالوحش الذي قتله هرقل في خرافات الاقدمين،هو الجهل قبل التعصب والخمول قبل الفقر والظلم قبل المرض والجوع .ولقد حاربتم التعصب بالاتحاد والفقر بالاحسان ولكن الوحش لا يزال حياً شامخ الرؤوس يتهدد الفريسة من كل جانب !

انا من الذين يطأطئون الرأس امام هذه الاعمال المقدسة : اطعام الجائع ، والباس العريان،ولكن لا اجهل مساويء هذه الطريقة التي تعود في الغالب الكسل وتقود الى الذل .

والذي اريده واتمناه هو الاحسان بصورتيه الادبية والمادية : الاحسان بالعمل قبل الدرهم،هو ان لا يبقى بيننا فم جائع ، ولا فكر مظلم ، هو ان نرسل القوت الى جوف الفقير والنور الى فؤاده ، ليبارك كـنـا اذا تعلم كما يمجدنا اذا شبع .

الذي اريده واتمناه ان تعم التربية الصحية الاخلاقية بين كل

طبقات الشعب المتنورة وغير المتنورة ليقتصد الانسان في انفــاق قواه البدنية والعقلية ، ويكون له ضمير حي يدفعه الى خدمة هــذا المبدأ العام الذى هو ارتقاء النسل حتى لا يكون الزواج فيما بعد على حــد قول الشاعر :

على الولد يجني والد ولو انهم ولاة على امصارهم خطبــاء

واذا وجهت لـكم هذا الحديث فلأ نى لا ارى من حولي سواكم وقد قدرتم على ما هو اصعب ، قدرتم على ضم العناصر المختلفةوهدم ذلك الحاجز الهائل الذي ما زال في الشرق يفصــل الاب عن بنيــه والجار عن جاره، فستقدرون على نشر هذه المبادىء .

لا تستكبروا الخبر ولا تستصغروا انفسكم امام الغاية ، بل كونوا لهــا نصراء في الدائرة التي انتم فيها ، ليحفظ كل فرد منــكم هذه المبادىءوليحملها حيث ترمي به الاقدار.ابدأوا بانفسكم،ازرعوا المحبة في الارض والمستقبل يتعهد بالباقي.اقدحوا الزناد في هذا الهشيم اليابس والشرارة الصغيرة تصيرناراً آكلة تطهر ما حولها من ارض وسماء . اعملوا ولا تخــافوا صعوبة الموقف،بل انظروا الى المستقبل بجسارة

كما نظر دانتون الى اوروبا ، ويقين كما نظر لامنه الى اللانهاية ذلك المستقبل الكثير الاسماء الذي يسميه الجبان مستحيلا، ويسميه الجاهل مجهولا،ونسميه نحن الفاكرين طريق الكمال .

حفلة تكريم في النادي السوري

ايها السيدات والسادة

ما شعرت عمري بصعوبة الموقف مثل هذه الليلة لاني اعلم كطبيب ان الكلام في موضوع كالذي دعيت اليه لا يوافق المكان ولا الزمان، واذا كنتم قد اشتركتم عن رضى في هذا العيد فليس من الادب ان انغص عليكم هذه الساعة بالشكوى . اقول هذا وان اكن واثقاً ان ما سمعتموه من اشعار شيبوب الجميلة وما ستسمعونه من اخي مطران سيخفف من وطأة خطابي ويلطف من شدة عتابي .

ولو كان الكلام للخيال لما ضاق بي مجال القول فان هذه الحفلة الجميلة بما تجلى فيها من مظاهر القومية، وهذه المائدة الفاخرة وما عليها من ازهار وانوار وما حولها من وجوه هي كالزهر او اطرى وكالنور او اصفى لما يلهب الخاطر هياماً وينزل على القلب وحياً

والهاماً . ولكن الموقف ليس للغزل والنسيب فما حيلتي كشاعر باعظم من حيلتي كطبيب .

على ان هذه الحفلة وان تكن حفلة عشاء فليس المقصود بها الاكل فقط بل وبما كان الاكل آخر ما فكر به القائمون بتدبيره ، ولهذا اخلع عني رداء الطب واطوي جناح الشعر واجعل حديثي معكم حديث الجار لجيرانه او الاخ لاخوانه .

يتمثل لي في هذا الاجتماع غايتان : الاولى هي التعارف البسيط لانه على الرغم من وجودنا في بلد واحد لا نزال مع الاسف يجهل بعضنا بعضاً . والثانية هي الوقوف على امرين ما اجتمعا في قوم الا كانا من مظاهر نجاحه وبشائر اصلاحه . هذان الامران هما صنع الجميل وعرفان الجميل .

في صدر هذه المائدة ذاتان مختلفان في العمر والجنس والنسب والوظيفة ولكنهما متفقان في حب الخير . السيدة الجليلة المنحنية تحت ثقل السنين الحاملة على رأسها تاجين : الشيب والوقار . والكاهن الكهل المتليء بنشاط الشباب وعزم الفتوة المشرق نظره بشعاع الامل واليقين . لتكريمها اجتمعنا وما التكريم باحراق البخور

والمدح المبتـذل ، فقد سئمنا هـذه العـادة ، وحق لنا ان نتخلص من قيودهـا ، لان الانسان مسؤول عن اخيـه الانسان ، واذا كان الناس قد جهلوا هذه الحقيقة او تجاهلوها الزمن الطويـل فاليوم قد انشق الحجاب من الابصار وعن البصائر وعرف كل واحـد منا ان الاحسان واجب لا لزوم للشكر عليه . ولكن قليل من يقـوم بهذا الواجب فنحن نريد بتعداد مآثر المحسنين ان نستخرج منهـا امثولة خير وعظة صالحة للغير .

انا لا اكتمكم كرهي للطائفية ، واحب بكل قلبي وضميري ان تزول هـذه الحواجز الواقفة بين فريق وآخر ،والتي كانت ولا تزال العامل الاكبر على تنابذ ابناء البلد الواحد وتقصيرهم في ميدان الجهاد والخدمة نحو الصالح العام . ولو خيرت لما احببت الانتساب الى طائفة من الطوائف . اقول هذا بشجاعة ضمير ولا استحي فيما اقول . ولهذا افضل ان لا ادعى للكلام في حفلة او موضوع يشتم منه رائحة المذهب والاختصاص بقوم دون آخرين .

الا ان ازالة هذه الحواجز الطـائفية لا تزال واأسفاه حلماً من الاحلام ، وبما اني وجدت ارثوذكسياً فلم يكن بد من تلبية اخواني

الارثوذكس الى دعوة يراد بها خدمتهم عموماً. من اجل ذلك تروني بينكم هذا المساء فاحييكم واحيي المبدأ الشريف الذي اجتمعتم لاجله في صورة تكريم لمن اردتم ان تكرموا واني افتخر ان يكون فينا ايها الاخوة امرأة كمدام سياج ، ورئيس روحي كالارشمندريت اسطفان .

افتخر بمدام سياج لانها عرفت ان تنفق مالها في السبيل الذي يجب ان تنفق فيه الاموال ، فما كانت عبدة للبخل ولا اسيرة لحب الذات .

وبينما نرى الكثير من رجالنا يعرضون عن الخدمة العامة ، واذا جاد الواحد منهم بشيء فبالنزر اليسير وبعد الطلب الكثير ، نراها تفتح خزائنها بلا حساب وتبسط اليد البيضاء بالعطية البيضاء .

وافتخر بالكاهن اسطفان لانه من لا شيء اوجد لطائفته اشياء . فقد ترأسها قبله غير واحد . وتعاقبت عليها الايام والسنون فما افادها مثله احد . اسس جمعية للاشغال اليدوية وجعلها حجر الاساس في بناء المستقبل ، جمعية صغيرة جل ما حوى صندوقها بعد الجهد الجهيد ١٨٠ جنيهاً فما منعه ذلك ان يؤسس مدرسة تجمع ١٥٠ تلميذاً . ثم

قصد الى مدام سياج وقد حباه حب العمل قوة الاقناع فما ردت له طلباً بل افاضت عليه الالوف من الذهب فضلا عما وقفته للاعمـال الخيرية من كنيسة ومدفن وغير ذلك .

ملة فقيرة في دخلها فقيرة في اوقافها لا مدرسة لابنائها ولامستشفى لمرضاها ولا مدفن لموتاها ، تصبح بين عشية وضحاها بسعي رجـل واحد وكـرم امرأة واحدة غنيـة ذات دخل واوقاف ومـدفن ومدرسة . واذا شاء ربك اتم نعمته عليها بالمستشفى القريب . كلكم يعلم ان الرئاسة الروحية ليست اليوم كما كانت قديماً بل اضاعت كثيراً من امتيازاتها ولم يبق لهذا الثوب الاسود ذو الاكمام الواسعة يؤثر في عقول ابناء هذا الجيل . ولكن ماذا يهم الارشمندريت اسطفان ذلك فعنده سلاح امضى من هذه السلطات التقليدية والنفوذ البالي . عنده الاجتهاد والصبر والذكاء . هو يعمل عن حب والحب مبعث الارادة . يعمل عن امل والامل نور الحياة . يعمل عن ثقـة بالنفس والثقـة بالنفس اساس النجاح .

الثقة والامل والحب او بعبارة الانجيل الايمـان والرجاء والمحبة هي الثالوث الذي اضاء في محراب ضميره الناصع ، فمهد امامه عقبات

السبيل وقرب اليه الغاية البعيدة .

نعم ان المدرسة دون ما نطلب والمستشفى لا يزال في عالم الاحلام ولكن الهمة لم تفتر والسعي لم ينقطع والنبع الفوار لم ينضب ماؤه، وتلك الفكرة التي تدير، وهذا اللسان الذي يتكلم، وهذه اليد المبسوطة ابداً للخير لا يزال عملها متواصلا . والشرارة التي طارت من هذا الاتون ستلهب ما حولها بلا شك فنرى بين رجالنا في آخر الامر من يسمع باذنيه ويبصر بعينيه، فيهب الى مناصرة هذه الفكرة بدل الواحد عشرات وبدل العشرات مئات. ولا تحسبوني اعني بما اقول الاغنياء فقط . كلا ومعاذ الله ان يتنصل الباقون من هذا الواجب . ان عملا كهذا يجب ان تشترك فيه الملة جمعاء كبيرها وصغيرها غنيها وفقيرها بل اذا قصر الاغنياء لا سمح الله فحاشا للملة ان تنوء بالحمل وترزح تحته مهما كان ثقيلا . حاشا للملة ان تقف في منتصف الطريق وقد علمتها الايام ان الحركة لا تمتنع على الطائفة اذا لم يتحرك كل اغنيائها . سلوا التاريخ ينبئكم ان العمل الكبير المفيد هو ما قام به الشعب باتحاد افراده . وا كثر الخيرات التي تتمتع بها الانسانية، وا كثر المواهب التي افاضها العلم على العالم، لم تصدر من اهل الغنى ولم تخرج

من القصور الشاهقة ولم تجلس فوق المقاعد المذهبة ولم تضطجع على الدمقس والحرير وانما هي صنع اهل العلم والجد والتضحية، خارجة في الغالب من اكواخ بلا سقوف وبيوت سوّدها الدخان وايد انحلها الصوم .

على ان الايام قد تغيرت فالثري اليوم غيره بالامس وقد افسحت الانسانية مجالا في الضمائر للواجب فلا بد بحكم الضرورة ان يندفع اصحاب الثروة مع التيار . الايام قد تغيرت وعامة الشعب ايضاً هي اليوم غيرها بالامس فقد رفعت رأسها بعد الذلة والخنوع وصار الواحد منا لا يتهيب ذا المقام لمقامه ولا يكرم بعد الان الا العمل الكريم . يجب ان تذاع هذه الحقائق في الاندية والمجالس . يجب ان تفهم تلك الفئة التي تتصدر في المحافل ولا ميزة لها سوى غناها اننا لا نقبل بها بعد اليوم . لا نقبل بالزعامة علينا الا للذي يفهم ان الزعامة هي في خدمة الصالح المشترك فيه لا في الوجاهة الباطلة . ليس الشعب سلماً يمشي عليه من اراد نحو الشهرة والنفوذ . فليتنح عن الطريق كل مقصر ، ليتنح عن الطريق من يخاف على نفسه من الافلاس . اما نحن فحسبنا ان نريد فنفلح ولنعلم اننا مع الاتحاد نصل بالقليل الى

الكثير ، ومن استغنى عنا فنحن في غنى عنه وهو الخاسر ونحن الرابحون .

يا اخواني لقد حمل لواء المجد امامكم امرأة فاين الرجال ؟ اين الرجال ؟ ماذا يعني تصفيقكم اذا كان من الايدي لامن القلوب ، ما ينفع هذا الهتاف اذا كان صادراً من الشفاه لا من اعماق الصدور . اريد ان تكون هذه الحمية حمية ثابتة . اريد ان يكون هذا التحمس تحمساً مستديماً لا شعلة قش سرعان ماتنطفيء ، اريد ان يكون هذا الاندفاع الشريف البادي فيكم الان اندفاعا حيا فلا يزول متى جاوزتم عتبة الدار . اريد وما اكثر ما اريد .

اريد ان تكون كلمتي الاخيرة لكم كلمة امل ورجاء ، امل بحميتكم وشهامتكم ، رجاء باتحادكم واقدامكم . اساس العمل موجود الان فلا تدعوا الفرصة تفوت بل تقدموا متكاتفين متخذين مثلا لكم هذا الفاضل في سعيه وهذه الفاضلة في سخائها ، نحن في حاجة الى مدرسة والى مستشفى بل حاجتنا الى المستشفى اعظم لان المدرسة مهما أتقناها فهي لا تغنينا في كل الاحوال عن سواها وقد مضى الزمن الطويل وابناؤنا يتلقون العلم في المدارس الاجنبية فما ضرهم ذلك . واما

المستشفى فهو يغنينا في موضوعه عن كل مستشفى اخر . ولا تظنوا افادته موقوفة على الفقراء فقط فهو الذي يحفظ كرامتنا كاملة ويخلد لنا اثراً مشكوراً .

كم سعينا الى انشاء مستشفى سوري فرأينا دونه حوائل جمة، فهلا خطونا الخطوة الاولى في هذا السبيل ؟ يكفي اذا مشى على منهاج مدام سياج واحد او اثنان من القادرين فينا والراغبين معنا بالعمل ليتم المشروع في اسرع وقت .

وهذه نصيحتي لكم اذا سمحتم ان يحرص القائمون فينا بالعمل على ما وهبت هذه المحسنة فلا يبعثر في مشروعات صغيرة فائدتها محصورة بينما نحن في حاجة الى المستشفى الذي بدونه لا نزال مقصرين نحو الفقير ونحو الضمير .

هذا هو املي الحي بكم ، على تحقيقه ارفع هذه الكأس شاربا سر مدام سياج وسر ارتقاء الطائفة الارثوذكسية بفضل رئيسها الروحي وابنائها الكرام .

حجر الاساس لمدرسة سياج

ايها السيدات والسادة :

دعيت منذ سنتين الى حفلة عشاء في النادي السوري اقيمت لتكريم رجل وامرأة ، اما الرجل فلانه سعى ، واما المرأة فلأنها اعطت . سعى الرجل الى انشاء مدرسة لفقراء طائفته فافلح . ولبت المرأة دعوة الواجب فوهبت من مالها في هذا السبيل عشرة آلاف جنيه .

هذا السعي ، وهذا العطاء قد اتيا اليوم الى هذا المكان ليتجسما في صورة شاخصة تفرح بها العين كما فرحت الاذن وكما سيفرح القلب ان شاء الله : مدرسة صغيرة في حد ذاتها لانها لا تسع الا فئة من الطلبة ، ولا تضم الا طبقة من الناس . ولكنها عظيمة في عيني بالغاية التي انشئت لها ، بالجهد العظيم الذي صرف في سبيلها ، بالعامل الجديد

الذي استند اليه في تكوينها .

اما الغاية فلانها ستكون كالبيت يضم اسرة واحدة من مختلفي ابناء الشقاء ، الذين لا يعرفون ملذات البيت ، ستكون الاب لمن فقد اباه ، والام لمن حرم حنان الام . ستكون فوق ذلك درعا منيعة للاجتماع لان الفائدة من تعليم الفقير لا تنحصر فيه ، بل تمتد من حيث لا ندري الى سائر الطبقات .

واما الجهد فلان انشاء مدرسة من لا شيء في زمن كالذي نحن فيه ، وبين قوم جلهم متصف بالاغراق في الانانية ، لا يتم الا باعجوبة واذا عد نجاح الارشمندريت عظيما فليس في الواقع باعظم من التعب الذي عاناه قبل الوصول اليه .

اما العامل الجديد فلا اخالكم تجهلونه. وهذا اليوم حسنة من حسناته . فان المرأة التي قلما عودتنا في الماضي الاهتمام بالمشاريع القومية اصبحت اليوم والحمد لله اول السابقين اليها ، واحنى الساهرين عليها . فيحق لجمعية يد الانسان ان تفتخر لانها وصلت الى ما لم نصل اليه نحن . فافلحت حيث قصرنا ، وكان لها علينا السبق في هذا الميدان .

حجر الاساس لمدرسة سياج

يا سادة : اذا جاز لي في هذا الموقف ان لا اكتفي باحراق بخور الثناء ، اذا جاز لي ان اقول كلمة نافعة ، وان اكن هذا اليوم ضعيف القوى لاطاقة لي على الكلام ، اذا جاز لي ذلك فاني اوجه كلمتي هذه الى كل واحد منكم . نحن اليوم في عصر محيت فيه كلمة انا وبدل منها كلمة نحن ، فصار الاحسان ، سواء بالمال او بالعمل ، حقاً من حقوق الضعيف على القادر ، والفقير على الغني ، تلك حقيقة لا يجوز ان نتعامى عنها فقد كنا فيما مضى نقول للمحسن،ارحم ياسيدي يرحمك الله ، فصرنا نقول ، ارحم يا هذا يرحمك الانسان . ذلك لان الانقلاب الاجتماعي الهائل الذي هز العالم قد ترك فوق رؤوسنا سيفاً مسلولا . واذا كان لايزال بيننا اناس يعرفون ذلك ولا يتحركون وان دعوناهم الى الخير لا يسمعون ، فليس لانهم بلغوا من الشجاعة ما لا يهابون معه سوء المصير ، ولكنهم ينظرون الى الانقلاب كما ينظرون الى الموت فهم يشهدونه كل حين ويبعدونه عن افكارهم وهكذا يقفون امام هذه الريح العاصفة وهم يحسبون انها لن تمسهم . مثل هؤلاء يستحقون الشفقة قبل اللوم لانهم لا يدركون فمن يدري ما يأتي به الغد ، من يدري ؟ ان الحرب العالمية قد ايقظت

الوحشية في الانسان ، واهاجت فيه قابلية الموت فصار النزاع حامي الوطيس . لم تعد الحرب محصورة بين شعب وشعب او بلد وآخر ، بل صارت حربا عمومية بين العمل ورأس المال ، بين المالك والاجير ، بين المتنعم والمتألم . حرب ظاهرة وخفية لا تعرف الهدنة ولا تخبو لها نار . ميدانها السوق والمكتب والبيت وكل مكان . من هو الرجل الذي يظن نفسه في امان منها والعدو يحيط به من كل جانب ، من خادمة المنزل التي تأكل خبزه ، الى نجاره وحداده ، الى بقية حساده حتى الفقير الذي يطرق بابه متسولا ، لا نعلم بما تحدثه النفس الامارة بالسوء ، هذا ايضاً من المهاجمين نطلق عليه قنبلة من الصدقة او قذيفة من الوعود فيذهب على ان يعود بعد حين وسيعود كلما سنحت له الفرصة حاملا في اطماره الحقد والطمع وحب الانتقام . حتى اذا دقت الساعة كان اول العاملين على الفتك والتخريب .

اجل يا اخواني ، نحن لا نتعجب اليوم اذا كنا نتصدر في المحافل آمنين ، ونركب السيارات تنهب الارض نهباً دون ان نهتم بمن نعفر في طريقها او تدوس ، لا نتعجب اذا رآنا الفقير ، نسافر في الدرجة الاولى ويرضى ان يتكدس كالحصيد في الدرجة الثالثة ، لا

نتعجب اذا لم يهجم علينـا في المراتص والاعيـاد فيشرب الخمور من اقداحنا ، ويستل الاطايب عن موائدنا . لا نتعجب لاننا تعودنا ذلك فظنناه امراً طبيعياً ، حذار يا قوم حذار فقد تأتي ساعة تسقط فيهـا كل الحواجز . تلك ساعة العجب يوم نرى انه بين عشية وضحاها قد نبتت في هذه النعاج انياب الذئاب .

من اجل هذا يجب ان نخفض من غلوائنا ، يجب ان نحترم الشقاء من حولنا فنسدل ستاراً من الحياء على ملاهينا وملذاتنا . من اجل هذا يجب ان نضحي من وقتنا ومالنا لمساعدة البائس واغاثة الملهوف ونصرة الضعيف والاهتمام بالمريض والاشراف على الفقراء في تحسين معيشتهم وتعميم تربيتهم ، من اجل هذا يجب ان لا نقتنع بالمدرسة فنحسب اننا بلغنا الكمال .

على ان المدرسة هذه لا تزال في المهد ، ومجال العمل واسع امامنا فيها ، فليتقدم من شاء ان يكرّم . واذا كان لي رجاء او دعاء او تمنٍ فهو ان لا ينحصر عملها في دائرة ضيقة من الخير . هي ارثوذكسية النشأة وستظل ارثوذكسية الادارة . ولكن ما ضرها لو فتحت ابوابها لفقراء سائر الطوائف ، ما ضرها لو كانت مثلا للتساهل فارتفع منها

حجر الاساس لمدرسة سياج

اول صوت لاعلان الحرب على الطائفية ، ما ضرها وما ضر كل عمل خيري لاي طائفة نسب، ان يكون كذلك .

ان لنا بيوتاً ندعو اليها الناس على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم فنولم لهم الولائم ونقيم الاعياد ، فلماذا نكون في بيوت الخير والاحسان اقل سخاء ؟ لا تحسبوا هذه الفكرة بعيدة الامكان ، أوليست حفلة اليوم بمن تضم من كرام القوم بشيراً بقرب تحقيقها ، وهل كان مطران وملاط بين خطباء الحفلة الا دليلا على ان هذه الفكرة لا تحرم من الانصار . من هو مطران ومن هو ملاط ، والى اية طائفة ينتسبان ؟ هما من شعراء الانسانية ، رسل السلام في العالم ، لا اعرف لهما غير هذا النسب .

*

يا سادة

أن الواقف امامكم اليوم عابر طريق في هذه الحياة لا يربطه بها رغبة ولا رهبة ، ولكنني انحني باحترام امام هذه الاشياء المقدسة التي يقال لها الطفولة والشباب، الامل والعمل . ولهذا اكبر المدرسة واكبر تعليم المدرسة اذا كان بعيداً عن التعصب ، مشبعاً بالتسامح ،

ممتلئاً من الحب ، محاطاً بالكرم والجود .

انا اعرف ان محبة الذات شرعة طبيعية ، وان من الحق المقدس ان يهتم كل بنفسه قبل سواه ، فالشجرة التي تنمو وتزهر وتمد في الهواء اغصانها المثقلة بالاثمار لا تعطر الجو الا بعد ان تمتص من الجو، ولا تظلل الارض الا بعد ان تأكل من الارض، ولكن هل كانت حياتها بعد ذلك الا مثالا للتضحية ؟

التضحية اشرف مزية بل اسمى فضيلة يمكن لانسان على الارض ان يتحلى بها . التضحية هي التي جعلتها مدام سياج شعارها في الحياة. واليوم تلقي علينا درسها العالي .

فباسم هذه التضحية استحلفكم يا اخواني، لا تفرّقوا بين الفقراء، لا تجعلوا للعلم نسبا وللاحسان مذهباً ، باسم هذه التضحية استحلفكم ان تؤيدوا في هذا الشرق التاعس حجة السلام ، فتضعوا الحجر الاول في مدرسة الاخاء العام .

والآن يا سيدتي الكريمة ! اراك امامي في هذا الكرسي يكاد لا شيء يحجب عنا جسمك الضئيل ، واراك امامي مالئة هذا الفضاء الوسيع . ما اجمل هذا اليوم في عينيك ، بل ما اجملك انت في عيوننا

حجر الاساس لمدرسة سياج

وما احرانا ان نتغزل بك ، بما اجمل هذا الرأس الذي خلعت عليه تاجها الايام ، واليوم يزداد رونقاً وبهاء بما توجته به دموع الايتام . بسرور وافتخار اقدم لك هذا المعول ، فخذيه بيدك الضعيفة التي غلبت الاقوياء ، بيدك التي قصر عن مداها الرجال ، فحملت دونهم راية الابطال . اضربي به الارض كعصا موسى فتفجري ينبوعا فياضاً للاجيال الآتية ، اضربي ، فلضربتك الصغيرة هذه صدى جميل تخفق له الالوف من قلوب المعجبين بك ، اضربي ، ومتى ارتفع هذا البناء ، متى ملأت الحياة بضجيجها ولهوها جوه الصامت ، فسيظل هذا الصدى في نواحيه يردد في آذان الناشئة جيلا بعد جيل فضل هيلانة سياج التي كانت في طليعة المحسنين ، وسيبقى ذكرها الى دهر الداهرين . . . .

حفلة متخرجي الجامعة الاميركانية

ايها السادة :

كان الاولى بي الاكتفاء ببلاغة من تقدمني ، لولا ان هناك واجباً لا يحسن عنده السكوت ، فلقد شرفتني الجمعية بانتخابي عضواً فيها ، وما انا من متخرجي الجامعة . ربما كنت مبالغاً في قولي لان الكلية او الجامعة ، كما تسمى اليوم ، هي مدرسة الجميع. واذا كنت لم اجلس على مقاعدها صغيراً ، فما فاتني ان استفيد منها كبيراً . فانا بحال ما تلميذها ، تلميذها بما كان يصلني من اشعاعها ، بما كنت اقرأ من مؤلفات الخارجين منها ، واسمع من افواه العاملين فيها ، واتعشق من مبادىء ذويها . ولقد بلغ من حبي للكلية انني صرت اعرف الطالب فيها ، على غير سابق عهد، اعرفه لحديثه ، لنظراته وحركاته واشاراته ، لطريقة عمله في حياته . فطابع الكلية على وجوه ابنائها كما

هو في قلوبهم ، وقد عرف اخواني المتخرجون ذلك فيّ ، فارادوا ان يسجلوا علي هذا الحب ، بانتخابي واحدا منهم .

يعلم الله انني لم اسع عمري الى لقب ، ولم احلم يوما بوسام ، ولكن وساما كالذي قلدنيه هؤلاء الاخوان ، سأحفظ له في صدري المكان الرحيب ، وافاخر به امام القريب والغريب . من اجل هذا رأيت من الواجب ، عندما دعوني الى الكلام في هذه الحفلة ، ان اقبل والقبول ادب واحترام .

على اني لا احتاج في كلمتي هذه الى اجهاد الفكر ، او تذويق القول . اولا : لان المعاني حاضرة استمدها من صفات هذا الاجتماع عينه . وثانيا : لاني اخاطبكم بلغة القلب ، وهي الحقيقة ، اجمل ما تكون عارية لا تحتاج الى لباس من الالفاظ .

اقول المعاني حاضرة لان اجتماعا كهذا يترجم عن اسمى العواطف واشرف الغايات ، لهو مجال واسع للكاتب والخطيب . واية غاية اسمى واية عاطفة انبل ، من الاهتمام باعظم عمل تقوم بهِ البشرية .

ماهو هذا العمل ؟ هو المدرسة ، لانها موجهة الى عقل الانسان وقلبه ، اي كل ما يكوّن الفكر وكل ما يكون الاخلاق . المدرسة

هي النائب عن الوالدين وعن الوطن ، وعن الانسانية . تنوب عن الوالدين بالغذاء الادبي الذي تعطيه ، وعن الوطن لانها تربينا على حبه ، وعن الانسانية لان ما تعلمنا اياه لا يختص بامة دون سواها بل هو ملك الانسانية جمعاء .

ليست الجامعة الاميركانية بنت اليوم بل عمرها في الشرق فوق الخمسين . خمسون سنة واكثر مرت عليها وهي تنفق في سبيل العلم بلا حساب ، واليوم لاول مرة في التاريخ تفتتح اكتتابا بين متخرجيها ، اكتتابا زهيداً اذا قيس بعددهم ، فتلامذة الجامعة منبثون في مشارق الارض ومغاربها ، فيهم ابناء سوريا ولبنان ، وفيهم المصريون واليونان والارمن والبلغار ، وفيهم العجم والهنود والروس . وقد كانت واثقة من قبل بالجواب على ندائها ، جواب ملؤه حمية وكرم وشهامة ، فحيث طلبت عشرات وجدت مئات ، وحيث ارادت مئات اصابت الوفا ، ذلك لانهم يعلمون ان لهذه الام التي لا تزال تحن اليهم حقوقا مقدسة عليهم ، ويعلمون ان كل ما يزيد في جمالها ، يزيد في مجدهم فجاءت النتيجة فوق المنتظر .

اسمعوا ما يقوله لنا سكرتير الجمعية :

حفلة متخرجي الجامعة الاميركية

يجب ان نفهم اولا ان الجامعة الاميركانية وان تكن مؤسسة اميركانية ، ففائدتها تعود على الجميع دون اصحابها ، الاميركان يدفعون ونحن نستفيد ، الاميركان يزرعون ونحن نحصد ، الاميركان يعملون ونحن نتمتع ، فهذه الجامعة التي انشئت للتعليم لم ينحصر عملها بالتعليم بل تناول الاحسان بكل صوره ، فانفقت ايام الحرب في سبيل البائسين والمرضى ما حملها عبء دين باهظ يربو على المليون دولار ، من دفع هذا الدين يا ترى ؟ طبعاً لا انتم ولا انا ، لم يدفعه لبنان ولا الشام ، ولا العراق ولا مصر ولا الشرق باسره ، بل دفعه الاميركان وحدهم ، دفعوه عن رضى ولم يكتفوا بذلك بل ارادوا ان يضمنوا للجامعة مستقبلا مجيدا ، ففتحوا اكتتابا بمليون آخر ، ولما كانت الجامعة تحترم ابناءها رأت من العدل ان يشتركوا بجزء من هذا الاكتتاب ، حتى اذا تم لها ما ارادت كان مظهر جميل تجاوبت فيه عواطف الام والبنين . رأت الجامعة شهامة ابنائها فاحبت ان تقابلهم بالمثل فقالت لهم نحن نتعهد بالمليون فابقوا انتم لكم ما تجمعون . ١٦٠٠٠ الف دولار تحفظ لكم ولمنفعتكم وحدكم . اجمعوها واجعلوها وقفاً باسمكم في المدرسة لمساعدة وتعليم المعوزين من اولادكم . وهكذا

القت عليهم درساً جديداً في التضحية ، كان الاكتتاب لها فصار لهم به فجاء العمل اميركانياً بكل ما في هذه الكلمة من معاني الغرابة والعظمة .

يا سادة : لا اكتمكم انه عندما قص علي هذا الخبر ، احسست بالدمع يترقرق في عيني ، ورأيت نفسي مسوقا الى المقابلة بين اخلاق الامة الاميركانية واخلاقنا ، وتساءلت ما يكون صدى هذا العمل فينا ؟ أتؤثر هذه العظة البالغة ؟ أيكون لنا من تصرفات هذا الشعب الكريم قدوة صالحة ؟ اين انتم يا رجال الشرق ؟ اين هم اصحاب الشهرة والنفوذ والوجاهة والمال ؟ تعالوا وانظروا ، هؤلاء الاميركان تفصل بيننا وبينهم البحار ، لا غرض لهم عندنا ولا شهرة يطلبونها ولا مجد يسعون اليه ، يبسطون العطاء للعطاء ، ينفقون في سبيل البر للبر ، ونحن ابناء هذه الديار ، فيها نشأنا وبها ارتبطنا ، واليها مرجع ما نملك من ثروة وجاه . اذا احتيج الى مناصرة مشروع خيري او تأسيس عمل وطني ، يجب ان تحرك الارض والسماء لتحريكنا ، يجب ان نؤلف اللجان ونعقد الحفلات وتقام الاعياد ، يجب نظم القصائد والتبشير في الجرائد ، يجب ان يحول كل قلم الى

ذهب وكل لسان الى حديد لنفوز ببعض ما نريد .

نعم اذكروا الرتب والالقاب ، افتحوا باب الوظـائف ، عددوا مشاريع الكسب ، انشأوا معاهد الميسر واللهو ، تجدوا الاقبال عظيما ، تجدوا الزحام على الابواب وتقبيل الاعتاب ، تجدوا الشركات المالية تؤلف ، تجدوا الاكياس تحل والخزائن تفتح ، ولكن اذكـروا عملا انسانياً لا يكون من ورائه ربح مادي ولا امتيـاز خصوصي ، فما اسرع ما تصم الآذان وتحول الابصـار وتقفل الابواب ويدخل كل الى عقر داره كما تدخل «البزاقة» في خبائها .

هذه حالة هؤلاء ممن يمكن ان يعقد عليهم رجاء ، فما قولكم بسواهم وهم كثيرون ، كم من الناس منهم كالارقام التي لا قيمة لها يعـدون ولا يفون ، ينتظرون فـلا يـأتون ، يسألون ولا يعطون ، يطلبون الحق ولا يقومون بالواجب ، فهم كغيمة الصيف يحييها الزارع على امل فاذا هي جهـام تعكر صفو السماء ولا تجود بقطرة ماء .

عفوا ياسادة ، وعدتكم ان اخاطبكم بلغة الاخلاص وهي كالحقيقة تبرح احياناً ولكن حبذا الجرح اذا اخرج من الجسم الفساد ، ولقد

حان لنا ان نتخذ الحرية في القول ، ونجهر بالحق لمن نحب ، فالكذب آفة من آفاتنا القديمة ، وعندي خير للكاتب ان يحطم قلمه تحطيما اذا كان لا يجر الا الى التدليس والرياء ، والباطل من الثناء . فاذا ساء كلامي بعض الناس فعذري عندهم الاخلاص وعذرهم عندي انها العادة المتملكة الى ان يحين لهم منها خلاص .

اما انتم يا اخواني متخرجي الجامعة ، فاني اهنئكم لانه قدر لكم ان تكونوا البادئين بمثل هذا الاكتتاب الشريف ، اهنئكم واتمنى ان يقتدي بكم سواكم ، ففي الشرق مدارس اخرى لا ينكر فضلها عليه .

وفي الختام اسمحوا لي ان ارسل صوتي الضعيف الى ابعد من هذه الجدران وهذا المكان . الى تلك المنارة القائمة على راس بيروت هدى للطالبين . الى تلك الارزة المباركة التي يأوي الى ظلها فراخ الشباب حتى اذا اكتمل ريشهم ، طاروا من حولها اسرابا يحملون بين ضلوعهم الى اقاصي المعمور علماً وادابا . وهي تحية خالصة البستها حلة من شعري بعد ان قطعتها من قلبي وفكري :

معهد العلم وصرح الادب   اي فضل منك لم يكتسب
جئت للخير رسولا ناشراً   بين اهل الشرق علم الغرب

حاملا في ظلمة الفكر لنا شعلة من قلبه الملتهب
فبعثت العلم من رقدته بعد ما نام طويل الحقب
واقلت الفكر من عثرته فمشى من جنده في موكب

*

ايها الربع الذي احببته وانا عنه غريب النسب
كلما عاودني ذكر الصبا هزني نحوك شوقا طربي
وبدا رسمك في ذهني كما انت في مخضر تلك الهضب
فمن البحر بساط ازرق ومن الرمل وشاح ذهبي
وعلى رأسك نور خالد من توالي رصده للشهب

*

كلما عاودني ذكر الصبا مر بي ذكراك عند المغرب
فاذا الزوار في ناديك قد ملأوا صدر المكان الرحب
وينوك الغر من حولك في حلقة الفضل ورهط الادب
واذا المنبر يهتز لهم طربا للشعر او للخطب
ومن الجمع هتاف صاعد ملؤه الاعجاب قبل العجب:
ههنا النبع الذي يسقي النهى واذا لم يسقها لم تخصب

حفلة متخرجي الجامعة الاميركانية

تلك في التعليم نهج لم يدع　　طالباً يقعد دون الطلب
يدرس الاخلاق في استاذه　　قبل ان يقرأها في الكتب
انت رمت العقل حراً مطلقاً　　لم يقيد بقيود المذهب
واقمت العلم مبنياً على　　حرمة الصدق وكره الكذب
وجعلت الحب ديناً واحداً　　في حمى موسى وعيسى والنبي

*

يا لواء يخفق اليوم له　　جانب الافرنج قلب العرب
كم مشى في ظلك السامي فتى　　شيخ علم وهو في العمر صبي
من ربى لبنان طفت الارض لا　　غازيا بل هاديا كالكوكب
ان ذا اليوم اكتتاب للعلى　　فادع من شئت له يكتتب
كل دَيْنٍ قد يفيه ذهب　　غير دين العلم ، فوق الذهب

*

قل لمن يسأل عن انسابنا　　«نحن من يرضيك عند النسب»:
امنا هذي وما احلى اسمها　　وشعار المجد هذا :

ا، يو، بي A.Y.B.

بين العجز والمقدرة

دعتني الشبيبة السورية الى القاء محاضرة في هذا النـادي تاركة لي اختيار الموضوع فكان من البديه ان تتجه افكاري باديء ذي بدء الى الشباب لاجعله حديثي . ومن أحق بان يحدثكم عن الشباب ممن طوى صفحة الشبـاب ؟ وربما كانت هذه اغنية الوداع لذلك الدور الجميل من العمر ، الدور القصير الذي اراه يرتحـل ولا حيـلة لارجاعه .

اقول الدور القصير لاني انظر اليه كسائر الناس فأجعل مسافته بين العشرين والاربعين . على ان هنـاك نظرة ثانية لا دخل للسنين بها وهي تحديد الشباب بالزمن الذي تبقى فيه القوي سالمة على الدهر . فقد يصيب الهرم ابن العشرين كما يظـل قريع الستين شاباً بعواطفـه وارادته وعقله . هذه النظرة هي التي حولتني عن موضوع الشبـاب

الى ما هو اعم اي الحياة في كل ادوارها اي الانسان في مختلف حالاته واعماره . وما كدت ارسي عند هذا العزم حتى ادركت خطورة الموقف وبدا لعيني بعد الهاوية التي يجرني اليها قلمي ولا سيما لان الوقت محسوب علي هذا المساء والدقائق معدودة . تذكرت حينئذ كتابا جديدا لاحد علماء الفرنسيين يأخذ بالموضوع من بعض وجوهه . وقد كنت ارسلت عنه منذ ايام حديثاً الى المجمع العربي في الشام . فقلت انقل اليهم هذا الحديث المفيد فهو لا يخلو من طلاوة الجديد .

ولكن اسمحوا لي قبل الكلام عن الكتاب ان اعرف اليكم الكاتب وان خالفت في ذلك المثل السائر « انظر الى ما قيل لا الى من قال » لاني اعتقد ان الروح التي توحي الفكر وتنطق اللسان وتسير القلم ليس من العدل ان تظل وراء الحجاب فلا يقف القارئ او السامع منها الا عند عتبة الباب .

*

الاستاذ شارل ريشه من شيوخ العلم في فرنسا وهو يمتاز عن سواه بأنه جمع بين الطب والفلسفة والشعر والرواية والتاريخ . وله

في كل من هذه مباحث وآراء خرج في اكثرها عن المألوف وقد كان في طليعة من اهتم بدرس الطيران ووضع للطيارات في بدء عهدها خططاً ورسوماً . وهو حائز على جائزة نوبل ومكتشف «الانافيلاكسي» ومن ارهاط علم ماوراء الروح metapsychique وقد اظهر شجاعة محمودة يوم قال « ان اكثر الحوادث المتعلقة بهذا العلم « كالاكتوبلاسم » مثلا يجب ان تدخل المختبر وتخضع لنظم المراقبة والامتحان » .

لفظت هنا كلمتين غريبتين « انافيلاكسي » و « اكتوبلاسم » فاسمحوا لي ان اشرحها قليلا واذا كان هذا الشرح خروجا عن الموضوع في الظاهر فهو في الواقع داخل فيه متم له .

في عام ١٩٠٢ كان الاستاذ ريشه على يخت البرنس دي موناكو في جولة في البحر المتوسط فخطر له ان يدرس فعل سموم بعض الحيوانات البحرية فوجد ان الجرعة الصغيرة منها لا تؤثر في الكلب اذا حقن بها ولا يصيبه منها ادنى انزعاج . ولكنه اعاد التجربة بعد ايام فكان دهشه عظيما لان الكلب الذي احتمل الجرعة الاولى بلا تعب اخذ هذه المرة يتلوى من الالم واصابه قيء واسهال ومات بعد دقائق .

هذا الحادث استرعى انتباهه لانه جاء مناقضاً لما كان معروفا عن المناعة . فان الشائع لذلك العهد ان الجسم يتعود على السم بتكرار التناول منه فاذا الامر هنا على خلاف ذلك لان الحيوان الذي اجري عليه الامتحان صار اشد احساساً منه قبلا حتى ان الجرعة التي لم تؤثر فيه للمرة الاولى قتلته في الثانية وقد اطلق على الحادث اسم « انافيلاكسي » وهي كلمة يونانية مزدوجة معناها ضد الحماية .

ولم يكن لهذا الاكتشاف اهميته الا بعد زمن عندما تولى العلماء متابعة البحث فوجدوا ان الانافيلاكسي اي القابلية التي يكتسبها الجسم للتأثر بالسم بعد ان كان متعوداً عليه لا تقتصر على السموم بل تتناول الاغذية كالبيض واللبن وما شاكل . واني اعرف طبيباً كان فيما مضى يكثر من البيض بلا ضرر فاصبح اليوم لا يستطيع ان يدخل الى جوفه اثراً منه دون ان يكتسي بدنه حمرة مصحوبة بأكال .

ثم اتسع نطاق البحث فوجدوا للانافيلاكسي اثراً في الامراض ايضاً فتخلقها من لا شيء كالربو اي عسر التنفس وكالصداع وغيره. ولعل بينكم من عرف ذلك بنفسه فكم من الذين تزعجهم رائحة الورد

الزكية فتسبب لهم الماً في الرأس بعد ان كانوا مغرمين بشمها مفرطين فيه . وفي الطب حادثة مشهورة تروى عن تاجر خيل قضى ٤٠ عاما في مهنته دون ان يشكو عناء ، فاذا به يوما لغير ما سبب يصاب بعسر التنفس وصارت هذه النوبة تتكرر كلما جاء الاصطبل او استنشق رائحته .

ثم وجدوا الانافيلاكسي في المعالجة ايضاً فاذا اضطر الطبيب الى استعمال المصل لمريض وكان هذا المريض من قبل ذلك باشهر او بسنين قد عولج بالمصل فان ادخال المصل ثانية الى دمه قد ينجم عنه اعراض شديدة الخطر .

ولا اطيل عليكم الشرح في التعليل عن هذا الحادث الغريب او في ذكر الطرق التي اتخذوها لتلافيه ومعالجته . حسبكم ان تعرفوا المعنى المقصود بالكلمة واهمية هذا الاكتشاف .

اما الاكتوبلاسم فهي ايضاً من اوضاع ريشه ، كلكم يعلم ان اشياع السبريتسم يعتقدون ان ارواح الموتى تقدر ان تعود من مقرها فتزورنا وتتحدث الينا . وبين هؤلاء عدد من فحول العلماء مثل اوليفر ددج ، وكروكس ، وكونان دويل ، ولومبروزو ، ووليم

جمس وغيرهم .

ومن براهينهم على ذلك ما سماه ريشه اكتوبلاسم وهو نوع من البروتوبلاسما يخرج من جسم الوسيط **medium** في شكل غيمة شفافة او بخار او شريط فيلمس الحاضرين او ينقر على اكتافهم او يضربهم في ظهورهم ويحرك الكراسي ويزيحها عن مواضعها ويتخذ صورة الوجوه البشرية او بعض اعضاء الجسم تاركا آثار ذلك في الشمع او العجين الذي يوضع لهذه الغاية في مكان الامتحان . هذا النتؤ البروتوبلاسمي الذي يخرج من جسم الوسيط من غير ان تعترض دونه الثياب التي عليه ، والذي يشعر به الانسان اكثر مما يراه لا يزال موضع التناقض ومجتمع الاضداد . فهو يذوب في النور ولا يذوب، قابل للتحليل ولا سبيل الى تحليله ، يتراجع ويختفي اذا حاول الانسان لمسه ويستطيع مع ذلك ان يحرك المقاعد والموائد. يعترف العلم بالقصور عن تفسيره ويدعي الاحاطة به في آن واحد . وقد دارت في شأنه مناقشة طويلة بين ريشه واوليفر ددج : هذا يدافع عنه ، وذاك لا ينفيه ولكنه يطلب البرهان العلمي بالبحث والمراقبة الدقيقة لا بالتفسير الروحاني .

وقد جاءت هذه المراقبة مكذبة للحادث كما دلت تقارير الباحثين في المؤتمرات التي اقيمت لهذه الغاية ، وخصوصاً في بلادالسكنديناف واميركا وفرنسا وانكلترا . على ان ذلك لم يزعزع اصحاب هذه المذاهب عن معتقدهم .

ايها السادة

ان رجلا مثل هذا بلغ كما ترون من العلم والتفكير والشجاعة والاخلاص ما بلغ ، وأتم طوافه حول المعرفة البشرية كما يطوف المؤمن بالكعبة ، لخليق ان يجمع في اخريات ايامه شتى التعاليم التي استفادها ويعرض على الناس فلسفته التي انتهى اليها . وقد نشر منذ حين كتابا عنوانه « الانسان الاحمق او البليد» وهو احتجاج وشكوى على الانسانية التي لم تعرف ان تستفيد من فتوحات العلم الا للتفاني في اختراع وسائل التدمير وهدم معاقل السلام . ثم اعقبه بكتاب آخر عنوانه « الانسان العاجز » وهو ما احببت ان احدثكم عنه هذا المساء .

يتناول ريشه عجز الانسان من وجوه كثيرة فيحدثنا :

اولاً عن عجزه الكوني:

اي ان الانسان مرتبط بجاذبية الارض لا سبيل الى التخلص منها ومهما سعى ومهما اخترع فهو لا يستطيع الافلات من قيد هذه الكرة المؤلفة من غاز وحجارة وطين . واذا صحت احلامه يوما بالوصول الى المريخ او عطارد او الزهرة فان ذلك لا يجديه فتيلا ، لان هذه السيارات تشبه الارض في بنيتها وتركيبها . على انه من البعيد ان تتحقق هذه الاحلام لانه لو فرضنا ان اولادنا تمكنوا من الصعود الى علو ٤ آلاف كيلومتر ، فانهم يظلون تحت سلطة الجاذبية ولا بد ان يهبطوا الى الارض باسرع مما صعدوا . ومن الغريب ان رجلا وقف لندوة العلوم جائزة كبيرة تعطى لمن يهتدي سبيلا الى التعامل مع العوالم الاخرى مستثنياً المريخ بدعوى ان الوصول اليه قريب الامكان . على انه لا مجال للريب ، اذا كانت هذه العوالم مسكونة ، في ان سكانها لا يختلفون عنا في الضعف والعجز والا لامكنهم ان يأتوا بما لم نستطعه ويفوزوا حيث قصرنا . فكأن المبدع الاعظم خاف ان يفضي اجتماعنا الى التآمر فنقلق عليه نظام الوجود ، فآثر حصر فساد الانسان وضلاله في هذه البقعة فلا يتعديان طبقة الهواء المحيط بها .

ثم ان الانسان لا يستطيع تغيير شيء من الحوادث التي تجري حوله ، فلا يمنع الفسفور ان يتحد بالاوكسجين ، ولا العضل ان ينقبض بالتيار الكهربائي ، ولا النور ان يزيد او ينقص من سرعته كما انه لا يستطيع عند تلبد السماء بالغيوم ان يحول المطر عن وجهته.

ثانياً ، عجزه الفردي او الذاتي :

اي ان كل ما اخرجه الناس علماء كانوا او شعراء او اصحاب صناعة وفن ، ذو قيمة نسبية . ومهما استنفد رب الريشة او القلم قوي عقله وقلبه فلا يعلو كثيراً عن مستوى غيره ولا يمتد تأثيره الى بعيد. وكم من الكتب التي استغرقت عمر اصحابها تكدس كالحصيد في المكاتب فالمكاتب ليست الا قبوراً . هناك بين الاوراق المصفرة تدفن اجمل احلام المجد وزبدة افكار العصور ، وكما ترتاح عظام الموتى تحت الجندل والصفائح ، تنام ملايين الالفاظ والجمل نومها الابدي . نعم قد تجد من يفوز بعض الفوز فيقبل عليه الناس اكثر مما يقبلون على سواه مثل فولتير وراسين وهيكو ولافونتين وموسيه ، ولكن هل قدر لكل انسان ان يكون فولتير اوهيكو او غيرهما ؟ لقد طوى العصر السابع عشر والعصر الثامن عشر نحواً من ٢٥٠ مليوناً من

الفرنسيين فحظ الفرنسي ليكون كاحد هؤلاء الخمسة المشاهير هو على نسبة واحد الى خمسين مليوناً .

خذ بيان المطبوعات في احد فروع العلم واقرأ اسماء المؤلفين ثم تأمل في قلة عدد القراء . كم من كاتب لا يقرأ وهو مع ذلك جاهد وكد معتقداً انه اخرج للناس خير ما ينتجه الدماغ البشري . ذلك لان تجدد الافكار يتم بسرعة هائلة ينسى معها الماضي مهما كان قريباً منا ، ولهذا قلما يفتح الواحد كتابا قديماً لاكتفائه بما بين يديه . واذا رجع يوما الى كتاب مطبوع منذ ٥٠ سنة واخذ عنه اعجب الناس بسعة اطلاعه ، كأن ما نقله شيء غريب مع ان المسافة بين الكاتب والناقل لا تتجاوز نصف قرن . خمسون سنة تكفي اليوم لتجعل الكتاب من آثار القدم والكاتب نسياً منسياً وربما كان ممن حلموا بالخلود .

وجملة القول ان المفكر مهما عظم واتسعت معارفه وامتدت شهرته شاعراً كان او كاتباً او خطيباً او سياسياً فعظمته محدودة وشهرته محصورة ، فما قولك بمن هم في الدرجة الثانية او ما دونها ، واي حظ لهم من الشهرة والبقاء ؟

بين العجز والمقدرة

لاريب ان عدد النـاس كثير على الارض وهم يمرون بسرعة ومهما ادعى الفرد فهو جزء حقير من الانسانية الحقيرة ، ومع هـذا كل يظن نفسه نعم الفتى جاهلا ان مليارين مثله تقلهم هـذه الارض فهو اذاً يساوي جزءاً من المليارين من المجموع اي ما يقابل الصفر .

ملياران من الناس على هذه الكرة لا قدرة لهم على قوى الوجود مجتمعين فكيف اذا تفرقوا ؟ لا انكر ان بوذا ، وموسى ، وعيسى ومحمداً قد تركوا وراءهم اثرا عميقاً لا تمحوه رمسان العصور ، وان غاليلي ، وباسكال ، ونيوتن ، ولافوازيه ، وباستور قـد فتحوا طريقاً جديدة يسير فيها القطيع البشري ، غير ان عدد هؤلاء وامثالهم ممن لم نذكر لا يتجاوز المائة في حين ان عصورهم طوت من الناس الف مليار .

ثالثاً، عجزه الفكري:

من اين والى اين ؟ سؤال ازلي لم نتقدم خطوة في حله منذ كان البشر وكان الفكر . نحن لا نعلم كيف تتجزأ الجرثومة النـامية في بزر النبـات او بيض الحيوان عندما يلامسهـا الخمير الزرعي ؟ او بالاحرى لماذا تتجزأ ؟ لاي سبب وجدت الحيـاة ووجد الانسان ؟

لماذا الاشجار والازهار ؟ لماذا الكواكب والاقمار ؟ لماذا المادة ... لماذا ؟ انا على هذه الارض احس وافكر واتألم فيحق لي ان اسأل ولكن من اسأل ؟ يحق لي ان اسأل لماذا وجودي ؟ لماذا فكري ؟ لماذا شعوري وعذابي ؟

اما العلوم من فلسفة وطب وسواها فحالنا كحال الاقدمين من حيث النتيجة . لقد بدلنا الالكترون من الجوهر الفرد . ومن يدري ما يبقى من هذا التبديل بعد ٥٠٠ سنة او مائة ؟

وجعلنا الاثير اساس المادة ولا نفهم ما هو الاثير ، وعرفنا تزوج بالخلايا ورأيناه بالمجهر ، ولكن الرؤية شيء والتفسير شيء آخر .

مثلنا مثل الفراشة التي تدخل ملعب التمثيل فتمر من امامها مشاهد وصور لا تفقه لها معنى . فنحن نرى تجزأ البيضة مثلا ولا ندرك القوة السرية الكامنة في حبيبات الحويصلة منتظرة ان تدق الساعة لتنطلق من قيودها . قوة هائلة ولاريب لانها تخرج من هذه الحويصلة سنديانة او فيلا او رجلا عظيما كميكل انج .

نعم قد يمكن الذكاء البشري ان يرتقي ولكن اين الدليل ؟ اجمعوا سكان لندن ، وباريس ، ونيويورك ، وبرلين ، وكلكوتا ،

وروما ، وبإمكان تجدوا ان عدد المفكرين في هـذه العواصم يفوق مائة الف مرة ما حوته اثينا في ابان عظمتها . فهل قام بين هـؤلاء في مائة عام مثل سقراط ، وافلاطون ، وبرقليس ؟

وهل ادل على العجز الفكري من اغلاط الماضي وهفوات العظام . من القول بثبوت الارض الى العناصر الاربعة ، الماء والريح والتراب والنار ، الى الاخلاط الاربعة ، البلغم والصفراء والسوداء ، الى اضطهـاد المرضى وحرق السحرة والمشيطنين ، الى غير ذلك من عقائد وخرافات متأصلة في نفوس البشر .

رابعاً ، عجزه الاجتماعي :

وذلك ان الانسـان لم يوفـق على الرغم من نظمه السياسية الى انشاء اتحاد عام بين الامم . وما الوطنية التي نتباهى بها الا آفة الاخاء العام ، لانها حد فاصل بين الشعوب تمنعها من ان تتصافح . لقد بلغت نفقات الحرب الاخيرة مائة الف مليار ، وبجزء من هذا المـال كان في الامكان محـاربة المسكر والسل والزهري ومد السكك الحديدية في افريقية وتوسيع نطاق الصناعة والزراعة بدلا من استخدام الحديد والنار لسفك الدماء وحرق الديار .

خامساً ، عجزه الفسيولوجي :

أي ان الروح مرتبطة بالجسد خاضعة له . والذكاء والارادة والعواطف هي عبيد الدم والقلب والامعاء . حسبك ان تحبس انفاسك نصف دقيقة لتتحقق ذلك وتتأكد حاجة الروح الى اوكسجين الهواء . هذه الروح التي تصبو الى النهاية تحتاج الى عشرين لتراً من الهواء في الثانية . وبهذا الهواء لا بغيره تستطيع ان تنشر اجنحتها . فقوانا الادبية اذاً معلقة بمقدار الاوكسجين الدائر في الرئتين . فضلا عن ذلك لا سبيل للارادة ان تغير من حالة الجسم او شكله . فاذا كان طول القامة متراً ونصف متر فعلى الروح ان تسكن هذا الجسم القصير ، واذا كانت الاذنان كبيرتين منحرفتين عن الرأس فعلى الروح ان ترضى بذلك . وهي اي الارادة لا تقدر ان تؤخر ساعة الموت ولا ان تحدد جنس المولود قبل ان تتم عليه جناية الوجود . وبخلاف ذلك فان البدن يجر الارادة وراءه فتهرم الروح بهرمه وتضعف الذاكرة ويخبو الذكاء ويتضاءل سمع الانسان وبصره فيقول مع الشاعر :

أواه لو عرف الشباب　　　وآه لو قدر المشيب

سادساً، عجزه الادبي:

لان الانسان طوع اهوائه وعبد شهواته ومهما مرن قوته الذاتية المعبر عنها بكلمة « انا » فاستطاع السيطرة على الافعال المنعكسة حتى اذا غضب مثلا امكنه ان يلجم غضبه فلا يندفع الى الضرب او الشتم فان هذه القوة الذاتية ضائعة عند السكير امام زجاجة الخمر والمقامر امام مائدة اللعب والجبان امام الوعيد والخليع امام المرأة .

هذه هي خلاصة «الانسان العاجز» عجزاً كونياً فكرياً اجتماعياً فسيولوجياً أدبياً . وقد تعمد المؤلف الصراحة كما ترون فجاء كتابه مراً الا انه لا يخلو من الجاذبية. لانه ضم بين دفتيه خبرة وعلما وكلها تنطبق انطباقا تاماً على ما نشعر به كلنا ولينا الفكر شطر هذه المسائل الغامضة .

غير اني لا احب ان اقف بكم منه موقف اليأس فلا تسمعوا سوى صراخ النفس المتألمة والفكر الحائر والامل الخائب . ولو لم يكن الا هذا في الكتاب لما كانت بي حاجة لان املك الوقت عليكم هذا المساء، وازعج نفوسكم بالاصغاء الي . ولكن الى جانب هذه القيود الثقيلة التي يرسف بها الانسان، اجنحة خفاقة تسمو به احياناً الى بعيد

الآفاق . واذا كنا حتى الساعة لم نعرف غير الدائرة الضيقة التي يتخبط في ظلماتها فهناك غير منفذ يصل منه الى الفوز والحرية كما سترون .

لا جرم ان الانسان أعزل امام قوى الوجود وهو يشعر ان حياته وميض برق بين لانهايتين ، او كما يريد البعض بين عدم سابق وعدم لاحق ، ولكن الحياة التي قبلها على الرغم منه صارت عزيزة عليه ، وحسبه ان يعرف استثمارها ليحيطها بكل ما يستطيع من جمال ولذة . فاذا كان اسيراً لجاذبية الارض فان بين يديه ما يخفف وطأة هذا الاسر بما يتمتع به من جبالها وبحارها واوديتها وانهارها ، وما تسكبه الشمس عليها من حرارة ونور تنتعش بها جزرها الضاحكة وغاباتها النضرة ورياضها الفيحاء . اما تلك السرج المستطيرة في الفضاء فلتبق محجبة الاسرار بعيدة المزار يكفيه ما ترسله اليه من اشعتها الساحرة التي تخلع الجمال على احلامه وتجمل لياليه بهجة ايامه .

وما يقال عن عجزه الكوني يقال مثله عن الفردي فان الشهرة والمجد والغنى امور لا ترتبط بها السعادة .

انا ياسادة (والمراد بانا كل واحد منكم) ماذا يهمني بلغت

شهرتي الآفاق ام لا . حسبي في الدائرة الصغيرة التي اعيش فيها ان يكون من حولي اخوان احبهم ويفهمونني.هذان روتشلد وروكفلر: ان للواحد منهما من الثروة ما يجعله في طبقة فوق البشر بالنسبة الي ، افيبعث اليأس في فؤادي انني لا استطيع ان انفق مثلهما مليوناً في يومي؟ ومنذ الفي سنة قال ابيكور : «السعادة في القناعة» وهذا معنى قول الشاعر العربي :

والنفس راغبة اذا رغبتها   واذا ترد الى قليل تقنع

اما النسيان الذي يقع فيه العالم والاديب فلا اجده حاجزاً دون الهناء مهما بالغ « ريشه » في وصفه ، وما يضر الكاتب ان تدفن بنات افكاره من بعده . فقد كان له منها ساعة روح ورضى وتعزية ، وهي على كل حال اطول منه اياماً واثبت على الدهر مقاما .

ثم ان العجز نسبي ، فالانسان لا شيء اذا قيس بالكوكب ولكنه عظيم ازاء دودة الارض . على ان ثمة امراً آخر تهون في سبيله المصاعب والمتاعب ، ولا اخالكم تجهلونه او تنسونه . عنيت بذلك الحب :

الحب اعذب ما يقال ويشتهى   وألذ ما نظم الزمان وينظم

اجل ، اذهبي يا شهرة وتبدد يا مال واندبي ايتها القرائح مجداً زائلا وعلماً باطلا ، فالحياة جميلة في كل حال ما دام لها من الحب ظل تأوي اليه او نور تحوم عليه .

اما العجز الفكري فربما كان اهم حالات الانسان الا انه ليس اصعبها معالجة . ومن تأمل في الاطوار التي تقلب فيها العقل البشري والخطى الواسعة التي خطاها ، والعقبات التي ازالها ، والحواجز التي دكها لا يسعه الاستسلام الى اليأس المطلق .

نعم ان العلم لم يجلب السعادة للبشر ، وما ازال اذكر الضجة التي قامت حول برونتيار منشيء مجلة العالمين عندما قال بافلاس المعارف البشرية . ولكن هناك منافع جمة جاءتنا عن طريق العلم ولا سبيل الى انكارها ألا اذا كنا لا نحسب حسابا للالم وما خف من وطأته والاوبئة وما تقلص من ظلها . ولم يكن تواري شبح المجاعات عن الارض شيئاً مذكوراً .

ثم اننا لم نبلغ من التقدم في المعرفة ما يحملنا على الحكم اننا وقفنا عند الحد الاقصى فلا سبيل بعد اليوم لان نعرف اكثر مما عرفنا.

ولو ان احداً قام في عصر لويس الرابع عشر وقال ان في الامكان

ان يسمع في روما صوت من يتكلم في باريس ، او ان يرى ما في باطن الجسم الحي ، او ان يحفظ جراثيم الامراض في انابيب من زجاج او ان يحمل الهواء ٥٠٠ مدفع تنقل بسرعة ٣٠٠ كيلومتر في الساعة ، لو ان احداً قال هذا القول في ذلك العهد لعد مجنوناً .

كنا بالامس لا نفهم السبب الذي من اجله يحوم الفراش على النور فيرى فيه منيته ، فقام احد علماء الفرنسيين واسمه « ستفان لديوك » وفتح في عرض تجاربه بابا جديداً للتعليل عن ذلك ، وهو انه وضع مذوب الملح في زجاجة وعرض نصفها للنور وابقى النصف الآخر في الظلمة ثم القى فوق المذوب قطرة من الماء الملون بالحبر الاسود ، فكانت دقائق المادة السوداء تتحاشى المكان المضيء من الزجاجة وتتجمع في القسم المظلم . وهذا ما يقال له الفوتوتروبسم اي الدورة حول النور .

هذه الدورة موجودة في النبات كما ترون في بعض الازهار التي تميل ابداً الى جهة الشمس ، وفي الحيوان ايضاً وهي ايجابية وسلبية ، اي منها ما يكون انجذابا الى النور ومنها ما يكون نفوراً منه . فجاء «لوب» وبنى عليها رأيه في الغريزة فقال: ان السبب في حومان الفراش

على النور هو وجود مادة في عيونه تتأثر بالنور كما تتأثر مادة الحبر الاسود الا ان التأثر هنا ايجابي ، وفي الحبر سلبي . وهذا الأثر ينتقل من طريق العصب المركزي الى العضل فيحركها في جهة معينة . فما السليقة في نظر لوب سوى تفاعل كيماوي، وكل امال الانسان واحلامه ويأسه وآلامه وما فيه من آداب وفضائل وعيوب ورذائل اصله في غريزة تشبه الفوتوتروبسم .

ولا احاول البحث هنا في هذا الموضوع والانتصار لمذهب لوب او تفنيده ، ولكني ضربته مثلا من الامثال على المنافذ الكثيرة التي يستطيع العقل ان يطل منها على الحقائق المجهولة . فان البحث العلمي كثيراً ما يقود الباحث من طريق الاتفاق الى اكتشاف غير الذي كان يتوقعه كما في الانافيلاكسي التي ذكرتها في صدر هذا المقال وكما في غيرها . ولهذا لا يحق لنا ان ندعي افلاس العلم في حين اننا لم نتجاوز الشاطيء من هذا البحر العجاج . وربما كانت بهجة الحياة في اننا نتقدم خطوة بعد خطوة في حل رموزها وكشف خباياها . لانه اذا ازيح الستار دفعة واحدة عن كل ما نجهله ولم يبق لدينا من الاسرار ما يشغل الفكر وينفق في سبيله الوقت صارت الحياة تافهة

لا لذة لها ولا قيمة .

نعم كل هذا لا يحل اللغز العظيم الذي هو مسألة المسائل، ولكنا لن نكون اقدر على حله يوم نصل الى المريخ ، او يتسنى لنا تعليل تجزؤ البيضة ، او نقدر على تغيير سرعة النور . واذا عرفنا يوماً من اين اتى الانسان والى اين يذهب فمن يؤكد لنا ان في فض هذا السر خيراً للبشر ؟

واما في العجز الفسيولوجي اي ارتباط الروح بالبدن وخضوعها لرغائب المادة ففي الامكان ايضاً تخفيف وطأته .

والظاهر ان ريشه ادرك عند هذا الموقف مبلغ اليأس الذي يصيب القاريء من جراء كلامه ، فاحب ان يريه بصيصاً من نور الامل ، فقال ان من الجنون ان نجعل هذا العجز الفسيولوجي شغلنا الشاغل فاذا قضى سوء الطالع مثلا ان يكون الواحد منا قبيح المنظر فما عليه الا ان يبعد المرآة عن نظره كي لا يتذكر حقيقة خبره: كلام جميل، ولكن العمل به صعب ولاسيما في هذا العصر الذي اصبحت فيه المرآة من لزوميات الحياة. وهب الرجل استطاع الاستغناء عنها ، فهل للمرأة من سبيل الى ذلك وهو رفيقها الدائم في البيت والشارع والنادي

والحانوت والمجلس والكنيسة ، اذا ركبت واذا مشت، عندماتتحدث وعندما تسكت ، قبل ان تنام وبعد ان تستيقظ ؟

هـذه الصفحة البراقة التي ترتسم عليها حمرة الشفـاه ، وخضرة الجفون ، ولا تزال موضع النجدة كلما اردنا التزويق والتحسين لستر عيوب الخلقة او ذنوب السنين ، اي يد تقوى على نبذها او كسرها؟ واي فؤاد يصبر على هجرها ؟

المرأة والمرآة موضوع جميل فيه متسع لخيال الشاعر والمصور .

ولا اخال ريشه وهو من الشعراء يقصد الى الفصل بينهما ،ولكنه اراد ان يكون الانسان على شيء من الفلسفة في معيشته ، فيتحمل برضى وصبر حالة اوجدته فيها الطبيعة ، لان الرضى والصبر كما قال زنون من شروط السعادة .

واما المرض والشيخوخة والموت ، فقد اشغلت من قبلنا بوذا . ومن اجلها اعتزل العالم ليحلم بالخلاص الابدي Nirvana . الا ان العلم قد هدانا الى تخفيف المرض او اجتنابه والى التغلب على الهرم باتباع قواعد الصحة في الغذاء والكساء والعمل والراحة . على اننا كما قلت لا نعلم المدى الذي يمكن الانسان اجتيازه في تغيير شرائع

الطبيعة عندما تبوح باسرارها.فان تقدم الجراحة والطب والبيولوجيا والمكتشفات العجيبة التي انتهينا اليها في جسم الانسان من وظائف الغدد وخواص الدم ونتائج التلقيح وغيرها ، كل ذلك شعاع نافذ في دياجي العقول و كوة مفتوحة على عالم المجهول .

عاجز هو الانسان ولا ريب ، لانه انسان لا اله. غير انه لم يقف مكتوف اليدين امام هذا العجز ، ولا استثني عجزه الاجتماعي والادبي . وهؤلاء هم المخترعون والمصلحون والابطال لم تذهب حياتهم سدى ومعاهد العلم والتربية والاحسان على اختلافها وجمعيات التهذيب والاصلاح جهود محمودة في سبيل العمران . واني من المؤمنين بصلاح البشرية ، والناظرين الى المستقبل نظرة رجاء ويقين. ولا اجهل ان الحسد والرياء والبغض اخلاق راسخة فينا . واعلم ان النزاع بين الافراد وبين الامم سيبقى الى اجل لا يعلمه الا الله . والى اجل لا يعلمه الا الله ستجد الرذيلة مأوى لها حتى في اشرف القصور ، والفساد مدباً له حتى في اطهر الصدور ، غير ان هذا لا يمنع العقل ان يزيد اشراقه والعلم ان يتسع نطاقه . حتى تتعدى الانسانية طورها الحاضر بما تملك من زمام العناصر . واذا صح عن

الدنيا ما يقال عن الحب وهي انها كبعض الفنادق الاسبانية لا تقدم للزائر الا ما يجلبه معه ، فالانسان النازل فيها لا يجد الراحة الا فيما يحمله بين جنبيه من جميل التربية ليعرف ان يتمتع بملذات الحياة مع المحافظة على نظام الادب الاجتماعي .

وعلى ذكر الادب الاجتماعي اقول ان هذا الادب ليس لفظة فارغة كما يعتقد البعض ، او حالة وهمية تختلف باختلاف السلائل والقبائل والمكان والزمان ، او اتفاقا موضوعا على اعتبار هذا الشيء حسناً وذاك قبيحاً ، وان ما يحرم في المدن يحلل في القرى ، او ما يمنع في الصغر يباح للانسان في كبره ، كلا ، ان هذا الاعتقاد فاسد فالشرعة الادبية لا تتغير ابداً .

خذ حجراً ايان كنت في مصر او لبنان او اميركا ، ودعه يفلت من يدك فانه يهوي الى الارض بحكم الجاذبية . وانظر الى المطر حيث انهمر تجده منحدراً عن المكان العالي لا صاعداً نحوه .

فالسرقة شيء محرم والكذب امر مكروه ، لا لان هناك وصايا دينية او احكاما مدنية تعاقب السارق والكاذب ، بل لان السرقة والكذب من الاعمال التي تفكك عرى الحياة وتزعزع اركان الاجتماع .

الشرعة الادبية ليست في قبضة الانسان ، ولا طوع ارادته . كما انه ليس في اختيـاره ان خبزاً كان طعامه لا حصى ، ولكن الخبرة علمته ان بعض حالات المعيشة خطأ ، وبعضها صواب فخرج من خلال خبرة العصور حكمة تتناقلها الاجيال . وهذه الحكمة هي المشكاة التي يجب ان نستنير بها في ظلام المعترك الحيوي . وهي تتنـاول تصرفات الانسان بالنسبة الى نفسه والى الاخرين .

فكما انك اذا اهـدي اليك عصفور وبطة لا يخطر على بالك ان تضع البطة في القفص وتطرح العصفور في الماء ، فالحكمة تعلمـك ان تضع كل شيء في مكانه لتحفظ التوازن في حيـاتك ولا تكونن من الخاسرين .

وخلاصة القـول ان الانسان على الرغم مما ألم به من المصائب لم يعدم سبيلا الى البقاء والارتقاء ، كان فقيراً فاغتنى وجاهلا فتعلم وضعيفاً فقوي واشتد . ومن ظلمة ماضيه البعيد وصل الى قمة رقيـه الحاضر فاتحاً امامه ابواب المستقبل المنير .

هذه هي الخطرات التي أثارها في " الانسان العاجز . فما كدت اطبق الكتاب حتى تراءى لي العنوان محرفاً . فاذا بي اقرأ «الانسان القادر» .

جمال لبنان

من غرائب المعاكسات التي ترافق الانسان في ادوار حياته كأنه صوت خفي ينذره ابداً انه مسير لا مخير ، هو اضطراره في كثير من الاحايين ان يلبس غير اللباس الذي يشتهيه . هكذا الواقف امامكم هذا المساء ، فقد خلقت محباً للعزلة والانفراد، فقضي علي ان اتعاطى الطب ، وهو كما تعلمــون مهنة لا تعرف العزلة والانفراد ، وخلقت صموتاً افضل السمع على الكلام ، واميـل الى التأملات والاحـلام كالكثير ممن تنطبع في نفوسهم سماء هـذا الشرق الساحر ، فطرقت باب الخطابة يوما فاذا بي محمول على اجنحتها في كل آن وفي كل مكان تارة في مصر وطوراً في لبنان .

والذي زاد في بليتي هو صديقي مطران. لاني كلما دعيت الى حفلة واعتذرت قيل لي مطران قبل فيجب ان تقبل . مطران كريم بكل

معنى الكلمة ، فهو لا يرفض طلباً ، فاذا دعي من لبنـان لبى ، واذا دعي من حلب اسرع ، واذا دعي من بغداد طار .

هذه مزية لا انكرها عليه ، ولهذا كم تمنيت لو كان مطران غنياً بدلا من ان يكون اديباً ، فان عشاق الادب قليلون فاذا حرموا من اقواله ، فالفقراء كثيرون وهم في حاجة الى ماله .

على اني اليوم خالفت عادتي ، فلم تكن دعوة الجمعية اللبنانية الا لتجلب سروري ولم اشعر عمري بارتياح الى الكلام مثل هذه المرة ، ذلك لان حديث الوطن شيق يا سادة ، ولاني في هذا النادي الحافل بادباء القطرين الشقيقـين اجد نفسي بين قومي واخواني وهي فرصة من الدهر انتهزها لتحية القاهرة عاصمة الفضل والادب والمعقل الباقي على الدهر للسان العرب .

لبنان !

ما اعذب المعاني التي تضمنها هذه الكلمة وما اكبر المشاهد والصور التي تتعاقب على الذهن عند التلفظ بها !

في الجانب الواحد تاريخ مجيد ملوءه عظات وعبر تمتزج فيه دموع اليأس ببسمات الظفر . حروب الفـاتحين وغارات الغاصبين ومذابح

الاضطهاد باسم الدين .

وفى الجانب الاخر جمال الطبيعة وجلالها : قنن عالية واودية بعيدة الغور وجرود وغابات حول اكواخه وقصوره . وعيون كالزلال تتفجر من بين صخوره ، واشجار الصنوبر والبلوط والتوت وكروم العنب والتين والزيتون على معاطفه وخصوره .

لبنان مهبط الوحي ، عرين الاسود ، ملاذ الخائفين ، موئل الرضى والمصابين يتمثل لي كالشيخ الوقور الحنون عاطفاً على ابنائه ضاحكا لضيوفه باسطاً ذراعيه لمتعب الحياة ليأوي الى ظله الوارف فيرويه من سلسبيل مائه ويشفيه بعليل هوائه .

ايها السادة

في هذه الايام التي هزت الامم فيها نهضة عامة نحو الرقي والاستقلال لا عجب اذا قام ابناؤه مع القائمين يدافعون عن استقلاله ويطالبون بتحقيق آماله . من الصين واليابان ، من العالم الجديد والقديم ، من الهند ومن مصر اصوات ترتفع وايد تبسط ومال ينفق في سبيل لبنان . ابناؤه المهاجرون يحنون من وراء البحار الى ارزه الخالد ويصبون الى سمائه الساحرة وارضه الطيبة . حياكم الله يا اخوان المهجر الذين لم

تقصر بعد المسافة ايديهم عن ان تمد اليه فتسنده في ضعفه وتكفكف دمعة في بؤسه وتحيي امله في حالة يأسه .

وما الجمعية التي نلبي دعوتها اليوم الا صوت من تلك الاصوات التي تتعالى للدفاع عن لبنان والدعوة لحب لبنان وهي تقوم اليوم بنصرة اهم عمل ينتعش له قلب هذا الجبل ، لان الاصطياف كان ولا زال المورد الوحيد لتنفيس كربته وتوفير ثروته .

اجل يا سادة ، ان لبنان لم يخلق للسيف بل للمحراث ، لم يوجد للفتح والحروب ، بل للسلم والاخاء ، وغاباته التي كانت تصنع منها اساطيل البحار تدعو اليوم المرضى والمتعبين ليذوقوا فيها عذوبة السلام .

ففي حضن الطبيعة الهادئة قد خبأ للانسان اكسير الحياة الذي يجدد على الدهر شبابها . هنا اللقاح العجيب الذي لا يحتاج معه الى مبضع الجراح وعلم الطبيب .

في هذا الفردوس المنظور اله لا ينظر يوزع على زائريه الصحة والقوة . اله خفي نسميه طيب المناخ يملأ ارضه وسماءه ويبارك هواءه وماءه . ستة اشهر متواصلة يجد فيها من اراد راحة الفكر والبدن

والعافية التي لا تقدر بثمن • ولقد شهد من زاره فيما مضى ان ما يقال عن جماله غير مبالغ فيه،ناهيكم بشهادة نطاسينا العبقري الدكتور علي بك ابراهيم فهي واحدة بمقام الف • وهو يفضل مصايف اوروبا من وجوه كثيرة : اولا ، قرب المسافة . ثانياً ، مدة الصيف الطويلة لا يشوبها عواصف ولا رعود ولا امطار . ثالثاً، ما اشتهر به اللبناني من النظافة و كرم الضيافة . رابعاً ، ان المصري اذا نزل في لبنان لا يكون غريب الوجه واليد واللسان •

وان انس لا انس شبابا طويته بين سهوله وحزونه واحلاما سموت بها فوق صنينه ، فلم يبق منها اليوم سوى ذكرى الشاعر وحنينه :

اقمت بلبنان زماناً حسبته نعيما كذا في جنة الخلد تنعم
على قمم تصبيك من كل جانب مناظرها والوحي فيها محوم
اسير وحيداً هائماً في هضابها ومن حولي الاشجار ظل مخيم
وللريح في الاوراق فوقي نغمة وللشمس في الحصباء حولي تبسم
ومن تحت اقدامي وهاد كأنها طراز من الغابات اخضر معلم
وصنين يبدو شامخاً تحت ثلجه كأن مراقيه الى النجم سلم

مشاهد لو خيرت ما اخترت غيرها بعيداً عن الانسان والبعد اسلم
هنا كل شيء خالص من شقائه له الحب سور والسلامة معصم
ولا حسد فيها ولا حربَ حولها وليس بها لولا احمرار الدما دم

ايها السادة

كنت اود ان ابقى محمولا على اجنحة الخيال فلا اريكم الا جمال لبنان ولا احدثكم الا عن صفاء لبنان، ولكن الحقيقة القاسية تجذبني اليها ولا احاول ان اكتمها عنكم، فقد قلت في بدء حديثي ان هذا الاجتماع لا يضم الا اخواناً فكان من العدل ان اكاشفكم ما في نفسي واطلعكم على حقيقة املي ويأسي .

في لبنان اليوم روح غالبة عليه هي الطائفية، ولقد زرته منذ سنتين بعد غياب طويل فهالني انتشارها وحاربتها من على منبر الجامعة الاميركانية، داعياً قومي الى العمل على قتلها، ولقد كان من استحسانهم يومئذ وتهليلهم لدعوتي ما جعلني قوي الامل ، غير ان الاخبار التي تحملها الينا جرائدهم كل حين لا تحقق ذلك .

وآخر هذه الانباء ان عدداً من نواب الموارنة عقدوا اجتماعا في بكركي، فقابلهم بالمثل نواب المسلمين واجتمعوا في بيت زعيمهم .

مهما كانت الغـاية الظاهرة من هذه الاجتماعات اي المحـافظة على استقـلال لبنان بحدوده الطبيعية فان مثل هـذه الامور لا تبعث على التفاؤل .

ولا ادري من ألوم على تأييد هذه الروح ، أحكومة الانتداب ، ام الحكومة الوطنية ام الزعماء وقادة الافكار .

على اني احمد الله انها طائفية موضعية لا يتعدى اثرها الى الخارج بدليـل ان هؤلاء الذين يوقدون نارهـا فيتفرقون في السياسة شيعاً واحزابا تجدهم كتلة واحدة عند اكرام الضيف والاحتفاء بالغريب، طائفية ليس لها الا الوظيفة غاية وسبباً .

غير ان هذا لا يمنع المهاجرين ان يتأثروا ويحزنوا لمـا يجري في بلادهم ولاسيما نحن القيمين في مصر ، فبينما نرى الوطن الثاني قـد خلع عنه الرداء العتيق رداء التعصب ، فاذا باجراسه ومآذنه تسبـح باله واحد ، اله الحب والاخاء ، نجد ذلك الوطن الاول لا يزال تحت نير التقاليد القديمة مغلوبا على وجدانه يفسد التعصب حكمة شيوخـه ويزرع البغض في صدور فتيانه .

ومراد النفوس اصغر من ان   تتعادى   فيـه   وان   تتفاني

جمال لبنان

من لاخواني في لبنان بسعد زغلول ثان ، يهدي نفوسهم الحائرة ويوحد بين قلوبهم المتنافرة ويجمعهم امة واحدة تحت رايته الظافرة .

متى تدق الساعة لرجل الساعة فينهض بهذا البلد العاثر ويفتسح امامه ابواب المستقبل المنير، فينجلي ليل هذا الشقاء عن اعمال ومشاريع وعمران تتحسن بها حالة البلاد الاقتصادية فتكثر الايدي العاملة وتقفل سبل المهاجرة وتنفرج تلك الضائقة التي اتى عشر سنوات عليها بعد الحرب ولا يزال ضغطها شديداً على ذلك الجبل وسكانه .

نحن لا نيأس من رحمة الله وننتظر بصبر ذلك اليوم المجيد . اليوم الذي لا بد منه . اليوم القريب ان شاء الله ، وفي حالة انتظاره نعمل الواجب في دائرة المستطاع ، وهو ان نعنى بالاصطياف ما امكن ، ونسهل له الوسائل ما وجدنا اليها سبيلا . وبذلك نحكم عرى الالفة بين هذين البلدين اللذين خلقا ليكونا بلداً واحداً وكل ما حولنا يدل عليه، التاريخ والنسب واللغة والعادات : مصر ولبنان . هذا يكمل ذاك ، هنا السهول المنبسطة والمروج الخضراء والتربة الخصبة المباركة وهناك الصخور الشماء والاشجار النضة والهواء المحيي . هنا شتاء يقيك برد الشتاء . وهناك صيف ينسيك حر الصيف .

جمال لبنان

فيا كرام هذا الوادي

هلموا الى تلك الجبال فانه لكم وطن فيها واهل واخوان
وابناؤها تشتاقكم كل حجة كما اشتاق وبل المزن روض وبستان
اذا فرق الشرق السياسة والهوى فمن فوق ذا التفريق مصر ولبنان

ذكرى الامير فؤاد ارسلان

ايها السادة

يذكرني هـذا الموقف عادة عند اليونان الاقدمين فهنـاك على شواطيء الارخبيل جزيرة صغيرة يقال لها تندوس ، كان يختلف اليها القضاة حيناً بعد حين للحكم في مباراة الجمال ومكافـأة الفائزين • وكانت الغاية من ذلك تمجيد الرجل الذي يدل جمال ظاهره على جمال باطنه ، الرجل الذي تنم ملامح وجهه الصافية على طباع لا تقل عنها صفاء من شجاعة وادعة وثقة بالنفس وخلق كريم ، وبالجملة الرجل الذي يمكن ان يقال عنه هو جميل قوي يحب وطنه ويعرف ان يدافع عنه •

واليوم امام هذا التمثال ، بالقرب من شاطيء المحيط ، في هذا السهل الذي يشبه الجزيرة،عندما اتذكر تلك الطلعة الشريفةوالوجه

الصبيح والأعين البراقة وما كانت تشف عنه من شمم واباء وجرأة واخلاص وتفان في حب الوطن والدفاع عنه اتساءل هل كان هذا الاحتفال الا صورة لذلك التمجيد ، وهل نحن الان نجدد من حيث لا ندري عادة اليونان الجميلة فنكرم الفائز في ميدان الوطنية .

اجل ياسادة ، انا اعتقد ان الامير فؤاد ارسلان لو كتب له ان يعاصر ذلك الجيل لكان في طليعة الفائزين الذين يستحقون اكرام الوطن،ولا ادري وايم الله ما يكون جواب معاصريه للاجيال الآتية اذا تساءل الابناء يوما لماذا خذل الامير في آخر ايامه ولم يكن يستحق الخذلان . ولعل في هذا التكريم وان جاء بعد موته ما يشفع بنا امام تذكاره وامام الضمير وامام الذرية .

ايها السادة

ان في حياة الامير فؤاد وموته عظة وذكرى ، هو ارانا في الحياة كيف تكون الخدمة حتى التضحية ، والجمهور ارانا في موته كيف يكون الاخلاص حتى العبادة ، وكلا المظهرين يمثلان لنا اشرف عواطف النفس : صنع الجميل وعرفان الجميل . وقد كان الاولى بي وقد رفع الستار عن تمثاله ان انصت مع المنصتين واترك لكم مجال

التأمل والاصغاء لهذا الخطيب الصامت ، ولاسيما لان كلامي فيه قد يعد تحصيل حاصل فما جئتم الى هنا الا علماً بمن تكرمون وايماناً بما عنه تعرفون فاي جديد مني تنتظرون؟ ولكن الامير فؤاد من الذين يحلو الحديث عنهم كل حين ، واذا فاتني يوم انتقاله ان اضع على ثراه اكليلا من الزهر فلا يفوتني يوم تمثاله ان انظم لذكراه اكليلا من الشعر :

*

أرأيته وقد استوى الضدان صلب الجماد ونضرة الانسان
شمس الاصيل تلوح في برديه ام هو نوره طفحت به العينان
ام تلك نار ضلوعه ردت له في المعدن المصهور بالنيران

*

يا حاملا لبنان طي فؤاده هل كنت الا القلب من لبنان
هذا مثالك والضريح ازاءه فكأنه فوز على الاكفان
فوز على لحد طواك فما طوى الا التراب بظلمة النسيان
ولئن صمت فدون صمتك لم يزل صوت الخطيب يرن في الآذان
حتى يخال الناظروك بانه شفتاك هذا اليوم تختلجان

ذكرى الامير فؤاد ارسلان

افؤادُ والاخلاص فيك سجية		انظر تر الاخلاص في الاخوان
يوم الرحيل بكوك واحتفلوا له		واليوم للقيا احتفال ثان
سلبتك منا الارض في آذارها		فغلبتها ورجعت في نيسان
واقمت في صحراء خلدة هيكلا		للمجد يرعى نوره القمران
ترنو الى البحر المحيط محدثاً		كالموج عما فيك من جيشان
وتبث في الغاب الحلي كوامنا		من حرقة في صدرك الولهان
اعيا اباطيل الحياة وردّها		حب تأصل فيك كالايمان
حلقت في آفاقه متجاهلا		خطر الصواعق وهي منك دوان
وكذا السياسة لا تراعي صاحباً		جعل الكرامة فوق كل مكان

*

أهلت بقربك خلوة احببتها		فكأنها ملأى من السكان
في جوها وصخورها ورمالها		أثر من المعروف والاحسان
يفد الحجيج اليك تحت لوائها		مستمطرين سحائب الرضوان
يتذكرون وهم وقوف خشع		في ساحتيك مواقف الشجعان
ايام كنت وانت في نوابهم		سيف رقيق الشفرتين يماني

*

ذكرى الامير فؤاد ارسلان

اليوم سالك الزمان فبت في   حرم تصان به من الحرمان
فتطيب روحك في ربى لبنانها   وترف في الوادي وفي البستان
تلقي على الاوطان درس مجاهد   لم يرض الا المجد للاوطان
درس اذ فات الشيوخ بامسهم   فغداً يرد صداه في الفتيان :
« لبنانكم وطن الجميع فوحدوا   مسعاكم فيه الى العمران
لا تفرقوا درزيه عن جاره   لا مسلم فيه ولا نصراني »

*

افؤاد نحن على ولائك ، لم نزل   نرعى القصي عهوده والداني
يفني الزمان الجسم اما ذكرك   الغالي فليس على الزمان بفان

زهرة الاحسان

ايها السادة

لقد انيح لي في زمن من الازمان ان اكون طبيب هذه المدرسة، فكنت اشهد عن كثب رقيها وازدهارها واحضر حفلاتهـا السنوية ورواياتهـا التمثيلية ، وارى كل عام زهرات ناضرات تودع هـذا البستان لتتقبل حياة البيت والعالم فتكون فيه قرة للعيون وبهجة النفوس ومثالا للزوجات والامهات .

وعدت اليوم بعد غيبة طويلة فوجدت شبابها يتجـدد على الرغم من المصاعب الكثيرة وتقدمها في اضطراد، وحسبكم بروغرامها الجديد للعام الآتي وفيه ما فيه ، ومن اجله ارسلت الى باريس في طلب رئيسة خصوصية تشرف على نظامـها الداخلي لتسير بهـا على نمط المدارس الاوروبية الكبرى .

والذي زاد في سروري ان هذه المدرسة وطنية بكل معنى الكلمة وطنية كانت ووطنية لم تزل ، وما سمعتموه على هـذا الملعب من لغة عربية صحيحة الانشاء سامية الالقاء ، لا لحن فيها ولا اخطاء ، دليل على ما تبـذله من العناية بلغة الوطن . هذه اللغة العربيـة التي تعود البعض منا ان ينكرها كما انكر بطرس المسيح ، على ما فيها من جلال وجمال. هنا تجدون حماها مخفوراً وذكرها مأثوراً ولواءها منشوراً. فمن الحق ان نوجه اليها الانظار ، ومن العـدل ان نكون لها من الانصار ، ومن الفخر ان تكون دارنا هذه الدار .

(وهنا ثناء على الرئيسة والمعلمات والممثلات :)

لي غادة حسناء رومية عرباء فتانة الاسماء قلبي بها ولهان
تقدم من عمري عشرون في الهجر ولم يزل فكري من ذكرها نشوان
اتيت ناديهـا فلم اجد فيهـا من حسن ماضيها شيئاً به نقصان
تثقف الاحلام وتحضن الايتام وتنشر الاعلام للبر والعرفان
طاحت عن الخمسين ولم يشبها شين وشبت قبل الحين وهي كالشبـان
لئن انكرت رسمي ما انكرت نظمي اي معهد العلم كم فيك لي من شان
هل تذكر الطبيب ام تذكر الخطيب كلاهما كئيب مما تقاسي الان

زهرة الاحسان

من ضيق بنيانك من عري جدرانك من فقر سكانك من قلة الاعوان.
فلينظر الغريب وليذكر القريب نظافة الحبيب ليست من الايمان.
يا معهد التعليم وموطن اليتيم من مجدك القديم نور على لبنان.
لو ان اقوالي تغني عن المال نظمت للحال في وصفه ديوان.
دومي على الدهر مرفوعة القدر محمودة الذكر عابقة العطر
يا زهرة الاحسان

المدرسة الاهلية

لسبع سنوات خلت ، اتيت بدعوة من الجامعة الاميركانية للخطابة فيها، واتاح لي الحظ يومئذ التعرف الى حضرة الفاضلة رئيسة المدرسة الاهلية. ومنذ ذلك الحين تعودت كل عام ان اتلقى كتابا منها تدعوني فيه الى الخطابة في ناديها ، فكنت اكتفي بالاعتذار ، الى ان عدت في العام الماضي ، وقدر لي ان ازور هذه المدرسة غير مرة وان اشهد حفلتها السنوية ، فكان ذلك كافياً لاثارة اعجابي وشعرت بالاسف ووخز الضمير ، اني لم البِ دعوتها في السنوات السبع ولو مرة واحدة وقلت في نفسي لا بد من التكفير عن هذا التقصير فسأكون بعد اليوم خطيب المدرسة الاهلية ما شاءت ذلك .

ولا انسى حادثة جرت لي في مثل هذا اليوم من السنة الغابرة ، فقد وضعت قبعتي على كرسي الى جانبي ، فاختفت ، ولما ارفض الجمع

ولم اهتد اليها ، بقيت اتحدث الى السيدة جوليا دمشقيه ، بينما كانت الرئيسة تشترك في البحث عنها الى ان ظفرت بها فعادت وهي تقول لي ان تحت هذه القبعة ٢٥٠ روحا (تعني تلميذات المدرسة) فلا يسعك بعد الان ان تقابلنا بالعصيان او النسيان . وحقاً انني منذ تلك الساعة لا ازال اشعر بهذه الارواح الطاهرة تمازج روحي فتبعث فيها النور وتوقظ الشعور .

والذي يزيد تأثري اليوم ما يمر بي من ذكريات الماضي ، فان الشهادة التي ستوزع على المنتهيات ، ان هي الا مثال لحياة الصبا التي طويت صفحتها كما طواها الكثيرمنكم ايها السادة ــ ولا اقول السيدات لاني لا احب ان يفارقهن الصبا ــ طويتها ولا ازال اذكر في طياتها ملذات طاهرة واحلاما ذهبية وصداقة عزيزة . هذه الشهادة هي الفاصل بين عالمين مختلفين على ما بينهما من الشبه ، متشابهين على ما بينهما من الخلف . الاول صار في ذمة الماضي والثاني لا يزال في طور المستقبل ، فكأنها تقف بحاملها على عتبة جديدة من العمر هي في الراحة ولكنها قصيرة الاجل ، والسعادة ولكنها سريعة الزوال .

ايها السادة

المدرسة الاهلية

كثيراً ما يحدث في اواخر الشتاء ان يطوف البستاني بحقله باحثا مستطلعاً حال البراعم الصغيرة سائلا بنظره الثاقب تلك الغلف عما تحتها من اسرار الربيع الذي سيشقها عصيره بعد حين . فهذا الطواف يذكرني طوافا آخر لا يقل اهمية عنه،وهوطواف المفكر امام الشباب الذي ترقد تحته اسرار الغد ، ويختمر منه في عقول الفتيان والفتيات اشياء هي اهم مما يحاول البستاني ان يدركه تحت قشور البراعم .

كثير من الناس ظلموا الشباب في حكمهم عليه فاوسعوه لوما واشبعوه ذما ونسبوا اليه عيوبا اقلها الكسل وحب الذات والتقليد واستبداد الرأي والدعوى الفارغة ، والقحة في الفتيان والعناد في الفتيات وعدم احترام الشيخوخة عند الفريقين . اما انا فمعاذ الله ان اكون على هذا الرأي ، معاذ الله ان ارى في هذه الزهرة التي لم تنشق بعد عنها الاكمام ، الا كل ما هو جميل ساحر ، من نور وطيب وندى رطيب ، وان اسمع من حولها الا اغاريد تبعث في القلوب ابتساما ،وتضرم في العزائم اقداما وتسكب على الضمائر بردا وسلامة فالشباب في نظري مطل النفس على الوادي الخصيب ، حيث تنبت اطماع المجد واحلام البطولة ، بل القمة التي تنتشر من فوقها اجنحة

الفكر للتحليق في سماء العبقرية والابداع ، بل الصخرة التي تتفجر منها ينابيع الشهامة والتضحية والشجاعة والحب .

واذا كان في ظاهر الشباب ما يدل على النزق والقساوة ،فالحقيقة خلاف ذلك ، لان الشباب مملكة آلام لا حد لها ، وهو يحمل على رأسه اكليلا ابديا من الشوك لاحتكاكه الدائم بالحياة وما يلاقيه من الخيبة ويعانيه من الرياء ويقاسيه من نفاق المجتمع وتقلب ابنائه. من اجل ذلك تعروني هزة عندما افكر بحال الشباب بعد المدرسة ، وانظر الى التبدل القاسي الذي يحدثه انتقاله السريع من حياة ملؤها احلام الى حياة عراك لا راحة فيه ولا نهاية له .

بعد المدرسة ! ما اوسع كلمة بعد ، وكم تفتح لنا من باب للتأمل . ولو تعود الناس ان يتساءلوا في كل امورهم : وماذا بعد ؟ لخففوا عنهم كثيراً من العناء . بعد المدرسة ! وقفة كبرى على مفترق الطرق يدرس فيها الفتى سبيله ، وما يتخير من عمل لآتيه ، وهل يكون طبيباً او محامياً او مهندساً او تاجراً ، اما الفتاة فقد كانت في غنى عن هذا الدرس لان طريقها مخطوطة منذ الازل فهي تبقى في البيت بانتظار العريس .

ولكن الحال تبدلت في الزمن الاخير ولم يبق من عار في نزولها الى العمل ومشاركتها الرجل فيه ، وبذلك حطمت القيود التي كانت تربطها بالماضي وخلعت عنها سيطرة الرجل الذي استبد بها الزمان الطويل.

بعد المدرسة! رواية تمثيلية لا تنتهي فصولها ولا تنحصر مشاهدها بمكان ولا بزمان وهي مباحة لكل انسان ، فعليه ان يفتح عينيه ويحاول ان يفهم ما يجري حواليه لان لكل حادث معناه ولكل مشهد نصيبه من القبح او الجمال والنفع او الضرر واللذة او الالم .

مشهد اول :

في مصعد الطريق مركبة يجرها حصان هزيل والسائق يحاول بالسوط ان يدفع الحصان الى الامام واذا بولد يتعلق بالمركبة من ورائها فيزيد الثقل على السائق والجواد.

هكذا كثير من الناس يعيشون على حساب سواهم ويحللون كل حرام في سبيل تخفيف متاعبهم وان يكن فيها زيادة التعب لغيرهم.

مشهد ثان :

فقراء يقرعون الابواب ويعترضون المارة في السبل ويرسلون صغارهم للاستجداء على ابواب الكنائس والمقاهي والمطاعم وفي كل

مكان ، فما معنى هذا ؟ معناه ان هناك خللا في ناحية من النظام الاجتماعي لانه لا يجوز ان يكون في البلاد الراقية تسول ولا استعطاء . والامة العزيزة تعرف ان تجد رزقا لليتيم والعاجز والمتشرد .

مشهد ثالث :

رجل يلقي في الطريق قشرة ليمونه او موزة فيعثر بها سواه وقد تنكسر ساقه بهذه العثرة . معناه ان بعض الناس يزرعون الشر عمدا او اتفاقا فيحصده البعض الاخر دون اثم ولا حرج .

مشهد رابع :

عامل يسير على قدميه باكراً ليكد في تحصيل قوته ، وسيديعود في سيارته من نادي القمار بعد ان قضى ليله لاهياً . هذا المشهد يبعث على التساؤل: ما يحل بالعالم لو اراد كل انسان ان يتخذ المقامرة مهنة له ولم يبق يد للعمل في حقل الاجتماع ؟

مشهد خامس :

رجل في البحر يحمل شبكة بيديه وهو يحاول ان يسبر غور المياه . حتى اذا لاحت له اشباح السمك اسرع بالقاء شبكته عليها . يذكرني هذا المشهد بالاخطار التي تنتظر الفتاة بعد المدرسة فما اعظم الشبه بينهما

وبين السمكة . كلاهما عرضة لشباك الصياد ولا فرق سوى ان السمكة تهرب من الشباك والفتاة تركض وراءها بحكم العلائق الاجتماعية ، فان الاخطار تعقد لها كل مرصد : في البيت والطريق والكنيسة واندية الرقص وملاعب التمثيل ودور السينما ، في البضاعة المعروضة في الاسواق ، والكتب التي تقرأها في ابتسامة الشاب الذي يتودد اليها . كل ما هو جميل جذاب يحمل اليها تجربة ابليس ويحاول ان يصطادها ويشد عليها كما يصطاد العنكبوت فريسته ، ونتيجة ذلك وقوعها في التبذير والاسراف او خروجها عن حدود الاعتدال والحكمة او تقصيرها في واجباتها البيتية او الاجتماعية او غير ذلك مما لا يحمد ولا يحب .

هذا بعض ما ينتظركن بعد المدرسة ، ومنه تعرف قيمة الشهادة التي تتوج اليوم جهادكن المدرسي . ربما كنتن تنتظرن بفارغ الصبر الافلات من قيد هذه الحياة الضيقة المملة الشبيهة بالسجن بما يزينه لكن الوهم عن العمران الذي تقرأن عنه: بنايات تناطح السحب ، فتح مستمر في البحر والجو ، كل يوم سر جديد تفشيه الكهربائية ، اخبار باريس تنقل في اليوم نفسه على الباخرة الذاهبة من لفربول الى

نيويورك، اختراعات عجيبة، حياة فائرة في لهوها وزهوها ومايسكب فيها من خمرة الحضارة والحرية ، نعم ولكن الى جانب هذا الرقي مظاهر النزاع من تحزب واعتصاب ، واشتراكية وفوضى وقتل وخطف ، وبغض الجاهل وحقد الفقير ، وعادات سيئة ورثناها عن الحرب ، ويأس عميق ينشر السوداء في القلوب .

كل هذا سترينه او تسمعن به فتتأ كدن ان اجمل ايامكن هي التي مرت بين هذه الجدران ، وان افضل وسيلة للمحافظة على صفاء اذهانكن وسلامة نفوسكن هي السير على التعاليم التي لقنتكن اياها هذه المدرسة ، واحرزتن بها هذه الشهادة .

وقبل نزولي عن المنبر اسمحوا لي ان اودعكن بهذه الابيات التي نظمتها خصيصاً بهذه الحفلة :

دعيني من الجيد والمعصم ... ولحظ سللت فلم ترحمي
ولا تذكري لي رماح القدود ... وورد الخدود ودر الفم
هو الحسن في العقل قبل المحيا ... فحلي حديثك ثم ابسمي
ومن خلق ناعم فالبسي ... حريراً على الجسد الانعم
ولا تأمني نضرة في الخدود ... اذا هي للقلب لم تنتمي

وحسبك يا هند روح ترف　　من الطهر في ثوبها المعلم

*

فتاة بلادي دعاني الوفا　　فجئت اليك بقلب ظمي
اردد ذكرك في خاطري　　وانشد روحك في الانجم
واصبو لربع عليك حنا　　يغذيك من روحه والدم
رضعت به العلم ملء جنني　　فحان لك اليوم ان تفطمي
وكل فطام له موسم　　وها آنذا جئت في الموسم
اذوق بك الادب المستطاب　　وارشف من كأسك المفعم
وانشد يا ليل فيك النعيم　　فبالله يا صبح لا تهجم
ولولاك لم يحل لي منبر　　ولا كنت بالشاعر الملهم
تبلج ثغرك عن دره　　فاشرق في فكري المظلم
نظمت لعيدك منه العقود　　وكم مر عيد ولم انظم

*

الا يا حمائم وادي الجميل　　جميل بواديك ان تنعمي
عليه تعودت ان تخفقي　　ومنه تعودت ان تحلمي
وعشك فيه فلا توحشيه　　بهجر طويل المدى مؤلم

المدرسة الاهلية

تزودت منه كريم المنى   فعيشي بذكر له اكرم
وطيري على ضوئه في الحياة   وعودي الى ظله فاحتمي
ومن حبه فخذي جرعة   لحب بلادك تروي الظمي
فكل دروسه ليست تقيد   اذا هي بالحب لم تختم

التجديد فى الشعر

من بواعث العجب ان يرتفع صوت بالدعوة الى التجديد في الشعر من شاعر قـديم . اقول قديم لا مداعبة ولا دلالا ، ولو قلت غـير ذلك لكذبني هذا البياض في رأسي . غير اني من الذين يؤمنـون بالشباب وينظرون الى النهـار الدائم في النفس ومن اجله يعمـلون . فالشباب ابدي لانه معنى من معاني الحياة ، والحياة ابدية وهي وحدها تهتز ونحن في فضـاء الوجود . ولا ريب ان في عالم الحس كما في عالم النفس أفاقا عذراء لم يرمقها بعد الناظر ولا الخاطر ، وما ترديد الناس لقول الشاعر ، هل غادر الشعراء من متردم ، الا من قبيل الاشهاد بحكم العادة دون الاستناد الى دليل او برهان .

الشعر اول رسول روحاني بعث لتهذيب البشر ، منه انبثقت الفلسفة وعليه قامت الاديان ، واليـه انتهى الجمال ، وقـد بقي مرفوع اللواء

حتى العصور الاخيرة ، فجاء العلم بحقائقه ومخترعاته ، وطما سيله عليه فلم يـتـرك له سوى زوايا القصور والخدور وأندية اللهـو والطرب ، وانفرجت المسافة بينهما ، فاصبح تغني الشاعر بالحياة والانسانية ناقصاً عقيما ، لان اشياء كثيرة من الانسانية والحياة غابت عنه . لقد مضى الزمن الذى كانت تكفي الشاعر فيه وقفة على الطلل البالي ، او نظرة الى القمر الساري ، او جرعة من الغدير الجاري ، للتغزل والنجوى وبث الشكوى،وصارت هذه الموضوعات وما اليها من احاديث الفخر والمديح مبتذلة ، لا تجد صدى بعيداً في النفوس بعد ان دخلتها اشعة العلم وخلقت فيها ظمأ جديداً يصعب ارواؤه بغير الجديد .

وهـل من المعقـول بعد ان شرب الانسان من خـبرة الزمان ، وانكشفت له افاق جديدة للتفكير ان يبقى الشاعر في دائرته الضيقة محصوراً في التأمل ببعض حوادث طبيعية عرفها منذ أجيال بصره في هـذا الوجود ؟ وما الفرق بين الانسان الاول وانسان اليوم اذا ظل هذا ينظر بعين ذاك ولا يحيد عن المسلك الضيق الذي ورثه عنـه .

لقد شبعنا وتعبنا من ذكر القمر والغصن والطير والنسيم ، تعبنا من التغزل بورد الخدود ورماح القدود ، تعبنا من الاحلام والالام

وكؤوس المدام ، تبينا من عربدات السكر ولذات القبل ونجوى الوادي وهمس النسيم. ألفاظ وتراكيب لها ماضيها المجيد، ولكنها اليوم قد أضاعت الكثير من تأثيرها لفرط ما كررت في القول والكتابة فلم يبق شعر الا رددت فيه ولا شاعر الا حام حولها .

انا اعتقد ان الشاعرية كالبطولة: نعمة سامية نادرة، فاذا اقتصرنا في الشعر على تعابير وتشابيه قيلت من قبلنا ألوفا من المرات ، فمن المزل في هذا العصر ، عصر الحقائق والتلفزيون والسرعة ،ان نضيع اعمارنا في النظم . لا أعني ان على الناظم ان يتناول في شعره هذه الحقائق ، ويجعلها محور كلامه . فالشعر غير هذا ، بل هو لم يخلق ليكون لغة العلم .

ولكن من يعيش في هذا الجو الجديد ويستنشق هواءه ، لا بد ان يتأثر به وجدانه تأثراً يخلع على الشعر مسحة عاطفية لا عهد له بها يكون لها من السلطان ما يفتح مغالق القلوب المستعصية ،ويساعد الشاعر على اداء مهمته السامية التي لا تنتهي عند عتبة اللذة واللهو والطرب .

واذا اجلنا الطرف في شعر الاعاجم ، وجدناه يتطور مع الزمن ،

ويلبس لكل جيل لبوسه،فيبقى مرآة صافية تعكس ما هم اصحابه عليه من حالة نفسانية واتجاه فكري .

هذا شعر الفرنسيين مثلا تعاقبت عليه ادوار مختلفة من كلاسيك الى رومانتيك الى برناسي فرمزي ، ثم جاءت طائفة جديدة ذهبت به مذاهب شتى من انساني Humanisme واجتماعي Manisme وخيالي Fantaisiste وصبياني Dadaisme وسواه ، وكلها تحاول الخروج عن المألوف : هذا باطلاق القافية والوزن ، وذاك بالتسامح في التركيب ، وآخر بقلب النحو والمنطق والبيان رأساً على عقب . ونحن وان كنا لا نطمع بمثل هذا الانقلاب ولا نستحسنه في جملته ، فلا اقل من ان نشق لنا طريقاً جديدة يشرق منها الخيال على افاق غير التي عرفناها والفناها .

ولقد وقع لنا شيء من هذا في الماضي ، وما الاندلسيات الا رد فعل يدلنا على ان القوم تعبوا من النظم على النمط القديم بعد ان بلغوا من التنميق فيه الغاية كما قال ابن خلدون، فاستحدثوا فناً سموه الموشح . غير ان هذا الحدث ضيق محصور لا يتناول سوى طريقة النظم ، وهذه موشحاته تحوم كلها حول موضوع واحد ، ولا تجد

فيها غير استعارات وتشابيه واحدة، وحسبك ان تقرأ موشحاً لتستغني عن الباقي. وظلت الحال على هذا المنوال: اللاحق يقلد السابق، والشعراء في سائر الاقطار العربية يتناوبون حمل صولجان الشعر دون ان يمتد ملكه الى أبعد مما رسمه الاقدمون، الى ان قام في عصرنا هذا فئة من الشعراء تضيف الى القيثارة الكبرى اوتاراً جديدة.

كيف يكون هذا التجديد؟

يكون في المبنى وفي المعنى، او بعبارة ثانية في التعبير وفي التفكير.

التجديد في التعبير

يتناول المفردات

والجمل

واسلوب النظم.

أ — اما المفردات فبالخروج عند الحاجة عن معانيها الظاهرة المألوفة لان الكلمة ذات مستقلة لم نأخذ منها حتى الان سوى الظاهر من معناها دون التعمق فيها، فاذا عرض لنا استعمال لم نألفه عددناه ثورة ونبذناه قبل ان نترك للاذن وقتاً للتعود عليه، وللخاطر مجالا ان

يرتاح اليه . مثلا تعودنا ان نقول نعومة الشعر الاشقر ، فلو جاءنا مجدد وقال نعومة الشعر الشقراء، لقلنا هـذا هذيان .فكيف توصف النعومة باللون وهي لا تدرك بغير اللمس ، مع انه لو تعمقنا في الحقيقة لوجدنا ان هذا الذي نسمته بالهذيان هو في الواقع أبعدمدى في الوصف والبيان ، فان الباس النعومة لوناً اشقر يخلق في ذهن السامع صورة جديدة تريك النعومة في اقصى مداهـا . انك ان اردت الكلام عن الشعر الاسود لا تقول النعومة السوداء ، لان اللون الاسود يفيـد الحداد والا كداد ولا يمكنه ان يعطيك صورة ناعمـة صافية نقيـة كاللون الاشقر . وجل ما نحتاج اليه هو الفة هذا التعبير والتعـود عليه .

كذلك تعودنا ان نقول ليل مخيف وليل عميق ، وما تعودنا ان نقول ليل عنيف مع ان الليل جزء من الوقت كالصبح وكالظهـيرة وقد نضطر الى وصفه بغير ما يفهم منه اشتداد الظلمة . ومثله قولنـا تبدد الظلام او تمزق ، ولم نقل يوما سقط الظلام ، لاننا لم نألف ان ننظر اليه كجبار باسط جناحيه على الارض يمكنـه ان يسقط تحت اقدام الفجر ، الى آخر ما هنالك مما لا يقع تحت حصر .

وقد قرأت لاحد الافاضل كلاما عن التعريب يستهجن فيه هذه الجرأة في استعمال المفردات في غير مظانها المعروفة ، مقدما مثلا على ذلك قول بعضهم غابات نائمة بمعنى هادئة ، فاخذني الدهش والاسف معاً وتساءلت ما يكون وقع دعوتي الى التجديد من نفوس ادبائنا اذا كان كبارهم لا يريدون خلع نير الماضي فيقيدون هذه اللغة كما يقيد الصينيون أرجل بناتهم ، ولا ادري وأيم الحق اين وجه الاستهجان في الغابات النائمة ، وهل كان النوم الا صورة السكون ؟

قال الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر : « اللغة العربية اوسع اللغات مذهباً ، فيها المجاز في النسبة ، والمجاز في المفردات ، والمجاز في المركبات ، وفيها التشبيه والكناية ، وهي واسعة الصدر للدخيل ما ان تراه حتى تخلع عليه ثوبا من ثيابها وترده الى اوزانها وتتخذه ولداً من اولادها ، تعامله معاملتها فتنشق منه وتتصرف فيه الى آخره . . »

فلغة هذه صفاتها لا يصعب عليها ان تصف الغابة الهادئة بالنوم ، ولا تجد في هذا التعبير الافرنجي ما يغاير نسبها ومقدرتها ورقتها ووضوحها وافتتانها ، بل ربما جاء هذا الوصف اكثر انطباقا على الحقيقة الماثلة في مخيلة الشاعر . والحرية التي نطلبها في استعمال المفردات

غايتها ان تكون الكلمة عبدة لنا لا ان نكون نحن عبيدها، ولا يخفى ما في هذا التوسع من خدمة البيان ونجدة اللسان .

ب ـــ واما الجمل فلأن ما شاع استعمالها منها اصبح مبتذلا لا يهز السمع كما تفعل التراكيب المستحدثة ، والشاعر المجدد من اهتدى الى قوالب اخرى يفرغ فيها معانيه فيزيد في تأثيرها دون ان يسيء الى هذه اللغة . وحسب الشاعر الذوق هاديا فيما يحاول بناءه من جديد العبارات فيتوخى في اظهار شعوره حاجة العصر من الاقتصاد في الوقت فضلا عن ان الذهاب بالتعبير الى اقصى مداه يضعف الصورة ، بخلاف الغموض الذي يلازم الايجاز فانه ينفع في تنبيه فكر السامع واعمال فكرته لرد المعنى المبرز في حلة من المجاز الى حقيقته ، وهي حركة ينطبع فيها الاثر باشد من انطباعه لو بلغ المدركة دفعة واحدة ، ويعطي القارىء لذة اكتشاف المعنى في قلب الشاعر كأنه شريك له في النظم .

قال الصابي : « افخر الشعر ما غمض عنك فلم يعطك الا بعد مماطلة منه . »

وهذا القول يظهر لك ان المذهب الرمزي الذي يشير به شعراء

فرنسا في الخمسين السنة التي خلت قد سبقهم اليه العرب ، ومن «ستفان ملارمه » الى « فاليري » لم يأت اولئك بشيء لم يعرفه شعراؤنا .

ت — واما اسلوب النظم فليس الغاية منه اطلاق الشعر من قيد القافية والوزن كما فعل الاعاجم،فان عندنا من الشعر المنثور والسجع ما يقابل الشعر الطليق عندهم ، وربما يزه حسناً ، فمن الواجب ان يبقى شعرنا شعراً ، على انه لا بد من التساهل في امور عارضة لا تؤثر في جوهره . فالقافيـة قد لا تليق بالناظم في موضوع عصري يتطلب الدقة ولا سيما في القصائد الطوال التي يتعذر فيها الاحكام والاتقان ، فخير للشاعر ان يستغني عنها من ان يأتي بهـا قلقة نافرة على شرط المحافظة على الموسيقى التي تعوض بجمال ايقاعها عن جمـال القافية فلا يشعر السامع بما تحدث من الفراغ ، كما في هذه الابيات مثلا :

ان اكن قد بحت يوما بالهوى فلأنفـاس الســحر
بحت للريح التي تضحك او تبكـي باوراق الشجر
بحت للنهر الذي يصغـي الي كلمـا ملت بوجهي نحوه
صامتاً في جريه متئداً ، ان اكن بحت فقد بحت به
للصدى

ولم يترك الاعاجم سبيلا للتجديد الا طرقوه حتى انهم استعملوا في القافية ما نعده من عيوبها فجمعوا بين lerne , livre , terrasse, rousse, وهو يقارب ما نسميه عندنا الاكفاء والاجازة [انظر آخر المقال]

ونحن لا نطلب النسج على منوالهم بل نريد التخلص من القافية عند الحاجة دون الاساءة الى الشعر ، كما اننا لا نطمع بايجاد بحور جديدة وان يكن المولدون أتوا على ذلك كما روى ابن خلدون ، لئلا نغرق في الفوضى . غير ان استعمال غير واحد من بحور الشعر في القصيدة الواحدة لا يعد عيباً ، لان مواقف القول من مدح ورثاء وغضب وغيره تحتاج الى مختلف الاوزان فقد يوافق الكامل الغزل ، كما يلائم البسيط الرثاء ، والطويل الفخر . والشاعر الحر مدفوع بالبديهة الى التنقل من بحر الى بحر مع العواطف كما تنتقل انامل الضارب على العود من وتر الى وتر .

ثم هناك من الابحر ما تشابه في الايقاع كمجزوء الوافر والهزج فلماذا لا ندمج بعضها في بعض عند الاقتضاء ؟ لقد وجد الشعر قبل ان توجد قواعده ، فهو يقال عفو السليقة ، ولا ارى ما يجبرنا على

التقيد بما وضعه القدماء مما ينافي المنطق والفطرة، ولاسيما لان الايقاع الموسيقي موجود في نفس الشاعر قبل الفكرة ، فحقه ان يختار الاسلوب الاوفق له .

لقد اتى حين من الدهر لم يكن فيه الشعر مبنياً على اوزان مطردة او مفصلا الى ابيات مقدرة كالمتعارف اليوم ، كما يستدل من الشعر القديم الوارد في بعض اسفار التوراة والنبوءات ، واذا لم يقنع كلامي بعض المحافظين من المتطرفين ، فاني اقول ما قاله الصبان وايده الزمخشري في القسطاس من ان بناء الشعر على وزن خارج عن بحور الشعر لا يقدح في كونه شعراً ولا يخرج عن كونه شعراً .

التجديد في التفكير

لقد حاول بعض شعراء العصر ان يجددوا بطرقهم موضوعات غير الغزل والمديح والرثاء وما اليه ، فاجادوا في وصف حيوان او آلة او واقعة تاريخية ، الا انهم لم يتناولوا سوى ناحية من التجديد لان الوصف ليس كل ما يمتاز به الشعر عن النثر ، بل لو اردت مجاراة بعض المغالين من مجددي الافرنج اقلت ان الوصف وما فيه من صور

وعواطف وافكار هو من مرامي النثر، وبالنثر تستطيع ايضاً ان تستفز الحماسة وتستنزف الدموع .

فالشعر غير هذا وفوق هذا ، واول ما يطالب فيه هو هذا الشيء الذي لا يوصف،والذي يندفع من القلب فيمر على الصور والعواطف والافكار كما يمر التيار الكهربائي على المعدن فيلبسه حلة قشيبة . هذا هو الشعر الخالص في نظرهم ومن دونه لا قيمة للشعر .

غير اني اعفيكم من هذا القول ، اولا لان الطفرة محال ، ونحن لم نجاوز بعد عتبة التجديد لنجلس في صدر النادي . وثانياً لاني لا اوافق على هذا القول الذي يهدم بناء العصور ويذهب بكل ما نظم منذ القدم الى اليوم ، ولا يبقي للشعر أثر في بدو ولا حضر .

لكل ان يعرّف الشعر كما يشاء ،وقد قيل طرق الشعر أسهل عليك من تعريفه ، ولكن الواقع الذي لا غبار للشك عليه هو ان ثمة شعراً لا ينكر ، وشعراء اطربوا سمع الدهر حاضراً وماضياً ، وما نشكو منه اليوم ليس فقد الشعر بل تكاثره الى حد الابتذال وضرب الشعراء على وتر واحد ، واذا نحن سعينا الى التجديد فليس معنى ذلك ان القديم قد لف بالكفن وذهب كل جمال فيه . ولكن هي

شرعة الترقي تدعونا الى الاستنباط للانتقال من حسن الى احسن ، وما كل مجدد بمحسن .

كيف يكون هذا التجديد ؟

كان الشاعر يكتفي بالحقيقة الظاهرة التي يقدمها له الواقع فيمضي في النظم حسب ما يلقنه وحي الساعة ، اما اليوم فقد اميط الحجاب عن حقيقة أخرى آتية من اعماق العقل الباطن الذي يكفي الواحد منا ان يفكر بموضوع دون ان يقدم على الكتابة فيه حالا ، ليأخذ هو بالعمل لنفسه من حيث لا ندري ، عمل خفي بطيء تشترك فيه قوى الذاكرة بينما الانسان مشغول عنه باعماله العادية او بالكتابة في موضوع آخر ، عمل يدعو اليه المعاني والصور من مختلف النواحي فترد مسرعة او متباطئة ، وتملأ الساحة التي وراء الادراك ، حتى اذا عمد الشاعر الى القلم بعد هذه الفترة التي قد تكون شهراً او عاما ، وجد من نفسه استعداداً لا عهد له به واخذ يقتنص كالصياد تلك المعاني والصور ، منها القريب ومنها ما لا يزال في منتصف الطريق اليه . وكم من مسألة عويصة حلت على هذا الوجه ! وكم من اختراع تجلى لصاحبه على هذه الصورة ! وقد يساعد هذه الحالة بعض المنبهات

او مهيجات العصب كالخمرة والحمى ، كل ما يخدر المدركة ليفتح الطريق للقوى الكامنة وراءها .

لا اعني ان الشاعر مضطر كلما اراد النظم ان يستعد هذا الاستعداد الطويل ، او يلجأ الى السكر ، او يلقح جسده بالحمى ليفتح عليه ، فان من الوقائع ما يدعوك الى النظم لساعتك ولا يدع مجالا للعقل الباطن ليمدك بما في خزائنه من الكنوز ، فما عليك في مثل هذه الحال الا ان ترد نظرك الى اعماق نفسك وتستل منها ما يختلج فيها ساعتئذ .

لنفرض ان طائرة هوت من حالق وتحطمت امامك بمن فيها فتحركت فيك عاطفة الشعر ، فاذا اتبعت الطريقة المألوفة فاول ما تصفه سقوطها وحالة المصابين مستعيناً بتشابيه واستعارات جارية على كل لسان .

على ان لديك موارد جديدة غير هذه وهي ما يمر في نفسك عند رؤيتك الفاجعة مرور البرق ، فاذا انتبهت له واخذته فوراً كما يأخذ المصور الشمسي الصور السريعة ، فقد استطعت ان تزيد على ما عندك من المعاني ما يعبر عن شعورك الداخلي ، والهزة النفسانية التي أحدثها

سقوط الطائرة، فتضيف الى صورة الواقع صورة اخرى من اضطرابك الذاتي وما توارد على خاطرك في تلك اللحظة من شتى التذكارات والصور والالوان والاصوات .

وهناك فضلا عن الوقائع مرئيات الوجود التي لا نوليها عادة اهتماما كافياً مع ان كلا منها كما قال «ديدرو» يستطيع ان يقود الفكر الى ما لا نهاية له من الاشياء .

خذ اللون الاصفر مثلا فهو يذكرنا بالذهب ويذكرنا بالحرير ويذكرنا بالمرارة ، واذا تغلغلنا فيه وجدناه لون الغضب والخوف والحسد والهموم ، والشمس عند غروبها تصفر من ألم الفراق ، وقد يقبض المجنون على خيط من القش اللامع فيحسبه شعاع الشمس ، ولا بد من نقطة يلتقي عندها الشاعر والمجنون .

قال ابو تمام في الارض :

يا صاحبيّ تقصيا نظريكما   تريا وجوه الارض كيف تصور
تريا نهاراً مشمساً قد زانه   زهر الربا فكأنما هو مقمر

وقال آخر :

يا لسحر حملته في جبيني   من ربيع الآمال والايام

وعناق السماء في زرقة البحر   وفي خضرة الشعاع النامي

فالاول رأى الزهر فخاله شعاعا، والثاني رأى الشعاع فخاله زهراً وهكذا القول في سائر الاشياء التي يقع عليها نظر الشاعر . خذ النجمة مثلا ، فقد تراها مقلة :

ايل المحبين هل هذي عيونهم   ماتوا فاطلعتها في الليل اقماراً

وقد تراها دمعة :

انت تبكين يا نجوم ...

وقد تراها شمعة :

والليل في صمته الرهيب   كراهب يحمل الشموع

وقد تراها فماً او دما :

أثغور كئيبة ام جراح   أنت في اللانهاية السوداء

واذا تماديت في الخيال حسبتها سيفاً :

اين من يعشق النجوم غضابا

وقد وصل بعض المجددين من الافرنج الى تشبيه عواطفهم بالالوان ، فللتقوى لون ، وللفرح لون، وللذة وللالم لون وللشبع كما للضجر لون. ومنها تخطوا الى صلة قرابة بين الالوان والاحرف الصوتية فاختاروا

لكل شعور او لون صوتا يقابله ، فاذا ارادوا النظم في موضوع اكثروا من الحروف الملائمة له في نظرهم . الا ان هذا المطلب وعر المسالك ولا سبيل الى بناء قاعدة له لتشعب الاذواق وتضاربها . فقد يكون التفاح لون الفرح عند الواحد ، ولا يكون كذلك عند الاخر . ومن يدري فقد يجيء في الغد من يخلق الرائحة للشعور كما لو جعلنا البخور رائحة المجد والفخار ، والياسمين رائحة اللذة الى آخره ، وهذه بلبلة لا نهاية لها .

والذي أريد ان اقول ان في ميدان التجديد متسعاً للجميع ، وما كل مجدد بمحسن ، والموفق من ضرب على اوتار كل فؤاد ، لان الشعر كالامواج المرتزية وفي الطبيعة البشرية اماكن محجوبة ، فاذا اهتدى اليها الانسان حيث هي من نفسه فقد عرف السبيل الى نفس سواه وكان له التأثير المنشود .

انا لا اجهل ما قد تسبب الدعوة الى التجديد من الفوضى لتعذر ربطه بقواعد واصول ، ولان كثيراً من الشعراء لا يزال يسيء فهم هذه الكلمة ويحسب ان التجديد هو تطليق القديم وانكار مزاياه ومحو آثاره ، ويجهل ان في القديم ما يبقى جديداً على الدهر ولا

تبلى محاسنه. ولكني اسألكم هل نحن في نجاة من هذه الفوضى اليوم؟

فعلى الشاعر اذاً أيا كان شابا او كهلا ، وسواء كان من الذين ينهضون في الليالي المحرقة كما قال «موسيه» يصلون ويبكون ويبسطون ايديهم نحو اللانهاية وملء قلوبهم الاشفاق لا لام مجهولة ، او من الذين يدرسون مصائب الاجتماع ويشاطرونه افراحه واتراحه ، او من الذين يتبعون حركة العلم والرقي الانساني ، عليه ان يسعى الى تكوين ذاتية خاصة به يستعبد بها القلوب ، وان يظل اميناً على هذه اللغة الشريفة الجميلة فلا يتسامح في الخروج على مبادئها الاساسية وان يحافظ على الروح القومية التي تتجلى فيها حتى اذا نقل شعرنا الى اللغات الغربية ظل أثر هذه الروح باديا فيها الى جانب الاثار الاخرى الدالة على مبلغ ثقافتنا وكرامتنا .

---

*) الاكفاء هو اقتران الروي بغيره من الحروف المقابلة له في المخرج كقوله:

اذا زم اجمال وفارق جيرة وصاح غراب البين انت حزين
تنادوا باعلى صخرة وتجاوبت هوادر في حافاتهم وصهيل

والاجازة هو اقتران الروي بغيره من الحروف المتباعدة عنه كقوله :

خليلي سيرا واتركا الرحل انني بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه يشرى رحله قال قائل لمن جمل رخو الملاط نجيب

ويرى القارئ في القصيدة التالية محاولة من هذا القبيل :

الارض

لقد شبت وما شبت تقول الارض للناس
فمن شرق الى غرب ومن قطب الى قطب
ومن رأسي لاطرافي
يمر الدهر كالحلم
على جسمي
فلا يوهن من عزمي
ولا يرهق اعطافي
وكيف أصاب بالهرم ومن ذهب الضياء دمي
وامي الشمس في الفجر بقبلتها على ثغري
تجدد حر انفاسي
لقد شبت وما شبت تقول الارض للناس

*

صحبت ذنوب الزمان فلم أجد مثل يومي وآفاته
جنون على رمي زحفه وفي اضلعي وقع ضرباته
يلذ ضرب المعول

يقول لي

انت الغـذاء والمـنى ، يا امنـا ، لا تبخـلي
واما ضربـة المـار لساب معـادن الارض
وسبك سلاحها الناري على الاطماع والبغض
فما لي بعدها آس
لقـد شبت وما شبت تقـول الارض للناس

✲

حملتـكم على صـدري وفي الانواء مضطربي
وتحت سنـادس خضر كتمت لظى تأجج بي
وفوقي النار تستعر
أثرت جحيمها القاني فثـار عليك يا جاني
وطاف بربعك الناءى فمـا لـلام من حام
وما للاخت من راع وطفلـك مهـده دام
تناغيه وتحتضر
تركت عليه من امـل الرجوع شعاع محترق
وطيف اليتم في العينين لم يـترك سوى الارق

يناجي ظلمة اليأس

*

الا في ذمة الله خيال لاح للسلم
أطل بنظرة الساهي وطار بخفة الحلم
فما كحلت اجفاني

فرشت له على جنبي وثير مطارف الحب
فاسرع دونه المدفع وخرّب ذلك المضجع
وغطاه باكفان

وكانت بهجة العيد فلم يترك على بابي
سوى الاعياد للدود وعن قيثارة الغاب
اناب انين ارماسي

لقد شبت وما شابت نقول الارض للناس

*

يا لسحر حملته في جبيني من ربيع الامال والايام
وعناق السماء في زرقة البحر وفي خضرة الشعاع النامي
واختلاج الفضاء والليل يمشي حافياً في السهول والاكام

ورماد الضيـاء يذريه فوقي قمر ساهر على احـلامي
وصـلاة تعـلو مع الموج والريح على زفة من الانغام
وشذا السكر عابقاً في برودي من مدام الهوى او الاوهام
... صور للجمال شوهتموها بدخان من حالك الاثـام
اطفأ النور في الثغور والقى شبح الجوع في العيون الدوامي

*

ما لنجوى الاسلاك لا تستفز اليوم اصداؤها سوى آلامي
ولحظ الحديد ارجف من قضـ بانه وهي اضلعي وعظامي
والجواري من الضفاف اليها نظرات ليست حديث هيام
رسل الفقر والدمار وقبلا حملت ثروتي وصانت حطامي
أإلى هـذه المخـازي انتهيتم بعد نهك العقول والاجسام
وعصور من ظلمـة وشقاء وخنوع وثورة وانتقـام ؟
بئس عمرانكم وحكمة جيل افسدته سياسة الحكـام

*

الا فارجـع الى داري وان شطت بك الدار
ولا تهزأ باسراري ففيها النور والنـار
لمن يؤمن او يسعى

أليس الجوع والحب مـدار حياتك المره
فحسبك فيهما حسب بساطـة عيشـة حره
وجود ينصف الزرعا
اذا ابتسمت على ثغري الاماني فهل تبقى سماؤك مكفهره
وما معنى الحـلاوة في دناني اذا كانت على شفتيك مره
عصرت من دم قلبي في كأس حبـك خمرا
فما تمليت حبـاً ولا تذوقت عصرا
أ كلـما فاض رزقي بدلت باليسر عسرا
فتتلف الزرع شـهـراً وتمنـع الزرع شهرا
*
وضعت القيد في نحري فضـاعت فيك آمالي
ورحت تزيـد في فقري تريق دمي على قـبري
تمزق شمل عمالي
فاين السـاعد الحر ليحمي الرفش والمعول
واين الفتية الغر يلين لعزمهـا الجندل
عساك تلين يا قاسي
لقـد شبت وما شبت تقول الارض للنـاس

ذكرى الدكتور صليبي

ايها السادة

لغيري من الذين عرفوا الفقيد وخبروه ان يقص عليكم تاريخ حياته المجيدة . اما انا فمعرفتي به لا تتجاوز حد ما اسمع او اقرأ عنه وهذه المعرفة على ضآلتها ، يرجع عهدها الى ايام الشباب عندما كنت طالباً للطب ، يهمني كل ما له به صلة فكان الدكتور صليبي في عداد من يحيطهم اعجابي بهالة من نور .

وظل هذا الاسم يقرع سمعي حيناً بعد حين حتى الزمن الاخير ، وكلما ذكر العصاميون والنوابغ او تناول الحديث لبنان وابناءه في ارض الغربة كان اسمه مثلا حياً على ما يمكن هذا البلد الطيب ان ينبت من الاخيار وما يستطيع الذكاء والاجتهاد معاً ان يصلا اليه من الابداع . وربما كان لشهرته هذه أثرها الخفي في نفسي فكنت من

حيث لا ادري استوحيها النشاط في ساعات الضعف والامل في حالات اليأس .

من اجل هذا قبلت بسرور الكلام في هذه الحفلة لا لمجرد مديحه بل تقدمة وفاء من روحي الى روحه .

منذ العصور الاولى وجد بين البشر من فاق بعقله البشر وما وصل الينا من مخترعات ذلك العهد المظلم دليل على ان النبوغ لا يختص بمكان او بزمان ، بل هو صفة لازمة للعقل الانساني كامنة فيه كمون الحياة في الخلية تنتظر ان تدق ساعتها لينشق عنها الحجاب فترفع صاحبها فوق مراتب الناس . فاذا اضفت الى هذا الاستعداد ما يقدمه العصر الحاضر من اسباب البحث والتمحيص والثقافة والرقي ادركت مدى ما يستطيع ان يصل اليه ذاك الذي كتب له ان يكون من النوابغ .

هكذا الدكتور صليبي فقد جمع الى ادب النفس ادب الدرس ، وزاد على ما حلته به الفطرة من الذكاء الخارق اجتهاداً وايماناً قلما يرى مثلها في رجل ، فافلح في كل ما عمل وكان نابغة في جراحة الابدان وسياسة البلدان ولغات اللسان .

ذكرى الدكتور صليبي

انها وايم الحق لنعمة كبرى ان يفتح المرء عينيه للوجود ، ثم يقيس اليه ما يحمل في نفسه من قوة الروح والمادة ، فيشعر ان هذا الوجود على عظمته واتساعه لا يقصر من طول باعه ولا يقوى على غمر مدى اطماعه .

جسم كالجبابرة يحمل قوة اشد من الحديد ، وخلقاً أطرى من الندى ، ودماغاً واسع الخيال بعيد مسارح التفكير. بهذا السلاح دخل الصليبي معترك الحياة جنديا يخدم الانسانية والعلم فقارع وناضل ودافع وجادل تارة في ساحة الاقلام وطوراً في ساحة الآلام وآناً في حومة الوغى رسول هدنة وسلام الى ان آذنت الهدنة الكبرى فالقى سلاحه ونام .

نام وسكن قلبه الخفاق بكريم السجايا ، وخبت تلك الشعلة المقدسة التي رافقته في جهاده الطويل ، بعد ان ترك من اعماله اثراً ينتهج على مثاله ، وتعزية كبرى لذويه وآله .

يا شعر جد بندى رطيبِ   أروي به قبر النجيبِ
قالوا غريب الدار غابت   شمسه قبل الغروب
قلت الذي ملك البيان   وكان مفخرة الشعوب

ذكرى الدكتور صليبي

ومشى اسمه في كل قطر لا يسمى بالغريب
ما القبر في حجر يقام وزخرف الفن العجيب
هو للبطولة حين تنشد في الخواطر والقلوب
فينير من افق الضمير دجى المشاكل والخطوب
ويخط نهجاً للاديب اذا التوت طرق الاديب

✡

اني ارى حدين يستبقان في كف الطبيب
قلم يسيل ومبضع ما جف الا عن خضيب
هذا الى الجسم المصاب وذاك للرأي المصيب
قطرات حبر او دم نزلت على ترب خصيب
سوداء او حمراء غايتها القضاء على العيوب
علم النبوغ يرف باللونين في الافق الرحيب

✡

يا موحشاً لبنانه من قبل ذا السفر الرهيب
انا ان رثيتك لا اقلد او ابالغ في النحيب
لا البدر هاو من ذراه ولا الطبيعة في شحوب

ذكرى الدكتور صابي

لكن لحنا للمكارم نام في الوتر الطروب
يتألمون له اذا افتقدوك في اليوم العصيب
هي دمعة جمدت على شفة المرتل والخطيب

*

في ذمة التاريخ ما قدمته يا ابن الصليبي
علما واقداما وتضحية وحباً للقريب
ذكر يطل من الحبيب مجدداً رسم الحبيب
يمشي على نغمات عود او على نفحات طيب

حفلة الاربعين لمفتي بيروت

ايها السادة

في هذه الحفلة التي تقيمها بيروت حداداً على مفتيها السابق لا اطمع بكلمتي هذه ان ازيد قدره تمجيداً او اضيف الى الاكليل الذي ضفرته له الفضيلة ورقاً من الغار جديداً ، انما جئت باسم الملة الارثوذكسية اقي ديناً واجباً عليها لمن احبها حباً اكيداً .

ولغيري من الخطباء ان يعدد اليوم مآثره الكثيرة ، حسبي منه هذه الصورة الجميلة التي يتجلى فيها الاخلاص والخلق الكريم لاشعر بعظم ما نالنا من الخسارة في هذا الرزء العميم .

يقول شاعر الفرنسيس : « في الكون ما هو اوسع من الارض اي البحر ، وما هو اوسع من البحر اي السماء ، وما هو اوسع من السماء اي ضمير الانسان » فهذا الضمير الذي يسع الارض والبحر والسماء هو الذي مشى في فضائه مصطفى

نجا غير هياب ولا وجل حاملا اعباء امة كبيرة يصونها في دينها ويهديها في دنياها ، محافظاً على تقاليدها الصالحة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر عاطفاً على الفقراء والمساكين.

وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله .

ولم تك طريقه مفروشة دائماً بالازهار بل كانت العقبات تعترضه من كل جانب وهو ثابت في وجهها مترفع عن المصالح والاحزاب يفتي بين قومه بما اوتيه من علم وايمان لا يهمه ان خالفت فتواه رغبة الناس على شرط ان لا تخالف الحق واليقين . ولا يسامح نفسه بشيء مما لا يسمح به الدين . والى جانب هذا التمسك بالعقيدة والصلابة في الرأي قلب كبير لا يريد الا السلام ولا يحلم بغير الاخاء العام واذا كنا اليوم لا نشعر بتلك السموم التي كانت تنفثها فينا عقارب البغضاء ، اذا كنا اصبحنا بنعمة الله اخواناً تخفق لنا قلب واحد بالحب الانساني والاخاء القومي فلسيرته الطاهرة فضل كبير في تحقيق هذا الحلم الجميل .

هذه هي الصفحة الغراء التي طواها القدر من ماض احبنا ولم يبق منه سوى الذكرى . لقد كان مصطفى نجا آخر حلقة من تلك السلسلة اللامعة التي ازدان بها جيد الماضي بمن ضمت من شيوخ العلم

والفضيلة . عاش عصرين وقسم حياته بين جيلين ، وفي كليهما كان الرئيس المحبوب المسموع الكلمة ، وبين الماضي الحريص على تقاليده والحاضر المولع بجديده عرف ان يبقى كما هو لا يبدل منهاجا ولا يطيق اعوجاجا قانعاً من الحياة بان يقوم بالواجب الذي وقف لاجله حياته فكان كالنبع المتحدر من اعالي الجبال يخط في السهل مجراه العميق ويتابع فيه سيره نحو الابدية ومن حوله على الجانبين مروج خضراء يرويها نميره وفضاء مسحور يطربه خريره .

ايها السادة : ان من كان مثل الفقيد فموته لا يعد خروجا من الحياة بل دخولا فيها فهو يختفي عن الابصار ولكنه لا يزول . وكلما انشقت الارض لتضم في ظلماتها مثل هذا الرفات تنشق في السماء سحابات من النور تلتحف بها الروح الكبيرة .

ولقد اصطفيناه في الدنيا ــ وانه في الاخرة لمن الصالحين.

واني على يقين ان تلك الروح راضية اليوم في مقرها العلوي لان خلفه في الافتاء اهل لان يكمل ما بدأ به فنرى في المنصب الجديد جهداً جديداً واخلاصاً جديداً وعظمة جديدة للملة الاسلامية وللانسانية.

سباق الخيل فى مجلس النواب

ايها السادة

ان القانون المعروض علينا اليوم يتناول موضوعا هاما يستحق البحث من وجوه عديدة . فقد صار السباق الشغل الشاغل لابناء هذه البلاد وحديث الخاصة والكافة وفي كل يوم ضجة ترتفع من حوله وشكوى يتردد صداها في الاندية والمحافل والبيوت حتى التبس الامر وتشوش على الاذهان وتوارى في تياره وجه الحقيقة عن السباق. فمن قائل بابقائه ومن قائل بالغائه وبين هذا وذاك لا تزال الجماهير منصرفة اليه حائمة عليه تعقد بارسانه الامال وتنفق في ميدانه الاموال ولا تستقر منه على حال من الاحوال .

ولهذا استميحكم قبل النظر فيه وقفة قصيرة نأخذ بالموضوع من اوله.ونأتي على سائر اطرافه تمهيداً لما تريدون من البحث وتأييداً للنظرية التي سنعرضها عليكم فترون هل هذه الضريبة التي تأتينا بها

الحكومة اليوم فادحة او غير فادحة ممكنة على شكلها الحالي او غير ممكنة .

ولا بد لي بادىء ذي بدء من المجاهرة انني لست من عشاق السباق ولا غواة المراهنة وقلما وطأت قدماي ميدان البارك ، وقد تفضلت اللجنة فارسلت دعوة تبيح لي الدخول اليه على مدار السنة وحتى اليوم لم استعمل حقي بها الا مرة واحدة في الايام الاخيرة فاذا تكلمت فعن نزاهة واخلاص نية وعقيدة افضى بي اليها درسي للموضوع .

ان سباق الخيل على وجه الاطلاق عمل نافع محمود الاثر وقد كان له عند الاقدمين من عرب ويونان ورومان شأن عظيم اما العرب فلا ازيدكم بهم علما وهذه واقعة داحس والغبراء لا تزال شاهداً حياً على ما كان لهم من العناية الخاصة والمفاخرة بهذا النوع من الرياضة. واما اليونان والرومان فقد كانوا يتنازعون جوائزه في العاب الاولمب وبعد ان جعلوا ركوب الخيل للسباق خاصاً بالعبيد اصبح غرض النبلاء تترامى بهم اليه وساوس الهمم حباً بالزهو واللهو من جانب وتمرنا على خفة الحركة واستعداداً للجندية من جانب آخر . وقد بقيت هذه العادة منتشرة الى ما بعد ظهور النصرانية وكأن الناس ملتها بعد ان

شعرت بالحاجة الى تأثيرات اشد وابعد مرمى في النفس فشغلت عنها بمصارعة الثيران وما اشبه الا ان بعض الامم ظلت محافظة عليها حتى انه للعصر الثامن وعندما تيتم عرش بولونيا وبات الشعب في حيرة لاختيار مليكه لم يجدوا سبيلا اقرب من جعل التاج جائزة الفائز في ميدان السباق فناله رجل خامل الذكر وصار به بين عشية وضحاها الامر المطاع .

ثم انتشر السباق في انكلترا وفرنسا الى ان جاء نابوليون فوضع له نظما واحكاما وكان من اهتمام ارباب الخيل باختيار القوي منها ان تحسين النسل اصبح النتيجة اللازمة لكل سباق في كل امة .

اذن ايها السادة ليس السباق في ذاته امراً اداً بل هو عادة جميلة مستحسنة شائعة في كل بيئة راقية وقد ادى وسيؤدي لبلادنا خدمات كثيرة من الوجهتين الادبية والاقتصادية . اما الادبية فلأن المدينة كانت فيما مضى تعج بالناس ايام الاحاد والاعياد وتغص مقاهيها بالعاطلين وغيرهم وفيهم الجاهل والمقامر والسكير فلم يكن ينقضي اجتماع دون ان يحدث ما يكدر الامن ويعكر صفو السلام من ضرب اوخصام او مشاجرات دموية . كل هذه الجماهير تحولت اليوم الى الملعب تطلب

فيه قتل الوقت بالتسلي . نعم هناك فئة رابحة وفئة خاسرة ومن البديه ان تكون الخسارة مدعاة للتذمر والشكوى ولكن السواد الاعظم يرجع مسترضياً راضياً عن صرفه يوم العطلة بما ابعد عنه السأمة والضجر.

فضلا عن ذلك فان الملعب اليوم قد اصبح ملتقى اهـل الذوق والكياسة والظرف والخفة والادب والمال يتذوقون فيه بهجة الاعياد ولذة الاجتماعات واطايب الاحاديث مما لا سبيل اليه في موضع آخر.

واما منافعه من الوجهة الاقتصادية فهي فيما يهيأ لنفر غير قليل من اسباب التعيش ففيه ٤٠٠ مستخدم من الفقراء المساكين اصحاب العيال الذين لا قبل لهم بعمل آخر يرتزقون منه عدا عن ٥٠٠ سائس يعيشون في كنفه. وهي في رواج تجارة الشعير الذي هو من حاصلات البلاد وفي تنشيط الصناعة الوطنية بما تتطلبه صناعة السروج من الجلد الذي هو ايضاً للبلاد ومن الايدي العاملة فيه ثم ان الخيل التي تظهر غير صالحة للسبق تباع بثمن رخيص وتستعمل لجر المركبات وهذه ايضاً تصنع في البلاد وقد تخفف بعض الشيء من الحاجة الى السيارات وما وراءها من النفقات .

ولكن اهم هذه المنافع وادعاها الى البسطة والعز هو تحسين نسل

الخيل وترويج تجارتها : من المعلوم ان الخيل العربية هي اجمل خيول العالم وقد تغزل بها الشعراء تغزلهم بالمرأة وفي الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقد اقسم الله بها في كتابه العزيز « والعاديات ضبحاً فالموريات قدحا فالمغيرات صبحاً »ولا ترى على وجه البسيطة جواداً يحاكي الجواد العربي في مزاياه فهو واسع الجبين طويل الاذنين لماع العينين ضعيف الوجه صغير الفم عريض الانف طويل العنق ناتيء الصدر مستدير الكفل وهو حمس ركاض قادر على احتمال المشاق والمتاعب والبرد والحر وفيه يقول الشاعر :

احبوا الخيل واصطبروا عليها فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها اناس ربطناها فاشركنا العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم وتكسبنا الاباعر والجمالا

ان خيلا هذه صفاتها لا تعرف سوقها الكساد ، من اجل ذلك كانت الحكومات الاجنبية ولا تزال تسعى الى اقتنائها فتبعث حيناً بعد حين من يبتاعها لها خصيصاً من هذه الديار كاليابان واسبانيا والبورتغال وايطاليا وفرنسا واليونان وقديماً اقام الملك لويس فيليب في سان كلود حريسة خاصة بالخيل العربية الاصلية . كل هذه الدول

سباق الخيل

كانت لثلاثين سنة خلت تأخذ حاجتها من هذه الخيول في بلادنا ثم انصرفت عنا الى مصر لان مصر سبقتنا في اتقان حرائسها فتحولت تجارتنا اليها . اما الانكليز فقد استغنوا عنا منذ عهد بعيد لان الجواد الانكليزي المشهور بجماله هو من اصل عربي وقد بلغوا من العناية به وتعهد الخصال الطيبة فيه حداً جعلهم يقفون عنده راضين مستعزين . فاذا انتبهنا نحن اليوم من غفلتنا ووفينا هذه الخيل حقها من العناية كانت لنا مورد ربح جزيل يشهد لذلك ان جواداً منها بيع في العام الماضي بثمانمئة ليرة ذهباً وقد بدت طلائع هذه العناية المنشودة تظهر منذ عامين فقد كان في الملعب لاول عهده ٣٥٠ حصاناً . فصارت اليوم ١٥٠٠ وكان ما اصدر منها الى الخارج في السنين الاولى ١٥٠ ثم ٣٥٠ وها هي اليوم تبلغ ٢٢٠٠ حصان بمعدل ٨٠ ليرة ذهبية الحصان وقد كان البدوي او شيخ القبيلة فيما مضى يبيع فرسه ليشتري سيارة فورد فلما رأى القوم يطوفون في الصحراء لشراء الخيل الاصيلة انعكست الاية فباع البدوي سيارته واشترى جواداً للحريسة فقامت صناعة محلية لم تكن من قبل وتكونت في البلاد نواة ثروة جديدة وهذه الثروة ستزيد عندما يتسنى للجنة السباق ان تولي عنايتها شطر

البادية وتسيطر بوجه ما عليها وذلك لان العرب وان كانوا يهتمون بالخيل الاصيلة فاهتمامهم مقصور في الغالب على ما يسمونه الرسن اي ان ما يهمهم منها ان يعرف اصلها وفصلها بالتسلسل وحسبهم ان يكون الجواد خالص النسب والدم ليحيلوه للنزاء دون ان ينظروا الى بعض الخلل الذي قد يصيب جمال التكوين عرضاً . والبدوي لا يهمه ان كان الجواد ممن كتب له الفوز مراراً في حلبة السباق ولا تعنيه الجوائز الكثيرة التي تشهد لجده يهمه ان يكون عريق النسب متسلسل الاباء والجدود ولهذا اهتمت لجنة السبق بتلافي هذا النقص فلا تقدم للبدوي لاجل النزاء الا جواداً مكتمل الشرطين من حسب وجمال وهكذا تعود للخيل العربية صفاتها الاولى على اجمها وترجع تجارتها الى سابق عزها فتصير سوق العالم على الاطلاق .

واذا نظرنا الى ما تعمله الدول الاخرى اليوم لاجل السباق وكيف ان ملوكهم يعنون بانشاء الاصطبلات العامرة له كعاهل اسبانيا السابق وملك الانكليز والملك فؤاد ادركنا ما يمكن ان نجنيه من وراء العناية بالخيل وتبين لنا كنه هذه الثروة الكامنة في البلاد العربية وتأكدنا ان شركة السبق على حق فيما تنفقه من الجوائز

ترغيباً لارباب الخيل بالمجيء الينا من اطرافها النائية . فضلا عن ذلك فان هناك فائدة اخرى سنشعر بها بعد قليل لان هذه الحركة المباركة ستؤثر في مورد الاصطياف اذ يزداد عدد من يؤم هذه الجبال بما تعدهم به ميادينها وما يزين لهوها لاصحاب الخيل وعشاقها منهم .

تبين مما مر ايها السادة ان السباق ليس هو مدار الملامة والشكوى عليه وما كنا لنتيم القيامة على عمل اجمع العالم على مدحه واستحسانه انما الشكوى من بعض انواع المراهنات التي تجري فيه ومن التلاعب والمؤامرة والغش الذي يشوه محاسنه ويفسد الغاية منه . وهاانذا الم بهاتين النقطتين .

قلت بعض انواع المراهنة ولم اقل كلها لان من المراهنات ما هو مقبول وشائع عند كل الامم منذ القدم وهو ما يقال له الرهان المتضامن فهذا النوع من الرهان لا سبيل الى منعه لانه داء البشر المتأصل في عروقه وقد بلغت الخسارة فيه لعهد لويس السادس عشر مبلغاً هائلا حتى حاول هذا المليك ايقاف تيارها فكان يحضر الملعب ويراهن بنفسه بمبلغ زهيد جداً على امل ان يقتدي به الشعب ولكن على غير طائل وقد تغلغلت عادة الرهان عند الانكليز في كل شيء فتجدها في المصارعة

والملائكة وتناطح الاديالك حتى في سقوط الوزارات وقيامها بل انهم ارادوا ان يراهنوا على الملكة فكتوريا وبها حمل أذكر تلد ام انثى وقد بلغ حب المراهنة من بعضهم انه راهن مبالغ جسيمة على مروض مشهور للسباع في انه سيذهب فريسة سباعه واخذ هذا المراهن يتعقب رجله اين حل ويرافقه في سفراته ويجلس في الصف الاول من الشهود ويحد النظر اليه حتى انتبه المروض فسأله متعجبا ألى هذا الحد تهمك هذه الالعاب فلا تتخلف يوما عن الحضور اليها فاجابه ببرود لا تهمني اكثر من سواها ولكني انتظر بفارغ الصبر الساعة التي يأكلك بها الاسد.

والرهان على راي بعضهم واجب الوجود في المجتمعات الراقية لانه يحل مشاكل كثيرة ويسد على الجدل والمناقشة ابوابا توصل لولاه الى الخصام والمبارزة في اكثر الاحايين.

ومما يقال عن الرهان البسيط يقال عن الدوبله ايضاً . هنا يخيل لي اني اسمع من حولي همساً وارى علائم الاستغراب على الوجوه فقد لفظت كلمة الدوبله ولم اتعوذ من الشياطين ولم استغفر الله العلي العظيم ومع ذلك فالدوبله اليوم هدف الشاكين والمنتقدين وقد شنت عليه

غارة شعواء اشترك فيها التاجر والصحافي والاديب . عفواً ايها السادة انا هنا في مقام البحث النزيه المعتدل والذي سمعت ان هناك حملة مقصود اليها ينكشف لكم عنها الستار وما اكتمكم ما يحتاج الانسان اليه من الجرأة الادبية والصراحة في القول لمجابهة هذه الحملة فلننظر اولا ما هو الدوبله ؟ هو كما يدل الاسم رهان مزدوج اي انك مثلا بدلا من ان تراهن بليرة سورية على جواد واحد تراهن على جوادين بالليرة نفسها هذا هو معنى الدوبله وهذا خبره وخبره وميزته على الرهان البسيط انأملك في المكسب يقل لانه تقيد بجوادين بدلا من جواد ولكن ربحك يزيد اما خسارتك فهي هي كما لو كانت على جواد واحد . هذه هي كل العملية . بسيطة كما ترون لا يخاطر المرء فيها بثروته ولا يتحمل من الخسارة اكثر مما اراد ان يتحمل في الرهان البسيط واذا كان البعض قد صورها كالبعبع يفترس اموال الناس فربما كان ذلك ليحولوا الافكار عن البعبع الحقيقي الذي ساذكره لكم . نعم للدوبله خطر كبير وهو انها تغري الناس بالمراهنة فيتقدم عليها حباً بالربح الكثير من لم يكن تخطر على باله ولكن هذا الاغراء موجود في غير الدوبله ايضاً فهل كان اليانصيب الذي تسمح

به كل حكومات العالم الا اغراء ؟ ومع ذلك فقد نزلت لجنة السباق على ارادة الرأي العام فضيقت الدائرة على الدوبله وحصرته في البارك ولا اظنها تمانع في ابطاله تماما اذا كان في هذا الابطال علاج للداء ودرء للبلاء .

ولكن الاغراء الصحيح الفاضح ولكن الخطر الصريح الفادح، ولكن البعبع الحقيقي الذي يجب على الحكومة الضرب عليه بيد من حديد هو الرهان في الخفاء ، هو البارولي الذي يجري في زوايا المخازن والمقاهي ومنعطفات الطرق ولا دخل به لشركة السباق . في الدوبله يذهب من الشعب ويعود الى الشعب فيخسر فريق ويربح فريق وهو على كل حال يجري علناً على مسمع ومرأى من الجميع ، واما في البارولي فالمال لا يعود الى الشعب بل يتسرب الى واحد او اثنين او ثلاثة من الملتزمين الذين يضعون المال في جيوبهم ولا يراهنون عليه . واذا كان بين الزملاء الكرام من يجهل هذه اللعبة الشيطانية فهئنذا ازيده بياناً . فالبارولي هو الرهان المقيد باشواط عديدة . مثلا يوجد ٥ اشواط فتراهن على خمسة جياد واحد من كل شوط اي انك لا تكسب الا اذا فاز الخمسة ولكن ربحك يكون عظيما اذ يضرب مكسب

الثاني في الاول والثالث في حاصلهما وهلم جرا وقد تبلغ القيمة مئات والوفا من الليرات فانظروا اية شبكة من الدهاء والاغراء حاكتها هذه اللعبة الشيطانية لان المراهن خسران على طول الخط اذ انه من الصعب ان لم نقل المستحيل ان يصدق حزر المراهن على خيول الاشواط كافة .

ولنفرض الان ان هذه الفئة التي تعمل في الخفاء قد جمعت من المراهنين عشرة الاف ليرة فما تكون غايتها القصوى لتحتفظ بهذا المال المجموع والذي لا ترى منه شركة السباق البارة الفرد ؟ هو ان يقصر احد هذه الجياد الخمسة عن مداه . يكفي هذا الحادث ليقطع امل المراهنين وتضمن الربح للملتزمين وهو امر يسهل الوقوع فهل سمعتم ان احداً ربح بالبارولي الا ما ندر . فضلا عن ذلك فان لهذه الفئة طرقا كثيرة تحمي بها نفسها فاذا رأت او اشتبهت ان الفوز مقدر للاشواط كلها وكان في ذلك خسارة كبيرة عليها تذهب باكثر ما جمعت فلا تعدم وسيلة لتلافي الامر من رشوة او غير ذلك ولو اضطرت الى ابتياع جواد من الخمسة لانها اذا اشترت الجواد صار لها حق التصرف فيه كما تشاء دون ان تثير الشبهات كأن تمنع الجوكي مثلا من

استعمال الكرباج او المهماز وهذا امر يخولها اياه القانون لانه كما لا يخفى ان السباق وجد في الاصل لهواً للنبلاء فكانت الثقة موجودة وكان من اللازم حماية الخيل ومنع ارهاقها بالضرب والوكز فوضع هذا القانون ولا يزال يعمل به . هذه هي لعبة البارولي التي يغتني بها واحد ويفتقر مئات والوف هـذا هو العلق الذي يمتص اموال الفقراء ومتوسطي الحال من حيث لا يشعرون هذا هو الخطر الذي تناشد الحكومة ان تتسلح بكل الوسائل لدفعه وان تبث الارصاد في كل ناحية لقتله .

بقي علي الكلام عن السبب الثاني لشكوى النـاس وهو الغش والتلاعب في المراهنات حتى العادية فهو امر يحدث في كل بلاد وما اكثر الصعوبات التي تعترض المحكمين من جرائه . وقـد روي عن البرنس دي غال نفسه الذي صار فيما بعد جورج الرابع انه اضطر لشيء من مثل هذا ان يستعفي من عضوية نادي السبق ويمتنع عن الاشتراك بحفلاته ١٣ سنة . ومما يزيد في الاسف ان هذا الغش او التلاعب او المؤامرة لا يقتصر ضرره على المراهنين بل يتعدى الى الغاية المطلوبة من تحسين النسل لان الجواد المدرب على السبق يدرك عادة ما يرجى منه كانه على تفاهم مع صاحبه ولكن عادة الجوكية بتأخيره احيانا

او بتجريعه قبل الركض بعض العقاقير المهيجة قد تزعزع هذاالتفاهم نعم كان الجواد قديماً يعلم اي امل يعلقه عليه صاحبه واية تبعة تربطه به فكان ينمو فيه شعور المنافسة والطاعة مما يغنيه عن الكرباج والمهماز .

يحكى ان جواداً انكليزيا اسمه فورستر كان يربح في كل شوط جرى فيه فوقع له يوما ان ترافق في الميدان وجواداً آخر اسمه فيل وكانت المسافة المحدودة ٤ اميال على خط مستقيم وقبل الوصول الى الهدف شعر فورستر ان منافسه الجديد قد سبقه فاجهد نفسه للحاق به ولما اعياه الامر وثب وثبة يائس وعضه في قفاه ولم يستطيعوا فصله عنه الا بعد الجهد الجهيد ، هذا الشعور بالواجب الذي تخلقه العادة والتربية لا تجد له اثراً في خيل هذه الايام مما يضطر السائق الى تهييجها ووخزها لتزيد في سرعتها . وما ذلك الا لضروب التلاعب التي تستنبطها الجوكية فلا يكون الركض على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر مما يضيع معه عقل الجواد وتفسد تربيته كل هذا لان التسلية واللهو المقصودين في السبق قد تحولا الى مطمع للكسب ومتى وجد الطمع فقل السلام على الشرف والامانة والصدق والاخلاص في الخدمة .

على ان للجنة السبق هنا قانونا صارما يعاقب من يقدم على هـذه الخيانات عقابا شديدا . وقد وقع لها في العام الماضي ان طردت دفعة واحدة سبعة من الجوكية واثنين من ارباب الخيل ولعهد قريب طردت جوكياً آخر ثم اثنين نعم يمكن انشاء جوكي كلوب كما في الامم السابقة لنا في هذا المضمار يسيطر ادبياً على لجنة السباق ويكون منها بمنزلة محكمة التمييز بالنسبة الى سائر المحاكم ولكن اللجنة الموجودة الان كافية ضمانا للمراهنين فينزلوا عند حكمها لانها مؤلفة من اعضاء لا خيل عندهم للسبق فلا غاية لهم بالكسب وقد اظهروا تجردهم في الاحكام التي اصدروها وفيهم غير واحد من الاجانب المشهورين بالحزم والنزاهة كالجنرال ماسيت والمسيو هانو قنصل انكلترا والبارون ده بسلر والمسيو بيكو فضلا عمن تضم من كرام النواب ووجهاء البلاد واظن ان من سميتهم لكم اهل لكل ثقة وفيهم الضمانة الكافيـة من هذا القبيل وهي تخفف التلاعب ما امكن اذا تعذر ازالته .

ايها السادة

بعد هذه النظرة العامة التي ذكرت فيها اهمية السبق ومنافعه واتيت على اسباب الشكوى مما يجري في الدوبله والبارولي من جانب

والتلاعب والمؤامرة من جانب واظهرت ما تعمله لجنة السبق وما يجب على الحكومة عمله حان لي ان اصل الى الضريبة المعروضة علينا اليوم والتي هي بيت القصيد من هذا الموضوع .

لاول وهلة يخيل لنا ان هذه الضريبة بسيطة ممكنة ليس فيها على شركة السبق من الحيف كثيره ولا قليله ولكي تسهل الحكومة علينا ابتلاع الحبة وضعت عليها طلاء مذهبا فقالت ان حكومة فرنسا تأخذ من الاحد عشر في المئة ٧ في باريس و٤ في الملحقات فهي باكتفائها بانزال ١ ونصف قد رحمت الشركة وتساهلت معها كثيراً ويشجع الحكومة على هذا القول ما يساور الناس من الاعتقاد ان ارباح الشركة باهظة لا تؤثر فيها هذه الضريبة على انه يا سادة يكفي قليل من حسن النظر والتثبت في الامر لننتهي الى غير هذا الاستنتاج واليكم البيان :

من المعلوم ان بين فرنسا ولبنان فرقا واضحاً وبونا نازحاً اولا لان عدد الذين يختلفون الى ميادين السبق في فرنسا عظيم جداً لايعد ما عندنا بالقياس اليه شيئاً ، ثانياً لان مجال المراهنة عندهم واسع المدى لا ينحصر في دائرة ضيقة والرهان قائم على قدم وساق في كل مكان

وتكاد لا تجد حياً من احياء باريس لم يقم فيه بناية واسعة الادارة يتزاحم الناس على ابوابها ويقطعون فيها اوراق مراهناتهم . ثالثاً لان اصحاب الخيل هناك اكثرهم من ذوي الثروة الواسعة فهم ينفقون الالوف على جيادهم لزهوهم ولهوهم ولا يهمهم ربحوا او خسروا اما هنا فعدد المغرمين بالسباق محدود حتى ولو شمل اهل البلاد كافة والمراهنة خارج البارك ضيقة النطاق ان لم نقل لا وجود لها وقلما تجد بين ارباب الخيل المعدة للسبق من يملك غير جواده فهو الحيلة والفتيلة ،قد انفق في سبيله العزيز الغالي على امل ان يدر عليه الربح الكثير فاقل فرق في الدخل يؤثر فيه. كل هذه الفروق تجعل ضريبة الحكومة هذه ثقيلة على شركة السبق ترهقها وربما قتلتها قتلا فلا يبق شركة ولا سباق ويقضي على عمل وطني بلغت نفقاته حتى اليوم ٣٥٠ الف ليرا ذهباً وتذهب منافعه الجمة التي عددتها لكم في صدر هذا الخطاب وتحرم البلاد من رياضة اطلق عليها اسم رياضة الملوك بجمالها وجلالها ولا تحسبوني مازحا او مغالياً فما ارسلت القول جزافا وهذه الارقام امامي اصدق بيان واسطع برهان .

في فذلكة الحكومة التي بين ايديكم بيان واردات الشركة

ونفقاتها لسنة ٣١ وهي تتلخص بزيادة ٩١ الف ليرا في الواردات وهذه الزيادة وزعت كما هو معروف لدى الجميع على الوجه الآتي :

٤٠ في المئة لزيادة الجوائز

٤٠ « « لارجاع رسوم قيد الخيل

١٠ « « للحريسة او اسطبل الحكومة

١٠ « « للادارة

ولا يغرب عن البال ان هذا المبلغ او الزيادة في الواردات ستنقص في السنة الاتية لانحصار الدوبلة في البارك فقد كان دخله سابقا ٣٠ الف ليرة في الدورة فنزل الى الالف

ولكن لنفرض ربح الشركة الصافي سيبقى ٩١ الف ليرة اي ٣ في المئة من الاحد عشر التي يحق لها اخذها من مجموع المراهنات لان الثمانية الباقية ذهبت نفقات كما هو مفصل في بيان الحكومة من اجار وانشاءات وجوائز وغير ذلك فماذا تطلب الحكومة اليوم من الشركة ؟ ان تتقاضى هذه ـ ٩ بدلا من ١١ بانقاص ـ ١ يعني تريد ان هذه الثلاثة في المائة الباقية كربح صاف للشركة تصبح ـ ١ وبما

ان الحكومة ستأخذ ايضاً من رسم الدخول ١٠ الاف ليرة اي نحو نصف في المئة فيكون ما تأخذه الحكومة ٢ في المئة فلا يبقى للشركة الا ١ في المئة

اي ان التسعين الف ليرة تصبح في نهاية الامر ٣٠ فهل هذا ما تريده الحكومة هل تريد ان تكون شريكة للجنة السبق ؟ اذا سألتها هذا السؤال كان جوابها النفي بلا ريب لانه لا يحق لها ان تكون شريكته ولكن عملها هذا هو اكثر من شركة لانها تأخذ ثلثي الارباح . تأخذ ٦٠ وتبقي للشركة ٣٠ ومن هذه الثلاثين يجب على الشركة ان تنفق على حاجاتها تسعين وهي عملية لا تتم الا باعجوبة من مثل الخمسة الارغفة التي اطعم بها السيد المسيح خمسة الاف وقد مضى زمن العجائب .

ايها السادة مما شرحته لكم يظهر بجلاء ان هذه الضريبة جاءت في غير اوانها وانه اذا كانت الحكومة كما ادعت تريد تشجيع مؤسسة السبق لتليق بمكانة العاصمة (واني اورد هنا عبارتها بالحرف) فعليها ان تقف لها جوائز لا ان تسلبها ثلثي ارباحها ولو انها اهتمت بان تأخذ من الربح الصافي مثلا لهان الامر لان الشركة تستطيع حينئذ

ان تعدل ميزانيتها وفقاً لذلك فبدلا من ان تخصص ٤٠ في المئة لزيادة الجوائز ومثلها لرد رسوم القيد تنزل هذا التخصيص الى ٣٠ او اقل لتعطي الباقي للحكومة وهكذا تتضايق الشركة بعض المضايقة ولكنها لا تختنق اختناقا . واني ملافاة لهذا الضيم واراحة لضمائركم ايها السادة اقترح قبل البت في المسألة تأليف لجنة من هذه الندوة تجتمع ملياً برئيس نادي البارك كما جرى يوم الاضراب ضد شركة الجر والتنوير فقد بقيت المخابرة دائرة اكثر من شهر بين اعضاء المجلس ورئيس الشركة . ان نادي البارك هو غير شركة السباق واعضاؤه محظور عليهم ان يملكوا خيلا للمسابقة فهم من هذا القبيل مجردون من غاية المكسب وكل ما يأخذه النادي من السبق هو اجرة المكان وهو مبلغ زهيد قصد به الى تشجيع المؤسسة ومساعدتها . تقول الحكومة ان الشركة تستطيع ان تتحمل هذه الضريبة والشركة تقول لا فان الحقيقة . افلانها شركة وطنية اسهمها باقية في البلاد نريد ان نلحق بها هذا الحيف ؟ ان للشركة قانوناً فهل درسناه ؟ هي تقول انها على اتفاق مع البلدية يحق لها ان تقفل ميدانها عند الضرورة وتطالبها بالتعويض فعلام الشرع ؟ ألكي تأخذ الحكومة ٦٠ الف ليرة تأتي عملا

لا عدل فيه ولا حكمة ؟ هل تريدون رأيي الصريح ايها السادة ؟ من العار ان تقبض الحكومة من ارباح شركة السباق لسد عجز ميزانيتها كل حكومات العالم تضع ضريبة على السباق ولكنها لا تدخلها الخزينة ابداً بل تنفقها في سبيل آخر . تنفقها على الاعمال الخيرية والمشاريع الاجتماعية ، على مكافحة السكر وانشاء الملاجىء والمصحات ، على الجوائز لتحسين نسل الخيل . وعلى ذكر الجوائز اقول ان الشركة اشترت في العام الماضي جوادين من اصل المال المعد للاصطبلات كافي فذلكة الحكومة والباقي وضعت وزارة المال يدها عليه فهذا هو تحسين النسل الذي نسعى اليه وباي حق تأخذ الحكومة مالا اعد لهذه الغاية واين يكون التشجيع الذي تعدنا به وننتظره منها ؟

الخلاصة ايها السادة ان حالة الشركة لا تسمح كما ترون بان تتحمل الضريبة على شكلها الحالي والذي اطلبه من الحكومة بهذا الصدد ثلاثة امور اولا ان تمنع الالعاب الخفية فكلها فضيحة وبلية ، ثانيا ان تدع الشركة وحدها تبرز للميدان فهي مكفولة وما تجمعه من الناس رهانا تعيده جوائز واعاشات واحساناً ، ثالثا ان تأخذ ضريبتها من الربح الصافي بعد الاتفاق مع الشركة او تخفضها ، ان اما تقدم المشروع كما هو

وتطلب منا التصديق عليه بطريقة عمياء فهذا ما لا يقبله الضمير وارجو من زملائي الكرام وفيهم كل حر نزيه أن يوافقوني على هذا الرفض فلا يحكموا الا عن يقين والله احكم الحاكمين .

العلم والايمان

[في حفلة تكريم الاب المعلوف]

ايها السادة

عندما دعيت للكلام في هذه الحفلة التكريمية آنست من النفس ارتياحا خاصاً ، ذلك لاني وجدت لهـا مزايا ليست في سواها :

اولا لان الساعين اليها والقائمين بهـا هم من مختلف المـذاهب والاحزاب ، فاجتماع كلمتهم دليل على انتصار الحب والتساهل في هذا البلد .

ثانياً لان المحتفى به له علي حق النسب ، لا نسب الاسرة وان كنا من ارومة واحدة غسانية ، ولا نسب المهنة وان يكن الطب والكهنوت صنوين في عرف الكثيرين ، بل نسب الادب وهو اوسع رحابا وامتن اسبابا .

ثالثاً لروح التجدد الظاهر في هذه الحفلة اذ لم نجتمع للضرب على وتيرة واحدة باحراق بخور الثناء وترديد عبارات مألوفة من مـدح وتبجيـل تقال في كل آن وتنطبـق على كل انسان او بالاحرى لا تنطبق على احد من الناس اياً كان .

ولقد احببت ان اراجع نفسي واتبين السبب الذي من اجله اشعر نحو الاب معلوف بهذا الميل والاحترام اللذين يشاركني فيها شيـوخ البلاد وشبانها ، فاخـذت استعرض الناس في خاطري ، من عرفت ومن لم اعرف ، ونظرت هنا وهناك وقابلت بين هـذا وذاك فاذا بي اقع منهم على فريقين لا ثالث لهما .

لا اقصد الصالح والشرير لان الصلاح لا يكمل في مخلوق ولا بد للقلب البشري من ان يتلاقى فيـه الضدان فيكون الشر الى جانب الخير وان اختلفا في النسبة والمقدار .

ولا اقصد الغني والفقير لان الغنى الصحيح لا يكون الا بصحـة الجسم وسلامة الضمير او كما قال الشاعر :

غني بـلا مال عن النـاس كلهم   وليس الغنى الا عن الشيء لا به

ولا اقصد السعيد والبائس لان السعادة والبؤس يتعاقبـان على

الجميع ولكل منا نصيبه من الهناء والشقاء .

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُساءُ ويوم نُسر

ولا اقصد القوي والضعيف لان قوة اليوم قد تزول فتصير ضعفاً في الغد .

ولا الجميل والقبيح لان الجمال نسبي ، وهو في الروح كما هو في المادة . وقد قال رنان : الانسان يخلق جمال من يحب وقداسة من يؤمن به .

لا اقصد شيئاً من هذا ايها السادة ولكني نظرت الى المجتمع من وجهة الحق الطبيعي والواجب الانساني فلم يكن لي ندحة عن تقسيمه الى فئتين : فئة عاملة وفئة خاملة او بالاحرى فريق يكد وينفع ، وفريق يستريح ويتمتع او بعبارة اوسع فريق يمشي في طريق الحياة حاملا اعباء الناس وفريق يمشي متكئاً على غيره من الناس .. وتمثلت لي حياة الاب معلوف بما فيها من جهد وزهد وتضحية ونكران ذات فاذا به في طليعة الفئة الاولى اي العاملة المجدة المخلصة النافعة فاكبرت قدره وادركت السبب الذي من اجله احبه انا ويحبه ايضاً سواي .

ايها السادة

ان الشرعة الاولى التي تسير خطوات الانسان في هذا العالم فرداً

ومجموعاً هي حب الذات ، بها قام وبها نما وبها تكاثر وارتقى. فحب الذات فضيلة على شرط ان لا يخرج عن حدود الاعتدال والحكمة الى الافراط والجنون . قال اللورد بركنهاد : الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان ، ان المحرك الاول للمرء سواء كان في حياته الاقتصادية او السياسية او الاجتماعية هو المصلحة الذاتية . ولكن هناك صوتاً غريباً عن البشر يتردد صداه في نفوس البعض ممن اصطفاهم الله لخدمته ، ومن اجل هذا الصوت شذ الاب معلوف عن القاعدة العمومية فلم تكن المصلحة الذاتية بوجه من الوجوه قائده في الحياة . هذا الصوت هو القائل من اراد ان يخلص نفسه اهلكها ومن اهلك نفسه من اجلي خلصها . والذي يعرف حياة كاهننا الجليل منذ كان على مقعد المدرسة الى يوم انتظم في سلك الرهبنة الى الساعة التي نحن فيها يرى انه كان ابداً مسيراً بسحر تلك الآية الكريمة . فقد جد في طلب العلم حتى فاز ، ثم دخل ميدان الحياة الفائرة فلم تقو على اخماد الجذوة المقدسة فيه فدرس اللاهوت وهبط لندن حيث انفتحت امامه ابواب الدير وهناك قضى اجمل ايام شبابه بين صلاته وكتابه ، ولما ترملت ابرشية بيروت للروم الكاثوليك دعي ليرعاها فابى ، ولم يجد الحاح

المرجع الاعلى في تحويله عن قصده بـل كان جوابه لمريديه لم ألبس هذا الثوب في سبيل العالم ومجده .

هكذا بين هذين الصوتين المتناقضين صوت الفطرة الذي يسميه علمـاء الاجتماع المصلحة الذاتية ، وصوت المعلم الكبـير الداعي الى التضحية لم يتردد الاب معلوف في اختيـار طريقه ، وكما قال شاعر الفرنسيس في هرقل البطل ، وقف على مفترق الطريقين فابصر اللذة تبسط له يديها ولكنه رأى الفضيلة اجمل فسار اليها .

وعلى وجوده في بحبوحة من العيش وبسطة من الجـاه في حضن اسرة كريمة نابهة الذكر، عاف اباطيل الحياة مكتفياً من حطام الدنيا بلباس اسود ، ومن قصورها بحجرة صغيرة ، ومن انوارها بسراج ضئيل على مكتبته عائشاً من عقله وقلبه في عالم واسع جميل يحمل فيه العلم الى الايمان ، العلم الذي يقول انظر والمس وزن وقس ولا تقبل بغـير الحجة ولا تخضع لسوى البرهان ، والايمـان الذي يقول اياك والبحث فتتعب نفسك وتنزع السلام من قلبك والراحة من ضميرك. وبهذين العاملين المتناقضين في الظاهر التلائمين في الحقيقة استطاع ان يوفق بين دعوته الروحية ومهمته العالمية ، فكان كالـكوكـب

العلم والايمان

الهادي بعيداً عن الناس قريباً منهم يدرس ويؤلف وينشر الحقائق الخالدة في الكتب وعلى صفحات البشير الجريدة التي خدمها ربع قرن اي منذ انتهت به الدروس والاسفار الى العودة لهذه الديار .

اجل يا سادة ان حياة الانسان على الارض تتعلق بطريقة تفكيره فاعماله المختلفة وما يتصل بها من الفضائل والحسنات وما يلابسها من النقائص والعيوب وكل ما يعمل من خير وكل ما يزرع من شر ، ناتج عما يجول في رأسه وقلبه ، والاب معلوف كما رأيتم من سيرته الصالحة لا يحمل في رأسه الا العلم وفي قلبه الا الايمان ولهذا اتخذتها عنواناً لحديثي عنه في هذا اليوبيل الفضي لان الاب لويس معلوف اليسوعي صورة مجسمة للعلم والايمان .

على انه يا سادة اذا شئتم ان ازيدكم بياناً في هذا الموضوع الذي يستغرق تحليله الساعات الطوال فالى الملتقى القريب في عيده الذهبي ان شاء الله .

نخب سليمان البستاني

[في وليمة خياط باشا لدى تعيينه عضواً في الاعيان]

يا حضرة النائب

كان الاولى بي ان اكتفي ببلاغة من تقدمني من الخطباء، ولكني ارى من النفس دافعاً الى القول. لا اعلم أهو الواجب ام بلاغة اخواني التي استهوتني ، وعلى كلا الحالين ان لي عذراً مقبولا ولاسيما انني في هذه الليلة التي تجمع بعض محبيك ومريديك والمعجبين بكمالك ، لا ارى ثناء ولا ترحيباً ولا تهنئة ازفها اليك دون ان اكون فيها لسان حالهم جميعاً .

ولا ادري وامامي الحكيم والفيلسوف والعالم والمؤرخ والاقتصادي والجغرافي والتاجر والشاعر والناثر ، لا ادري أأستعير لسان البدو ام الحضر ، واخاطبك بلغة الالهة ام البشر .

امامي رجل عصر بل عصور ، جوابة الافق طاف الزمان والبلاد فكانت الارض كتابا بين يديه ، والتاريخ لفظة بين شفتيه ، وما احراني في هذه الليلة ، وقد جمعتَ هذه المزايا ، ما احراني بتعجب الشاعر ، وقد ركب الرشيد حيث قال :

اغيثا تحمل الناقة ام تحمل هارونا
ام العلم ام التقوى ام الدنيا ام الدينا

فاقول :

اوميرس قائم فينا ام القائم سحبان
ام العلم ام الحكمة إم هذا سليمان ؟

وقد كنت فيما مضى احترم فيك الاستاذ واكرم الصديق، واليوم أجل فيك فوق ذلك النائب ، وكأني أجل امة باسرها انت اليوم مثال سلطتها المتجسمة فيك ، وصورة آمالها المنعقدة عليك .

يا حضرة النائب

اذا صح لي وانا قابض على هذه الكأس ان انظر الى ابعد من الكأس ، اذا صح لي ان لا اقتصر في كلامي على الترحيب والثناء ، فلا تظنن اني معدد لك وجوه الاصلاح المطلوبة من مجلس المبعوثان،

فانت ادرى بها من هذا العاجز ان لم اقل من كل انسان . ولكني اقول لك ، ان عيون اهل بيروت التي لم تمل بعد من النظر اليك هي منذ اليوم رقيبة عليك ، ورب عين كانت بالامس ترسل انواراً ، تصبح في الغد وهي تبعث شرارا . وانت عارف بعظم التبعة التي على كاهلك ، وقد سمعتك بالامس تردد ذلك فايقنت انك الى الفوز سائر ، ولاسيما لانك تعمل عن حب والحب مبعث الارادة ، تعمل عن امل والامل نور الحياة ، تعمل عن ثقة من نفسك والثقة بالنفس اساس النجاح . الثقة والامل والحب ، او بعبارة الانجيل : الايمان والرجاء والمحبة ، هي الثالوث الذي يضيء في محراب ضميرك الناصع ، ويسطع في هيكل نفسك الطاهرة ، ومن كان هذا نوره الهادي فلا خوف عليه من مجاهل الظلماء يوم تضارب الاراء وتنازع الاهواء .

على هذا الامل ، على امل ان تظهر للامة التي انت منها والبلاد التي انت فيها والدولة التي انت لها ، انك عند حسن ظنهم فيك ، اشرب كأسك .

تأبين البطريرك ارسانيوس

الموت ينادي : يا عباد الله اتقوا الله .

الغنى والمجد والكرامات ظلال فانية ، ويبقى ما تعملون من الصالحات .

لمن هذه الجموع المحتشدة والشموع المتقدة ، لمن تدق الاجراس وتنشد المراثي وترفع في الاعياد اعلام الحداد ؟ ارسانيوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق لم يغنه تاجه وصولجانه وعرشه وطيلسانه ، بل اراه اليوم اغنى وقد تجرد منها وارفع وقد تنازل عنها .

لقد احببته شماساً واكرمته مطراناً واشفقت عليه بطريركا واليوم امام عظمة الموت انحني بخشوع وارثيه .

يا سادة

ان الذي نشيع اليوم الى المقر الاخير رئيس لم يرتفع الى الرئاسة بعلمه وبيانه وجاهه وسلطانه ، ولكنه كان يحمل اقوى سلاح يمكن

به الانسان ان يجد سبيلا الى قلب اخيه الانسان . وهـذا النوع من السلاح هو : الوداعـة والاخلاص والسلاسة وطيبة القلب . الوداعة والاخلاص والسلاسـة والطيبـة جواهر غاليـة الثمن نادرة الوجود في هذا العالم المشبع بالكبرياء ، وهذا الجيل الذي لا يعرف غير الرياء .

ولغيري من ابناء الملة ان يسرد تاريخ الفقيد ويعـدد مزاياه وما اني من الخدم طوال الخمسين السنة . اما انا فاكتفي بالوقـوف امام هذه الاخلاق لاتخذ منها عظة وذكرى ، فكم في الموت من مثال حي والعاقل من رأى الشعاع الساطع من الكفن وسمعت اذناه همس الراحلين .

يا قوم ، لقـد مات الميت فليحيى الحي يقول المثـل ، فعسى ان يكون الراحل فدى للباقين ، عسى ان تشهد روحه التي افلتت اليوم من سجن المادة ما كانت تتوق اليه من فجر السلام لهذه الطائفة التي طال عليها الظلام ، عسى ان تزول ضغائن الاحزاب امام الموت الذي يساوي بين الجميع ، عسى ان تذكرنا هذه الساعة الرهيبة ان الحياة على الارض قصيرة المدى لا تحتمل المشاغبة والخصام وان العمر وان طال لا يسع العتب ولا المطال . عسى ان تنتصر فينا الوداعة والاخلاص

وبلاسة الخلق وطيبة القلب فتتألف القلوب بعد التنافر حفظاً لكيان الملة ، وقطعاً لدسائس المفسدين ، ولا عبرة بمن يكون البادىء وبمن يمشي الخطوة الاولى ، فالمسألة ليست مسألة ضعف او شدة بل مسألة تضحية في سبيل الوحدة .

ان خضوع الضعيف للقوي ونزول الاقلية على رأي الاكثرية امر عادي لا يخرج عن سنة الوجود ونظامه كالفلين في الماء ، تجذب القطعة الكبيرة منه القطعة الصغيرة اليها . ولكن ان يلين القوي للضعيف وتتبع الكثرة القلة فهناك الشرف الاسمى لان هذا العمل هو التضحية بعينها .

التضحية لا تكون الا في القلوب السامية التضحية التي لا يمكن الا ان تمجد صاحبها ، التضحية التي علم بها السيد المسيح وهي فوق كل شرائع الوجود .

اقول هذا ، لا اقصد فئة دون سواها ، وانا لا اعرف ولا اريد ان اعرف اين هي القلة ، ومن هو الضعيف ، ولكن هي عظمة الموت او حكمة البقاء يوحيها الي جلال الموقف ، وهذا الشيخ الراقد في نعشه والله عليم بما تضمرون .

تأبين البطريرك

يا ارسانيوس ، لقد استرحت اليوم من اتعابك ، وانتهيت حيث اردت ان تنتهي . سكن قلبك الخفاق وقلوبنا لا تزال تنتفض باغراض الحياة . خرجت الى عزلة السلام ونحن لا نزال في معترك الشهوات اسلمت سلاحك وكل منا لا يزال شاكي السلاح ، فطوبى لك لقد اصبحت في ذمة الله .

تأبين شارل دباس

في الساعة التي كنا ننتظر فيها شارل دباس ليعود من باريس ، وهو اتم عافية واوفر نشاطا رجع الينا مغمض الاجفان معقود اللسان مسجّى في الاكفان .

ذهب اليها باشواق فؤاده وذكريات جهاده وايمانه ببلاده ، فلم يمش القدر لاسعاده فقضى عليه الداء حيث اراد الاستشفاء ، وفارق عينيه النور في مدينة النور .

ومن كانت منيته بارض فليس يموت في ارض سواها

شارل دباس الرئيس الاول لهذه الجمهورية ينزل اليوم الى القبر ، لم يغن عنه ما عمل وما حمل ، جهاد الشباب ، احلام البطولة، اغاني الحرية ، مجد الرئاسة ، نعمة الغنى ، كل هـذا لم يرد عنه القضاء المحتوم . فوقف في منتصف الطريق ومجال العمل لا يزال فسيحاً واسدل الليل عليه ستاره قبل ان يتم نهاره .

تأبين شارل دباس

ايها السادة

ان الخسارة في الموت تقاس الى مواهب الانسان واعماله . وقد عرفنا الفقيد ايام رئاسته الطويلة ذا ذكاء نادر واطلاع واسع ونزاهة عز نظيرها . ذكاء يكاد به يدرك ما في ضميرك قبل ان تبادره الحديث واطلاع لا يصل اليه الا المجتهد الحريص على وقته ، المغرم بكتبه الزاهد في ملذاته .

لقد وعى في صدره قوانين الدول، وتتبع عن كثب سير الحركة السياسية والاجتماعية في الثلاثين السنة الاخيرة ، فاكتسب خبرة اوطأت له مهاد الشهرة وجعلته ثقة يرجع اليه في مسائل القانون وسواه ، كما جعلته موضع ثقة الدولة المنتدبة واعجاب عظمائها بدليل ما لقيه من الحفاوة والاكرام في رحلته الاخيرة .

اما نزاهته فحدث عنها ولا حرج . انه لم يكن يعرف التعصب ولا يتحيز لمذهب او لفريق من الناس . لا يحابي ولا يداري في سبيل الواجب اخا او صديقاً ، ولا يهمه ارضاء احد قبل ارضاء ضميره وعقيدته . يعمل في دائرة النظام والقانون غير مبال بما سيقال عنه من مديح وانتقاد وبما سيخلقه له الند من عدو او صديق، اضف الى

ذلك ادباً في الحديث وطلاقة في اللسان ولطفاً في المعاملة ورصانة في الاخلاق قلما تجدها في ابناء هذا الزمان .

هذا هو الرجل الذي نشيعه اليوم الى المقر الاخير ، اضعناه في ابان كهولته ومكتمل نضجه ومنتهى خبرته ، فخسر به لبنان على غناه برجاله ثروة كبرى وخسرت الدولة المنتدبة صديقاً من اخلص الاصدقاء . وهو وان لم ينج من الناموس العام القائل بلسان الشاعر ان نصف الناس اعداء لمن ولي الاحكام هذا ان عدل ، فلا ريب انه كان حكيما قديراً ، وان الفراغ الذي يتركه من بعده لكبير .

على ان الدباس يا سادة ليس من الذين تغمرهم بسهولة ظلمة النسيان ومن كان مثله فهو بالموت يختفي ولكن لا يزول ، يتجرد من صورته المادية ، اما صورته الادبية ، اما ذكره فهو ملء الاسماع والقلوب وسيبقى الى امد بعيد مالئاً اروقة السراي وندوة النيابة :

كالكوكب الوقاد تخبو ناره ويظل نور الكوكب الوقاد

واذا كان من عزاء تقدمه الحكومة لذويه لامه الثكلى وزوجته المنكوبة واخيه الحزين ، ففي هذا المأتم الوطني الذي يتجلى فيه اسف الجماهير .

تأبين شارل دباس

قم يا شارل وانظر الى هذا الجمع المحتشد حول نعشك . اليوم لا شكوى ولا عتاب ، ولا شيع ولا احزاب . ان السياسة لا قلب لها ولا دين ولكن صوتها اليوم يخرس امام صمتك الابدي ، وبركانها يهدأ لدى حفرتك الباردة . لقد محا جو القبور جراحات الصدور فلم يبق الا حافظ لودك ، ذاكر لعهدك، آسف لبعدك ، معجب بتلك الشمائل تكلل بالمجد هام الرجال .

واما انا الصديق الذي محضته ودك واردته قريباً منك بين اعوانك واخوانك فلم يبق لي الا وقفة تأبين على ثراك ولهفة حزين لدى ذكراك :

فبلغ سلامي معشراً قد بكيتهم   وما زال دمعي كلما ذكروا يجري
ونم في ظلال الامن والراحة التي   يفوز بها الموتى الى آخر الدهر

تأبين انيس طراد

سبيـل الموت غاية كل حي فداعيه لاهل الارض داع
فانـك ان طلبت بقـاء يوم على الاجل الذي لك لم تطاعي

اي مصاب هذا المصاب واية خسارة هذه الخسارة ، بـين عشية وضحاها يُغيب ذلك الوجه الصبيح ويخفت ذلك الصـوت العـذب المحبوب ، ويسكن ذلك القلب الخفاق باسمى المزايا واطيب الاخلاق.

بين عشية وضحاها تسود وجوه كانت طافحة بالنور ، وتفيض عيون لا تعرف الا ابتسامة السرور ، وتلبس الحـداد دار كانت من ابهج الدور . بين عشية وضحاها زوجة تترمـل وولد يتيتم واخـوة يثكلون والبعداء كالاقرباء يتحرقون . سبحانك يا رب السماء .

مات انيس ! كلمة و كفى ، كلمة واحدة في لحظة واحدة، واذا بالقلوب مضطربة والثغور مكتئبة والدموع منسكبة ، أحقاً ما هـذا بحلم ؟ أحقاً ان النبأ الذي روّع بيروت ضحى الامس لم يكن كذباً ؟

تأبين انيس طراد

مات انيس وكان ممتلئاً حياة . اصبح مغمض الاجفان معقود اللسان مقيداً بالاكفان ، وبالامس كان يطفح نوراً ويفيض سروراً ، ويرقص طربا للحياة ، راضياً شكوراً .

يا سادة

ان الذي نودع اليوم التراب كان رجلا من خيرة الرجال، حمل من قبل ان يشتد ساعده اسماً كبيراً وميراثاً خطيراً ، وعلى الرغم من صغر سنه قدر ان يحافظ على شرف الاسم والميراث في زمن قل فيه المحافظون . كان غنياً بلا تجبر ، كبيراً بلا تكبر ، مثالا للاغنياء في الدعة والبساطة والبعد عن الفخفخة الكاذبة لا يطلب شرفا ولا القابا ، ولا يحسب لغير الفضل الصحيح حسابا . كان صادقا في معاملته انيساً في معاشرته متواضعاً في اخلاقه محباً لذويه مخلصاً لرفاقه .

كان ابا لاخوته ومرشداً وصديقاً مثلما كان اخا شفوقا ، كان كالحمل الوديع لا يعرف الشر ولا يسعى اليه ولا يقوى عليه . كان نشيطا في هزل الحياة وجدها ، يلبس كل حال لبوسها ، دون ان يسيء الى انسان او يقصر في واجب ايا كان .

هكذا كان عندما نزل القضاء القاسي فقصف غصنه الناضر

واذبل ورده العاطر واخمد قلبه الفائر .

يا انيس يا حلو الشمائل يا ظريف المعشر ما عودتنا هذا الجفاء من قبل ، وما عودت اهلك ان تفارقهم على هذا الوجه لا كلام ولا سلام. جورج الصغير يناديك ويسأل امه عنك ليغمرك بقبلاته ، وامه لا تجيب بغير النحيب . حبيب وميشال وجبران كم كنت تتحاشى ان تبل عيونهم في حياتك ، فهلا اشفقت عليهم في مماتك ، ام انت مشتاق الى ادمعا ولم ينشف بعد ثراها فاحببت ان تراها .

يا صديقي ويا اخي ، كم وقفت على القبور ارثي اصحابي واندب احبابي ، وفي كل وقفة كانت تتجدد حرقة الضلوع وحرقة الدموع.

لقد صحبناك واحببناك ثم فقدناك وبكيناك ولو كان بالامكان لفديناك . فوداعا يا جسم انيس الفاني تحجبه اليوم عنا اكاليل الزهور وغداً ظلمة القبور ، وعلى الطائر الميمون يا روح انيس الخالدة سيري في موكب النور الى عرشك الابدي واذكرينا في نعيم البقاء ، مثل ذكرانا لك في ارض الفناء .

ولا تحسبي يا روضة الانس اننا ... على البعد قد ننسى جمالك والزهرا
زهت بك اوراق الحياة هنيهة ... فان ذبلت فالقلب يحفظها عطرا

تأبين وديع ابي النصر

ايها السادة

تعودنا ان نقف على قبـور الاغنياء والوجهاء واصحاب الشهرة والمجد العالمي مؤبنين معددين ، واما العامل المسكين ، واما الموظف البائس الذي يجد ليل نهار في زاوية من البيت او المكتب بعيـداً عن الجلبة ، بعيداً عن الناس ، قياما بالواجب في سبيل خبزه كفاف يومه فنكتفي بتشييعه صامتين .

على ان بين هؤلاء من يكون احـق منهم بالرثاء ، واني اليـوم لاجد مجال القول ذا سعة امام هذه الحفرة التي يتوارى فيهـا رفيق عرفناه فاحببناه . مات وديـع ابي النصر الموظف في ادارة البريـد والبرق ، فاحدث فيها هزة حزن لا تتناسب مع مقامه المادي ، ولكنها تتناسب مع ما كان عليه من عذب الشمائل وحسن السيرة . لقد كان

مثالا للوداعة والاخلاص والامانة والعمل ، فاذا ما بكيناه فاننا نبكي فيه هذه الشمائل النادرة التي هي اغنى من المال واغنى من المجد.

واذا كان من عزاء اقدمه لزوجه الثكالى وذويه باسمي واسم اخواني واخوانه فبهذا الاجماع على الحزن الذي تبدو مظاهره هذا المساء ، فالوداع ايها الرفيق العزيز رحمك الله عداد مزاياك ووفاك من الراحة في الآخرة ما لم تنله في دنياك .

اخي

[قيل هـذا التأبين في حفلة الاربعين للمرحوم الياس شقيق المؤلف ، وقد كان خطباء الحفـلة الشيخ محمد الجسر رئيس المجلس النيابي ، ميشال زكور ، موسى نمور وزير الداخلية ، خليل مطران الشيخ مصطفى الغلاييني ، بشاره خوري الاخطل الصغير ، الشيخ بشاره خوري ، الياس ابو شبكه كميل شمعون ، امين تقي الدين معروف الارناؤوط .]

ما شعرت عمري بصعوبة الموقف مثل هذه الساعة ، على اني لا اجد نفسي غريباً عنكم ولا أرى من حولي الا اخوانا غمروني بلطفهم وكان في حبهم وولائهم خير ارث من الفقيد يحمـل الى قلبي العزاء والفخر معاً . اجل يا سماحة الرئيس كنت اود آن اقابلكم من القول

بما يسمو الى ذرى تلك العواطف السامية والاحساسات الرقيقة التي اظهرتموها لي انتم وحضرة الوزراء والنواب والخطباء والشعراء والصحافيين وسائر اخواني . ولا انسى مكارم اخلاق رئيس الجمهورية والمفوضية وحسن التفاتها .

كنت اود ان اعبر لكم عن عرفاني الجميل بكل ما اوتيت من وسائل التعبير ولكن اليأس لا يزال غالباً علي فانا اليوم كالمستيقظ من سبات عميق ، لا تزال وطأة الخمول على رأسه ، واشباح الظلام بين عينيه ونفسه .

واذا كانت العادة ان لا تنتظروا مني في هذا الموقف غير كلمات مألوفة من شكر وشكوى فان في نفسي اليوم شعوراً اوسع من هذا ويخيل لي ان صوتا عزيزاً من وراء القبر يدعوني الى اظهار هذا الشعور . هذا الصوت البعيد القريب يقول لي : في الساعة التي تحتفلون فيها لتكريم ذكراي كخادم لبلادي اذكر هذه البلاد التي احببتها ولتكن عواطفك نحوها كما كانت عواطفي ، ولا ينسك حزنك علي حقها عليك فهي الام التي احتضنتك صغيراً وتعهدتك كبيراً ، ولم تبرح على الدهر تهديك من ارضها طيباً ومن سمائها

نوراً .

فانا الآن امام واجب مضاعف واجب الاخ نحو اخيه الراحل، وواجب الابن نحو امه الباقية ، فالى هذه الام اتقدم بخشوع واحرق الشموع طارحا بين يديها قلبي وافكاري ساكباً على قدميها دمعة حبي وتذكاري معجباً بما لبسته من حلل الشباب الساحر، مؤمناً بما تعده لها الاقدار من مستقبل باهر . وعسى ان يكون في اظهار هذا الشعور الذي يمازج دمي ويختلج بين قلبي وفمي ما يعوض عن عجز لساني وقصور بياني في الافصاح لكم يا ابناءها الكرام عن جزيل شكري وعظيم امتناني .

أأخي بكوك وأبنوك وأبدعوا لكن قلبي لم يزل يتوجع
اصغي الى انشادهم فيطيب لي وافيق من سحر البيان فاجزع
ما لي وللايام فيك اعدها كل الزمان تذكر وتفجع
أبداً اراك على فراشك والضنى يسقيك ملء كؤوسه ويجرّع
فمن النعاس على جفونك غمرة ومن الشحوب على جبينك برقع
والجسم منحل العزائم مثقل بالداء مكلوم الفؤاد مضعضع

*

اخي

ابـداً اراك على فراشك صابراً ويكاد يعصيـك اللسان الطيـع
وتـود لو عاد الزمان مسالـا يعطيـك من بسماته ما يمنـع
لتعيد عهـداً للـيراع سما به للزهر تنظمهـا لنـا وترصع
اسكته دهراً ولم يـبرح على رغم السكوت له صرير يسمع
ابداً اراك وانت تنظر بي وفي نظراتك النبأ الذي لا يخدع
وتبيت تسألني ونبضك هارب من أملي هل في شفائك مطمع
وارى دبيب الموت فيك فانحني متبسما وحشاشتي تتقطـع

*

ابـداً اراك ويالهـا من رؤية نزل القضـاء وكان ما اتوقع
قد اطبقت منك الجفون وعطل القلب الحنون وغاض ذاك المنبع
فطويت يارسم الحبيب وكنت في الافق الرحيب مع الكواكب تلمع
نثروا الزهور على السرير وكفنوا جسداً ثوت فيه المكارم اجمـع
بل هيـكلا هجر الاله مقامـه فيه فاصبـح وهو قفر بلقـع

*

يا ايهـا الالم الذي لا ينتهي يا ايهـا النـير الذي لا يخلع
يا منجـلا بيد الليـالي مرهفـا يمشي على آمالهـا ويقطع

اخي

ان كنت ذا ظمأ فهلا ترتوي ... او كنت ذا نهم فهلا تشبع
تلوي على الجبل الاشم فينحني ... وتمر بالبحر الخضم فيخشع
وجماجم الاجيال تحتك تشتكي ... واليك من ظلماتها تتطلع
كم غارة لك في الشباب دفعتها ... واليوم جئت ولا شباب يدفع
لم يبق من شمسي شعاع ضاحك ... فانشر غيومك ما تشاء وتطمع
يا شاعر الاحساس كم من شاعر ... بلغ السهى في الترب مثلك يودع
يخفي ظلام القبر طلعة وجهه ... ولروحه في كل افق مطلع
رويت عصرك بالدموع فاصبحت ... منها كؤوس الشاعرية تترع
وأضفت للقيثارة الكبرى بها ... وتراً ترن على صداه الاضلع
ما ادمع الشعراء غير عواطف ... غنوا بها بؤس الحياة وسجعوا
يغذون من دمهم فيسبق شاعر ... في سكبه لهم وآخر يتبع
وتفرق الاقدار بين عظامهم ... حتى اذا بلغوا الخلود تجمعوا

*

أأخي عهدتك للقوافي حافظاً ... عهداً وهذا يومها أفتسمع
تشتاق منك هزارها الصداح في ... النادي ويوحشها الخطيب المصقع
نظم الوفاء بديعها لك مثلما ... قد كنت تنظم للوفاء فتبدع

اخي

من لي بروحك ان تشارف منطقي ويضمها نحوي الفضاء الاوسع
لاقول فيك وفي الثناء عليهم شعرا يردده الصدى ويرجع
اي عصبة الادب التي اجبتها حبي له ولعله بي يشفع
حملتموني في مصابي منة عظمت علي فما اقول واصنع
ملك الاسى قلبي واعيى شكركم لبي فليس لدي الا الادمع



ذيل

صفحة ١٥

كان في بيروت لذلك العهد عادة لطيفة الفها ادباؤها وساعدهم عليها انصراف افكارهم عن المضاربات والسياسة ، وهي اقامة حفلات ادبية بين حين وآخر تهتم بها بعض الجمعيات وتدعو للكلام فيها ادباء للخطابة وآخرين للمناظرة . ومن اشهر هذه الجمعيات : شمس البر ، ولها كل عام حفلة شائقة تدعو اليها اكابر القوم وينفق دخلها في سبيل البر والمعاهد الخيرية ونعم الغاية والواسطة .

وقد كلفت الجمعية سنة ١٩٠١ كاتب هذه السطور للخطابة ، وكان المتناظران خليل زيدان محرر الاهرام سابقاً والاستاذ بولس الخولي ، وخطب على الهامش الاستاذ ابرهيم الحوراني ، وقد طبع الخطاب على حدة ونفدت نسخه لجدة الموضوع ولانه لاول مرة

ذيل

تلفظ كلمة الحب على منبر وفي كنيسة .

وفي الاصل ابيات سقطت في هذه الطبعة وهي ختام القصيدة الاولى :

وسماء الحب من منا ترى لم يضيء فيها له من كوكب
كان في الخاطر ان انظمه لكم من كل معنى عذب
انما عهد التصابي قد مضى فقضى الشعر به وهو صبي

(وهي مداعبة شاعر لان الناظم لم يكن بعد بلغ سن التصابي)

فاعذروا قلباً ضعيفاً ماله غير صوت بالدعاء الرطب
نصر الله مليكاً عادلا عصره في الشرق عصر الذهب
ورعى الله هلالا قد سما في سما عثمان فوق الشهب
ان يغب في الافق عنا قمر فسنا راياته لم يغب

صفحة ٤٧ [المرأة والشعر]

كان لهذا الخطاب مشاكل عديدة : اولها ان المكتوبجي وكان يومئذ القباني رحمه الله ، طلب الاطلاع عليه قبل القائه ، ولما اعاده لم يجد المؤلف فيه الا خطوطاً حمراء تحت اكثر سطوره، مثلا : « حمل صولجان الادب » هذه غير مسموح، فلا يحمل الصولجان الا السلطان عبد الحميد فلتحذف الجملة . « واضعت الرشاد » لايجوز

التلفظ بهذه الكلمة لان السلطان المحبوس اسمه رشاد فلتمح وقس عليه .

وازاء هذا التبديل فضلت العدول عن الكلام ، ولكن الرئيس لم يكن من هذا الرأي واقنعني بتلاوة الخطاب غاضاً النظر عن ملاحظات المكتوبجي ففعلت ولما وصلت الى هذا البيت :

ومذاهب الحر الابيّ تضيق في بلد يكون لصوصه اسيادا

شعرت ان الارض مادت بي من كثرة التصفيق ، ورأيت في الوقت عينه وجه المكتوبجي الذي كان في الصف الاول يتلون من الغضب والخوف .

وفي اليوم الثاني شرفني حضرته بزيارة معاتباً ، ولولا صداقة قديمة لكان مالا تحمد عقباه .

وبعد اسبوع من هذا الحادث ، دهم البوليس بعض البيوت في بيروت وطرابلس منها بيت صموئيل يني ، وجاءتني اشارة فحرقت ما عندي من اوراق حماسية مكتوبة بدافع الصبا ، وبين محروقاتي ترجمة جميلة لكتاب الانقاض «Les Ruines» تأليف فولني . ثم عملت بنصيحة الاخوان فسافرت . وكان الخطاب من اسباب هجري

الديار .

المشكلة الثانية : انه عندما طبعت جمعية تهذيب الشبيبة في الكلية هذا الخطاب، ارسلت نسخة منه الى مجلة الضياء للشيخ ابرهيم اليازجي فظهر الجزء الثامن عشر يوليو سنة ١٩٠٤ وفيه تقريظ جميل جاوز المأمول من نقاد كاليازجي لم يسلم من نقده كتاب ولا كاتب . ومما جاء في التقريظ : « وكل ذلك في كلام ذهب فيه مذهب الخيال فلم يدع نكتة لطيفة او تصوراً غريباً او استعارة بديعة الا جاء بها ، وكان الخطاب برمته شعراً مما دل على اقتدار نادر في خلق المعاني وتصويرها وتنسيقها ، وربما افرغ بعضه في قالب النظم فجاء من ارق الشعر ديباجة وامتنه نسجاً » (يقصد بذلك قصيدة البحيرة) الى اخره .

ثم مرت ايام وشهور قبل ان يظهر جزء فبراير من السنة الثانية سنة ١٩٠٥ وفيه سؤال من سليم عنحوري عن صحة ما رويته عن ام حبيب . وجواب للشيخ كله لوم وتقريع ، مع تكذيب ما قلته عن علاقة ابي بابيه . وانه لدى قراءته الخطاب لاول مرة لم ينتبه للجملة كانها توارت منه استحياء . فدهشت لهذا الانقلاب السريع من

الشيخ ، ولاسيّما لانه كان قد ارسل اليَّ بعد تقريظه الخطاب كتابا يذكرني فيه بالصداقة العائلية ويقول ان محبة الآباء تتصل بالابناء دهشت كما دهش غيري من اخواني الادباء ، فارسلت كتابا الى الشيخ ابيّن فيه نزاهة نيتي فيما رويت، وبعدي كل البعد عن محاولة المس من كرامة ابيه ، واذكره بكتب كثيرة منه لابي مكتوبة بخطه الفارسي الجميل وفيها كثير من الشعر مما يدل على صلة ادب بينهما ، انكرها الشيخ في غضبه كل الانكار ، قائلا ان ابي كان اميّاً فمن الصعب ان تكون له علاقة بابيه . ومن هذه الكتب كتاب هاك مطلعه :

اشواق طالما هيجت الخاطر والبال،واثارت لواعج القلق والبلبال الى من هاج بالذكرى اشتياقي فهيج عند ذكراه شجوني

وتحيات نفحت بارق من النسمات في السحر ، واذكى من النفحات في الزهر

الى من لو ذكرت له صفات نشرت بها اريج الياسمين

الى آخره ...

ارسلت جوابي وطلبت نشره في الضياء ، فلم يفعل ، الا انه عند مقابلته لاخي الياس في مكتبة الهلال ، اعتذر اليه عما بدر من

الحدة ناسباً ذلك الى سليم عنحوري الذي وسوس له واثار غضبه ، والظاهر اني اسأت من حيث لا ادري الى هذا الاخير ، باغفالي ذكر اسمه بين شعراء سوريا . فجعل الشيخ يعتقد اني قصدت الحط من كرامة ابيه . يؤيد ذلك ما ورد في سؤاله : « وما قولكم فيما يلي تلك الفقرة ؟ » فان ما يلي تلك الفقرة كما يراه القارىء هو تعداد اسماء بعض الشعراء ، وايراد مثل من شعر خليل الخوري مما لم يرق في عين سعادة مؤلف «سحر هاروت وبدائع ماروت».

على اني لم اذكر هذا هنا الا للحقيقة ، نعم اعترف ان النكتة باردة ، ولو اتيح لي ان اعيد النظر على الخطاب يومئذ لحذفتها مع اشياء كثيرة غيرها . واخواني في الكلية الاميركانية يذكرون السرعة التي كتب فيها الخطاب ، ولا سيما لانهم ارادوا طبعه وبيعه في الحفلة . فاضطررت الى تقديمه قبل التمكن من تهذيبه كما يجب .

اما قصيدة الخوري فلا اكتم القارىء انني بدّلت فيها بعض الفاظ من بعض ولم اتعرض لانتقاد لغتها وتركيبها لان الغاية من الاستشهاد بها هو ذكر طريقة الشاعر الجديدة ، ولولا ركاكة في

نظمه ، لعدّ في نظري في مقدمة شعراء الغزل لذلك العهد .

هذا بعض ما أثاره خطاب المرأة والشعر من المشاكل ، والمشكلة الاخيرة مع ناشر الكتاب اذ انه نسي قصيدة كاملة واغفلها برمتها وهذه هي :

المرأة والشاعر

المرأة

عد للهوى فربيعه قد عادا ... والعشب للعشاق مدّ وسادا
وعلى الارائك للهزار مواقف ... تستعبد الارواح والاجسادا
فعلام شعرك لا يكون لها صدى ... اعدمت نطقاً ام عدمت فؤادا ؟

الشاعر

لا لا فقلبي قد عرفت خفوقه ... هيهات قلبي ان يكون جمادا
لم ابلغ العشرين بعد وهمتي ... ملت بميدان الحياة جهادا
وسواد شعري ما تبدل لونه ... وبياض آمالي استحال سوادا
سأمر يا روض الشبيبة تاركاً ... بعدي غصونك في الهوى تتهادى
ان كان عودي في ظلالك اخضرا ... فلكم بكيت نظيره اعوادا
كم معطف كان الربيع له حلى ... فمضى وصار الخريف له حدادا

ذيل

لم تجن منك يداي يوما وردة   الا وصيرها الشقاء قتادا
نار يجددها الرجاء باضلعي   فيعيدها اليأس الجديد رمادا
فدعي اعتراضك واخلعي عني الهوى
فلقد كفاني شقوة وسهادا

المرأة

عجباً اتنسى ان قيدك في يدي   حتى طمعت بان تفك قيادا
مل الصبي من الحياة وغيره   شابت نواصيه وزاد فسادا
أتراك لم يبلغك ان فضائلي   تركت عباد الله لي عبادا
هل سرت في قفر الحياة ولم تجد   مني دليلا اين سرت وزادا
هل فاتك القمر المنير ولم تجد   في نور وجهي الكوكب الوقادا
هل شئت ادراك العلاء ولم يكن   ضعفي لضعفك قوة وعمادا
هل كان عقلك لو غضضت نواظري   اجدى بمخترعاته واقادا
تلك الصنائع والفنون هل ارتقت   او عمرت لولاي منك بلادا
هل نال في الامراض لولا علتي   دنف بطبك ما اشتهى واراد
يا ايها الرجل الكفور بنعمتي   لو كنت وحدك هل ذكاك افادا
من كان في الفردوس ينشد ضائعاً   او في الجحيم يناشد الوقادا

ذيل

من راح يروي مجد اندلس لنا ويزور في عمرانها بغدادا
من لقب الملك المضلل في الهوى او عبد عبس رقة وجلادا
أنسيت في وادي العقيق وضاله سلمى ودعد وزينبا وسعادا
او لست اول شاعر في شعره فوق المنابر بالمحبة نادى

الشاعر

عفواً فهائنذا اقر بذلتي واتوب لا طمعاً ولا استنجادا
اجثو على اقدام جنسك ذاكراً امي فلولا الام مجدك بادا
واجل فيك رفيقة العمر التي تحيي العباد وتحضن الاولادا
واكرم الاخت التي بحنانها تنسي السقيم الطب والعوادا
ضل الذي ظن الحياة جميلة في البعد عنك ومن يطيق بعادا
الكون شعر انت بيت قصيده لولاك ما عرف الورى انشادا

صفحة ٥١

اسقطت هذه الجملة :

و كشاعر اسجد لدى هيكل حسنها واحرق لها البخور
مدائح وتسابيح من افئدة ملئت بحبها وادمغة اشتعلت بجمالها

فجادت باسمى الاقوال وابدع التصورات وأرق المعاني التي خـلدت مجد قائلها كما خلدت جمال الموحي بها وما برحت فكاهة الافكار جيلا فجيل .

صفحة ٧٤

سقط في الطبع هذه الاسطر قبل القصيدة : ومدار الرواية على فتاة تبناها شيخ من اعضاء المجمع العلمي الفرنسوي ثم تزوج منهـا فتعرف اليها لامرتين في احدى رحلاته وعقد معهـا مواثق الحب الطاهر ثم افترقا على امل اللقاء فما فسح الموت لها . وكان الشيخ على علم من حبهما فارسل الى لامارتين رسائله التي كان يكتبها لها في غربته مع خصلة من شعرها ، وهي عروس القصيدة الشهيرة «البحيرة» ولا اعلم اي ذنب جناه هذا الشاعر حتى وصلت قصيدته الي لاترجمهـا فاني مع علمي بالعجز عن حفظ معشار محاسن الاصل لم احجم عن ركوب هـذا المركب الخشن وهاأنذا القي عليكم ما عربت فقـد تلمحـون من خلاله بصيصاً من ذلك النور الساطـع وتشتمّون من جانبها أثراً من عرفها الطيب .

ذيل

صفحة ١٠٩

الارشمندريتي اسطفان رئيس الكنيسة السورية في الاسكندرية توصل الى اقناع ارملة المرحوم يوسف سياج بضرورة انشاء مدرسة لفقراء الطائفة فتقدمت له عشرة آلاف ليرة مصرية لهـذا الغرض ، وهي هبة لا يستهان بها في عصرنا هذا وفي قومنا ، فاقيمت له ولهـا حفلة عشاء في النادي السوري حضرها اكثر من ثلاثمئة مدعو وجاء خليل مطران خصيصاً من القاهرة للاشتراك فيها سنة ١٩٢٥ ، ثم عقبها حفلة ثانية عند وضع حجر الاساس كما ترى من الخطاب التالي ، وحفلة عند نهاية البناء وسننشر خطبتها في الجزء الثاني .

صفحة ١٩٣ [التجديد في الشعر]

خطر لي كتابة هـذا الموضوع منـذ سنوات فوضعت رؤوس اقلام وحالت الايام دون تبييضه الى ان ظهرت الحركة الاخـيرة في الشعر بين شباننا وقد مشى كل منهم في مذهب واخذ اكثرهم يقلد الفرنجة دون هدى متوسعين في طريقة تعبيرهم ووصفهم ممـا جعل الشعر فوضى بين اقلامهم ، فاحببت ان انشر هذا الخطاب وهو شبه

احتجاج على هذه الفوضى ، وتلوته في الجمعية العراقية في الجامعة الاميركانية ثم نشرته في الهلال مع قصيدة الارض التي نظمتها كانموذج للشعر الحديث وفيه تجديد في الموضوع والوصف واسلوب النظم . ثم عدت الى هذا الموضوع في مهرجان المتنبي في الشام بكلمة يجدها القارئ في الجزء الثاني من الكتاب .

صفحة ١٩٧ ، [بعد السطر الخامس]

وما القصد بالتجديد ترك القديم بتاتا فان الغاية من الفن هي مقدرة الشاعر على خلق او اكتشاف حياة جديدة في نفسه يعبر عنها باوسع ما يكون من الاحساس والحقيقة في شكل جميل يترك اثراً جميلا ولا يتم هذا الا بكسر القيود التي تعودنا ان نقيد بها اللغة وفتح طاقة جديدة تنفذ منها اشعة الشمس الى الكلمات والتراكيب فتجلو معاني كامنة فيها . ان اللانهاية التي تصدم ابصارنا موجودة فينا وكما نجهد انفسنا في اختراع آلات تقرب الابعاد لترينا ما تمنعنا المسافة من رؤيته ، علينا ان نجهد قوانا العقلية للنظر الى اعماق ما تبطن فيها والوصول الى استخراج الكنوز المدفونة في اعماق الوجدان .

صفحة ٢٠٣ [بعد السطر التاسع]

ثم نحن لا ندري أين ينتهي النثر وأين يبدأ الشعر . تلك مسألة دقيقة ، فالشعر ليس مُلكا للانشاء، ولكن بما ان النظم هو اللسان الذي يقرب من اسمى تعبير للايقاع الموسيقي بالقافية والوزن والتفاعيل وكان الايقاع الموسيقي هو الشرط الاساسي لكل شعر ، كان النظم افضل قالب للشعر .

وعلى ذكر الموسيقى فلا بد من التنبيه الى ان المحافظة عليها سواء في المفردات او الجمل او الاسلوب ، لا يكون بتحكيم السمع وحده بل النطق ايضاً، لان قوة النظم لا تقتصر على التركيب والبناء بل هي في الوقت عينه حركة عضلية في الفم والحلق واللسان . فاحساسنا اللمسي العميق هو الذي يدلنا على ما يحسن اختياره من الكلمات وتركيبه من العبارات بالطريق التي تتعاقب عليها مواقع اللسان في مختلف مناطق الفم ، وكما تلتقط الاذن النغمة الموسيقية يلتقطها الفم لانه يمس ويتذوق الالفاظ فيدرك ما في القصيدة من قبح او جمال . من اجل هذا يجب ان يشترك مع الاذن في الحكم لنتأكد من حسن ما ننظم .

ذيل

صفحة ٢٠٩ [بعد السطر الثاني عشر]

قال كارليل : النبي شاعر والشاعر نبي ، يعني انه يدرك ويستنتج مما حوله اكثر مما يستنتج سائر النـاس ، وغير ما يستنتجون . من اجل ذلك يتعذر على الشاعر الحايق بهذا الاسم ان يكون مقلداً .

ان بين شعرائنا المشاهير من ضمن لهم البقاء طويلا وقد يمر زمن قبل ان يقوم بين المجددين انفسهم من يبلغ شأوهم في النظم ، فاذا نحن دعتناهم بالمحافظين ولم ننسب اليهم التجديد فليس انقاصاً لقدرهم وان هو الا تعريف لهم . وقد سبق فقلت ان هناك شعراء اطربوا البشرية ماضياً وحاضراً ، فيجب ان لا نغفل ذلك او نتناســاه ، وجـل ما نطلب ان ينهار هذا السد الواقف في وجه الشاعر العربي ليطلق جناحيه في الفضاء الواسع الذي شقه له العلم ومخترعاته ، ولا يكون ذلك الا اذا عرف ان يتملص من عادات قديمة جرى عليها في تعبيره وتفكيره فصدق فيه قول الشاعر :

ما ارانا نقول الا معـــاراً او معاداً من قولنا مكرورا

ذيل

اصلاح خطأ

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٢	١٤	حق العلم	حق العلم وآله
١٧	١٢	ألمجزئة	المخزنة
٢١	١١	انسيا	انيسا
٦٥	١٥	بجبيني	جبيني
١٢٨	٨	تذويق	تزويق
١١٣	١٠	ذو الاحمام	ذي الاكمام
٥١	٤	....	يرجع الى الذيل
٥٦	٨	الانساب	الانتساب
١٥٤	٤	الالسان	الانسان
١٥٧	٨	واما في العجز	واما العجز
١٥٧	١٦	وهو	وهي
١٥٨	١١	اشغلت	شغلت
١٨٥	١٥	سلامة	سلاماً

ذيل

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٨٩	٣	تعقد	تقعد
١٩١	٥	جناني	الجنان
١٩١	١٣	تعودت	تعامت
١٩٢	٤	دروسه	دروسك
١٩٣	٧	تحن	تخفق
١٩٣	٩	الاشهاد	الاستشهاد
١٩٦	٤	manisme	umanisme
١٩٦	٩	يشرق	يشرف



مَطبَعَة الاتحَاد - تجـ[illegible] الكبير - بيروت